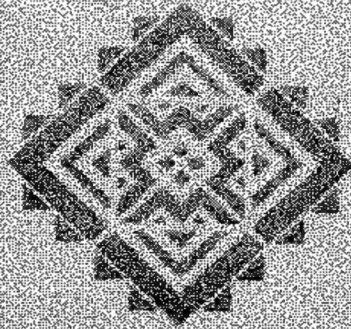
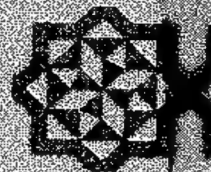
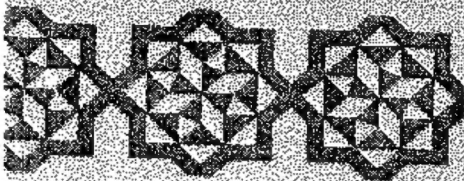


دراسات إسلامية

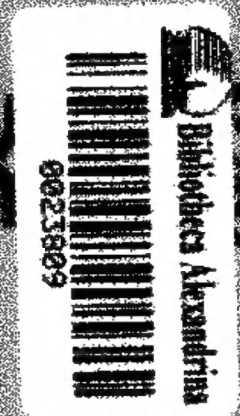


السيرة الذاتية للحبيب العزيم

قطب إبراهيم محمد



الطبعة الأولى: ١٩٨٥



دراسات إسلامية

السياسة المالية لعمر بن عبد العزيز

قطب إبراهيم محمد



الهيئة التشريعية الإسلامية

١٩٨٨

الاخراج الفنى : م • ماجدة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

دعاني لاختيار موضوع هذا الكتاب وهو عن « السياسة المالية لعمر بن عبد العزيز » الرغبة في تقديم نموذج اسلامي متكامل لسياسة مالية عامة حققت ازدهار الوطن ورفاهية الشعب واستقرار المجتمع نتيجة لما اتسم به رئيس الدولة من تقوى وعلم وعدل وزهد في الأموال العامة واختيار مستشاريه وتعيين ولائه وعماله على أساس القدرة والكفاية . فلما رجعت الى ما كتب عن سيرة عمر بن عبد العزيز تبين أنها حظيت باهتمام الكثير من الكتاب غير أن ما خص منها السياسة المالية العامة للدولة قليل ، لا تكتمل معه عناصرها من إيرادات عامة للدولة ونفقات عامة وإدارة مالية توجه كلا من الإيرادات والنفقات لتحقيق الأهداف العامة .

وربما كان عذرهم في ذلك أن مناقشة السياسة المالية في عهد من العهود تتطلب تخصصا في الفن المالي يتمكن معه الكاتب من دراسة الوقائع التاريخية لذلك العهد وتحليلها واستنباط ماله منها علاقة بالمال العام وترتيبها وإدراجها داخل الاطار الفني للسياسة المالية ثم مقارنتها بالسياسات المالية السابقة وتتبع طرق تطبيقها وما أسفرت عنه من نتائج ومدى مساهمة هذه النتائج في تحقيق المصالح العليا للدولة ورفاهية الشعب . وللوصول لصورة متكاملة عن السياسة المالية لعمر بن عبد العزيز وضعت هذا الكتاب فبدأت بتحديد عناصر السياسة المالية العامة الاسلامية وتحليل عام للسياسات المالية للخلفاء الراشدين وما طرأ عليها بعدهم من مخالفات وتجاوزات في عهد خلفاء

بنى أمية السابقين لعهد عمر بن عبد العزيز ثم تسلسلت فأوضحت كيف آلت الخلافة اليه ولم يكن راغباً فيها واخترت ماله صلة بسياسته المالية من أقواله وبلورتها وانتهيت الى أنها سياسة للاصلاح المالى اقترنت بسياسة للاصلاح الاقتصادى ، وتتبع تطبيق هذه السياسة على الإيرادات العامة للدولة الإسلامية فى عهده إيرادا وإرادا وكذلك على النفقات العامة سواء كانت مخصصة وهى نفقات الزكاة وخمس الغنائم أم مطلقة وتمول من إيرادات الجزية والحراج وعشور التجارة ثم أوضحت كيفية امتداد تيار الاصلاح العام لإدارة المالية العامة وأن ذلك كان بترشيد عمالة الدولة وقيام الإدارة على المبادئ الفاضلة والقنوة الحسنة التى بدأها رئيس الدولة بنفسه فزهد وعائلته فى الأموال العامة ودقق فى اختيار مستشاريه وعين ولاته وعماله على أساس الكفاءة المطلقة والبس نشاط المالية العامة للدولة رداء التقوى فاقتدى فيها بالرسول صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين من بعده وأقامها على المشورة وأحاطها بالعدل وقادها بالرفق والتيسير على الرعية فحققت فيض الأموال وكفلت غنى الشعب وكفاية الفقير وأعزاز المسكين فى ظل نظام عادل وشامل للعطاء وسياسة حازمة لرد المظالم أنصفت المظلومين من الظالمين فردت الحقوق المغتصبة الى أهلها وبذلك حققت السياسة المالية الازدهار وأشاعت الأمن والاستقرار فى عهده .

هذا وقد تتبعت سياسته المالية بعد وفاته وأوضحت أن بعض خلفاء بنى أمية بعده حادوا عن سياسته ، فعادت اليها تجاوزات ومخالفات ساهمت فى نهاية حكم الأمويين .

ولما كانت سياسة الاصلاح المالى التى وضعها «عمر بن عبد العزيز» جديرة بأن تتخذ نموذجاً يهتدى به فى العصور الحديثة لانجاح سياسات الاصلاح المالى التى تقوم بها الدول لإزالة ما أصاب مآلياتها العامة من عجز وخلل فى التوازن وما اعتراها من تجاوزات ومخالفات فى التطبيق فلذلك شخصت ثمرات المالىات العامة الحديثة وأوضحت ما يمكن اقتباسه من مسالك الاصلاح التى سلكها عمر بن عبد العزيز فى القرن الأول من الهجرة لعلاج مثل هذه الثغرات بعد تطويرها لتلائم أوضاع المالية العامة لكل دولة .

ولما كانت سلوكيات عمر بن عبد العزيز وسياساته محل تنويه رؤساء الدول والحكام والأئمة والكتّاب والشعراء على مر العصور ، فقد ختمت الكتّاب بشهادات صدق صدرت منهم وبذلك يكون لدى القارىء نبذة من الآراء المختلفة عن صفات وأعمال رئيس دولة إسلامية اعتبره البعض خامس الخلفاء الراشدين .

هذا وقد راعيت في صياغة الكتاب تجميع اقوال واعمال
عمر بن عبد العزيز وصنفتها ووضعتها في سياسات عامة فرعية منبثقة
من سياسته المالية لتكون هاديا ومرشدا لمن يضعون السياسات المالية
للأمة ولمن ينفذونها .

وافرغت ما ورد بالكتاب في القوالب الفنية للمالية العامة الحالية
تحديثا للثروات وتحقيقا لسهولة الاقتباس منه والانتفاع به .

كما دعمت وقائع الموضوع بالقرآن الكريم وبسنة الرسول صلى
الله عليه وسلم كلما لزم الأمر باعتبارهما من مصادر المالية العامة
الاسلامية .

وفي ضوء ما سبق حوى الكتاب ابوابا ثمانية وبكل باب
فصلان .

ويعتبر هذا الكتاب رابع الكتب التي صدرت لي عن السياسة المالية
في عهود مختلفة فالأول عن « السياسة المالية للرسول صلى الله عليه
وسلم » هدف الى ابراز وتتبع مرحلة تأسيس المالية العامة الاسلامية .

والثاني وهو عن « السياسة المالية لعمر بن الخطاب » رضى الله
عنه . هدف الى ايضاح مرحلة نمو وتطور المالية العامة الاسلامية .

والثالث وهو عن « السياسة المالية لعثمان بن عفان » رضى الله
عنه هدف الى اظهار حركة المالية العامة الاسلامية في مواجهة فتنة كبرى
وقعت في عهد ثالث الخلفاء الراشدين وأدت الى مقتله .

وهذا الكتاب وهو عن « السياسة المالية لعمر بن عبد العزيز » رضى
الله عنه يبرز كما ذكرنا مرحلة اصلاح مسار المالية العامة الاسلامية
وارجاعها الى النبع الأول وهو نبع رسول الله صلى الله عليه وسلم
والخلفاء الراشدين من بعده .

فاذا كنت بذلك قد قدمت عملا طيبا وعلمنا نافعاً فليقبله الله
ويباركه .

● وما توفيقي الا بالله ●

المؤلف

قطب ابراهيم محمد

الباب الأول

**السياسة المالية للدولة الإسلامية
قبل عمر بن عبد العزيز**

الفصل الأول

عموميات عن السياسة المالية للخلفاء الراشدين

عناصر سياسة المالية العامة الإسلامية :

عناصر أى سياسة للمالية العامة هي :

- إيرادات عامة تفرضها وتجيئها الدولة .
- نفقات عامة توجهها الدولة لمصلحة الرعية .
- إدارة الدولة لإيراداتها ونفقاتها العامة لتحقيق أهدافها العامة .

وفى المالية العامة الإسلامية تدار هذه العناصر فى إطار من أحكام الشريعة الإسلامية وتحقق أهداف المجتمع الإسلامى .

مسار السياسة المالية قبل « عمر بن عبد العزيز » :

قامت الدولة الإسلامية بعد أن هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المدينة فأدار الدولة بسياسات عامة إسلامية ومنها سياسة المالية العامة ، ولما خلفه الخلفاء الراشدون رضى الله عنهم ساروا على هدية فى إدارة المالية العامة للدولة ، ولما خلفهم أمراء بنى أمية اعتري مسار السياسة المالية بعض التجاوزات ، غير أنه لما تولى عمر ابن عبد العزيز رضى الله عنه إماره الدولة الإسلامية جدد سياستها المالية وعمل مسارها إلى ما كان عليه فى عهد الخلفاء الراشدين ، ونورد فيما يلى عموميات عن مسار السياسة المالية فى عهد الخلفاء الراشدين رضى الله عنهم متناولين كل عنصر من عناصرها ثم نوضح ما وقع من مخالفات فى مسار السياسة المالية فى عهد أمراء بنى أمية قبل « عمر بن عبد العزيز » .

مسار السياسة المالية في عهد الخلفاء الراشدين

الإيرادات العامة :

— كانت الإيرادات العامة في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم هي الزكاة وخمس الغنائم والجزية وخراج الأرض وما تطوع به المسلمون من أموال للجهاد في سبيل الله وفي عهد « عمر بن الخطاب » رضى الله عنه تحقق للدولة إيراد جديد من فرض عشور التجارة .
وفيما يلي كلمة عامة عن كل إيراد .

الزكاة :

فرضت الزكاة بالقرآن الكريم بأكثر من آية وحدد الرسول صلى الله عليه وسلم تفاصيلها فأوضح فئاتها والأموال الخاضعة لها وشروط استحقاقها وحدود وحالات الإعفاء منها ومواعيد أدائها وطرق تحصيلها وعقوبات المتخلفين عن سدادها وغير ذلك من الأوضاع المتعلقة بها . وبذلك تركها صلى الله عليه وسلم محددة الأوضاع واضحة المعالم كاملة التفاصيل .

وجاء الخلفاء الراشدون من بعدهم فالتزموا في أمور الزكاة بما ورد بالقرآن الكريم وبسنة الرسول ، وفي عهد أبي بكر الصديق رضى الله عنه أراد بعض المرتدين أن يوقفوا مسار فريضة الزكاة بدعوى أنها إنما كانت تؤدي للرسول صلى الله عليه وسلم وبأنه سقط فرضها بصعوده إلى الرفيق الأعلى . فحاربهم أبو بكر وانتصر عليهم وعادت الزكاة إلى مسارها الذي كانت عليه أيام رسول الله صلى الله عليه وسلم . وكانت تعرض للخلفاء الراشدين حالات للزكاة مستحدثة فيفتون فيها استنتاجا من آيات الله وسنة رسوله ، وزادت حصيلتها في عهدهم ونمت نتيجة لانتشار الإسلام ودخول الناس في دين الله أفواجا وأدائهم لما فرض الله عليهم من زكاة وباعتبارها أحد أركان الإسلام الخمس .

خمس الغنائم :

فرض الله الجهاد على المسلمين وأحل الله لهم الغنائم ، ينالونها من الأعداء وتوزع عليهم بعد النصر على أساس أربعة أخماس للفاتحين والحمد

لبيت المال ليوزعه رئيس الدولة طبقا لآية الخمس لله وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل . قاد الرسول صلى الله عليه وسلم الغزوات وأرسل السرايا للجهاد في سبيل الله بعد أن خطط لها تخطيطا محكما فتحقق النصر وانتشر الاسلام . ونظم جمع الغنائم وأوضح قواعد توزيعها . ومن بعده استمر الخلفاء الراشدون في نشر الاسلام ورفرفت راياته على كثير من البلاد فانتسعت ارجاء الدولة الاسلامية وزادت مواردها العامة ومنها الغنائم التي كان يؤول خمسها لبيت المال حتى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه بكى عندما فاضت الغنائم في عهده خشية أن يكون الله أراد بفيض الأموال أن يستحقه ويختبر قوة إيمانه . وقد ألحق الرسول صلى الله عليه وسلم بالغنائم الركاك وهو ما يوجد في باطن الأرض من المعادن فإذا غنمها المسلم وجب فيها الخمس لبيت المال وسار الخلفاء على هدى رسول الله وافتوا فيما عرض عليهم من حالات استنادا لسنة الرسول صلى الله عليه وسلم .

الجزية :

لم تفرض الجزية في أول الدعوة الاسلامية انما فرضت في السنة التاسعة من الهجرة حين نزلت « براءة » متضمنة آية فرض الجزية وهي : « قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون » (التوبة / ٢٩) .

وقد كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الملوك وغيرهم من أهل الكتاب يدعوهم الى الاسلام فان أبوا فالجزية ، وبذلك كان يوصى أمراء جيوشه وسراياه ، وإن أبوا دفع الجزية حل قتالهم ، أما ان استجابوا لأداء الجزية أصبحوا في ذمة المسلمين لهم الأمان على أرواحهم وأعراضهم وأموالهم .

وفرضت الجزية على الرجال ولم تفرض على النساء والأطفال لأن الرجال هم الذين يقاتلون عادة والنساء والأطفال لا يقاتلون ، وأعفى من الجزية من لا يستطيع من الرجال القتال كالأعمى الذى لا حرفة له والمسكين والشيخ الكبير الذى لا شيء له وإذا أسلم الكتابى تسقط عنه الجزية استنادا لحديث الرسول صلى الله عليه وسلم « ليس على مسلم جزية » ولم تكن فئات الجزية واحدة في جميع الأوقات وفي جميع البلاد ،

فقد كانت معاهدات الصلح بين المسلمين وأهل الكتاب تتضمن فئات للجزية محددة طبقا لطاقة أهل الذمة ودرجة يسارهم واختلفت هذه الفئات في عهود الخلفاء الراشدين ، فقد جعلها عمر بن الخطاب مثلا متصاعده طبقا لدرجة يسار الرجال من أهل الكتاب فجعلها اثني عشر درهما على الشخص العادي ، وأربعة وعشرين درهما على متوسط اليسار ، وثمانية وأربعين درهما على الغني . وكانت الجزية في عهد الخلفاء الراشدين تؤخذ نقدا أو عينا كما كان في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وكان يصاحب التحصيل حسن المعاملة وتحقيق العدالة تنفيذا لنهي الرسول صلى الله عليه وسلم عن ظلم أهل الذمة فقد روى أنه صلى الله عليه وسلم قال « من ظلم ماعدا أو كلفه فوق طاقتة فأنا حجيجه » وقال صلى الله عليه وسلم أيضا « ان الله يعذب يوم القيامة الذين يعذبون الناس في الدنيا » وكان فيما تكلم به عمر بن الخطاب رضى الله عنه عند وفاته « أوصى الخليفة من بعدى بذمة رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يوفى لهم بعهدهم وأن يقاتل من ورائهم ولا يكلفوا فوق طاقتهم » .

الحراج :

الحراج هو ما يوضع من الضرائب على الأرض الزراعية للدولة بعد الفتح وبقي عليها أصحابها .

وفي عهد الرسول صلى الله عليه وسلم نصره الله على يهود خيبر وآلت أرضهم للمسلمين فقسمها الرسول صلى الله عليه وسلم بين المقاتلين من المسلمين ودفعها إلى أهل خيبر لا ليملكوها ولكن ليعملوا فيها ويؤدوا النصف من الزرع والثمر كخراج .

وفي عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه انتصر المسلمون في فتوحات اسلامية كثيرة وحصلوا على غنائم كثيرة . منها أراضي زراعية فرأى الخليفة عدم تقسيم الأرض واعتبارها ملكا عاما للدولة الاسلامية ويفرض الخراج عليها للاتفاق من حصيلته على متطلبات الدولة الجديدة كحراسة ثغورها التي امتدت واتسعت بعد الفتح ، طالب الفاتحون بالتقسيم وأيدهم بعض الصحابة ، لكن أمير المؤمنين استشار جماعة مجتهدي الأمة فاعتمدت رأيه وأقرت فرض الخراج فأرسل من مسح الأراضي وفرض عليها الخراج مراعيًا في تحديده درجة جودة الأرض وأنواع الزرع وسهولة أو صعوبة ريعها وبذلك تدفق مال الخراج على بيت المال .

ومما يتصل بالأرض ما قام به الرسول صلى الله عليه وسلم من
اقتطاع أرض مملوكة للدولة الإسلامية دون مقابل للمسلمين ليعمروها ،
وقد أقطع الخلفاء الراشدون من بعده الأرض للتعمير على أن ترد للدولة
خلال ثلاث سنوات إذا لم تعمر ، وقد توسع عثمان بن عفان رضى الله
عنه فى اقتطاع الأرض .

ومما يتصل بالأرض كذلك حصى الأرض أى أن تمنع عن الناس
الأرض العامة التى ينبت فيها الكلاً نباتاً طبيعياً دون جهد من أحد فلا يرعوا
فيها أنعامهم . فالرسول صلى الله عليه وسلم قال « لا حصى الا لله
ورسوله » وطبق الخلفاء الراشدون المبدأ فلم يحرم عمر بن الخطاب الأرض
الا للخيال الغازية فى سبيل الله ولابل الصدقة . وطبق من بعده عثمان
وعلى رضى الله عنهما نفس المبدأ .

عشور التجارة :

وهى ضريبة فرضها عمر بن الخطاب على التجار غير المسلمين الذين
يمرون بموانئ الدولة الإسلامية .

النفقات العامة :

النفقات العامة للدولة الإسلامية اما أن تكون مخصصاً لها بعض
الموارد العامة وهى وجوه الانفاق من الزكاة ووجوه الانفاق من خمس الفنائم
وأما أن تكون عامة تمويل من باقى الموارد العامة للدولة ونوضح فيما يلى
هذه الأنواع :

الانفاق من الزكاة :

بين الله سبحانه وتعالى مصارف الزكاة فى آية « انما الصدقات
للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفى الرقاب والغارمين
وفى سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم »
التوبة الآية (٦٠) .

وقد أبلغ الرسول صلى الله عليه وسلم هذا النص ضمن ما بلغ
وعمل به فأعان الفقراء والمساكين وأثاب العاملين على الزكاة وألف منها
القلوب للإسلام واعتق العبيد وأعان الغارمين وأنفق منها فى سبيل الله
وعلى ابن السبيل . وكان يسرع فى اخراجها وحرمها على آل محمد لأنها
من أوساخ الناس ، وقرر محليتها فتؤخذ من أغنياء البلدة وتعطى لفقرائها .

وأمر المصدقين بأن يصدقوا الناس على مياهم بالعدل الى غير ذلك من حالات التطبيق للزكاة .

وقد سار الراشدون على هدى الرسول صلى الله عليه وسلم في وجوه الاتفاق من الزكاة ، الا ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه رأى أن لا محل للاتفاق من الزكاة على سهم المؤلفة قلوبهم بعد أن قويت الدولة الإسلامية في عهده وأصبحت في غير حاجة للتأليف واقترض عثمان بن عفان رضى الله عنه من أموال الزكاة لينفق على فتوحات الاسلام على أن يردّها حين ميسره ولا غضاضة في ذلك ما دامت قد أحسنت على سبيل القرض ، وفي عهده أيضا زاد غنى الأغنياء فقام الصحابي أبو ذر الغفاري بدعوى عامة مطالباً الأغنياء بالاتفاق على الفقراء من أموالهم فوق الزكاة المفروضة .

الاتفاق من خمس الغنائم :

يبين الله سبحانه وتعالى مصارف خمس الغنائم في آية « واعلموا أنما غنمتم من شيء فإن لله خمسة وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل ان كنتم آمنتم بالله وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان » (الأنفال/ من ٤١) .

ولتطبيق الآية كان الرسول صلى الله عليه وسلم قبل توزيع الغنائم وأيلولة خمسها لبيت المال ينهى عن الغلول وهو ما يأخذه الفازي بغير حق من الغنائم وكان يقضى بالسلب لقاتل العدو قبل بدء المعركة والسلب هو ما كان على القتل في الحرب من لباس وما كان معه من سلاح وما كان تحتة من فرش . وكان ينفل من سلب الفيمة قبل أن تخمس وكان النفل للدليل أو راع ساعد جيش الاسلام ، كما كان يرضخ للنساء اللاتي داوين الجرحى وسقين المجاهدين الماء أى يعطينهن شيئاً قليلاً ، وبعد ذلك يأخذ الخمس لبيت المال ويعطى المحاربين أربعة أخماس الغنيمة فيجعل للفارس سهمين وللراجل سهماً واحداً وفي غزوة حنين جعل للفارس ثلاثة أسهم وللراجل سهمين واحداً وكان يقسم الخمس بين المذكورين في الآية وقد أعلن الرسول صلى الله عليه وسلم بعد غزوة حنين للناس أنه ليس له من الغنائم الا الخمس وإن الخمس مردود عليهم كما دفع عليه الصلاة والسلام صداق بعض قرابته من سهم ذي القربى .

وقد سار الخلفاء الراشدون على ما كان يسير عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم الا أنهم وجهوا سهمه وسهم ذي القربى للاتفاق على الكراع والسلاح في سبيل الله .

النفقات العامة :

النفقات العامة مصدرها الإيرادات العامة غير المخصصة وهي الجزية والخراج وعشور التجارة وتشمل الاتفاق على أجور العاملين بالدولة الذين يقومون بأداء وظائفها وتأدية خدماتها العامة والاتفاق على الأماكن والدواوين التي يعملون بها كما تشمل الاتفاق على المشروعات العامة التي تقيمها الدولة . وقد تعددت النفقات العامة واتسعت باتساع الدولة الإسلامية ، فقد بدأت ضئيلة القدر في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم حتى أن مسجده بالمدينة وكان مقر الحكومة الإسلامية الأولى بنى بالجهود الذاتية ، ثم زادت النفقات العامة بعد ذلك فتناولت في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنواعا عديدة كمرتب أمير المؤمنين ومرتبات العاملين بالدولة والاتفاق على مرفق القضاء والمساهمة في أعباء الفتوحات الإسلامية وتوسعة المسجد الحرام وإثارة المساجد ليلا وسفر الخليج وإنشاء مدينتي البصرة والكوفة ، وما ساعد على التوسع في الاتفاق العام زيادة الموارد العامة بزيادة من يدفعون الجزية ويؤدون الخراج من أهل البلاد المفتوحة .

إدارة المالية العامة :

كان الرسول صلى الله عليه وسلم يدير المالية العامة للدولة الإسلامية الأولى بالقرآن وبخلق العظيم ، فالقرآن المجيد حدد بعض الموارد العامة وهي الزكاة وخمس الغنائم والجزية وخطط طريق النفقات العامة حينما أمر بأن لا يتولى السفهاء إدارة الأموال وأن يكون الاتفاق قواما خال من الاسراف والتقتير وأن لا يدلى الناس بالأموال للحكام ليأكلوا فريقا من أموال الناس ، ووضع القرآن كذلك الأسس القوية للعمل والعمالة ومنها عمالة الدولة حينما أمر بصالح الأعمال ونهى عن سيئها وفاسدها ، كما تضمن مبادئ للرقابة العامة ومنها الرقابة على المال العام حينما قضى بأن الناس سيحاسبون على أعمالهم في الدنيا والآخرة ، ووضع للمخالفين العقوبات الدنيوية والأخروية . وقد طبق الرسول صلى الله عليه وسلم النهج القرآني في إدارة المال العام وكانت أخلاقه وسلوكه قدوة يقتدى بها في هذا الشأن فزهد هو وعائلته عن المال العام ومنع ذوى قرباه من الأخذ من أموال الزكاة كما ذكرنا ولم يعينهم في المناصب العامة إلا الامام علي بن أبي طالب لتقواه وكفائه وحكمته وعلمه وأخلاقه التي تميز بها ، واختار ذوى الكفاءة للعمل ، واعتبر العاملين الذين يؤدون ما أوتمنوا عليه كاملا غير منقوص من الصديقين ، وطبق الشورى في الإدارة كما أمر الله ونهى عن هدايا الولاء أثناء ولايتهم إلى غير ذلك من مقومات الإدارة المالية الناجحة المتميزة .

وقد سار الخلفاء الراشدون من بعده على هدية فطبّقوا أحكام القرآن وتعاليمه وأعملوا سنن الرسول القولية والفعلية في الإدارة المالية للدولة تنظيمًا ومتابعة ورقابة وطوّروا الإدارة المالية بتطور أمور الدولة فأنشأ عمر بن الخطاب رضي الله عنه ديواني العطاء والخراج وأدخل التقويم الهجري ودقّق في اختيار الولاة وتابع معهم خراج الولايات وراقبهم واستردّ لبّيت المال أي زيادة في ثرواتهم .

وأكسب عثمان بن عفان المالية العامة وإدارتها المرونة وإن كانت هذه المرونة قد تناولها البعض بالنقد بحجة أنها ساهمت مع عوامل أخرى في قيام الفتنة وقتل الخليفة نفسه ، وحسب علي بن أبي طالب إدارة المال العام من أن يوجه لخدمة النزاع الذي قام بين أنصاره وأنصار معاوية بن أبي سفيان للمطالبة بدم عثمان فلم يستخذه لجانب الأنصار ولا لأغراء المعارضين ولا لتثبيت المواليين .

نظام العطاء :

أسفرت إدارة المال العام في عهد الخلفاء الراشدين واتساع رقعة الدولة الإسلامية وغازية مواردها العامة عن تحقيق فائض في الأموال العامة تم توزيعه على المسلمين ابتداء من عهد أبي بكر الصديق بالتساوي ثم طوره عمر بن الخطاب فميز بين المسلمين على أساس منازلهم في الإسلام واستمر هذا الأساس في التوزيع في عهد الخليفين بعده ، وتميز نظام العطاء في عهد الخلفاء الراشدين بعدله وشموله ونموه فبدأ محدودا في عهد الخليفة الأول ثم ارتفعت قيمته بعد ذلك (١) .

(١) لمزيد من المعلومات يمكن الرجوع الى كتبنا التالية :
- النظم المالية في الإسلام - طبعة ثالثة - الهيئة المصرية العامة للكتاب .
- السياسة المالية للرسول - الهيئة المصرية العامة للكتاب .
- السياسة المالية لعمر بن الخطاب - الهيئة العامة للكتاب .
- السياسة المالية لعثمان بن عفان - الهيئة المصرية العامة للكتاب .

الفصل الثاني

مخالفات مالية في عهد بني أمية قبل عمر بن عبد العزيز

خلفاء بني أمية قبل عمر بن عبد العزيز :

- كان خلفاء بني أمية قبل عمر بن عبد العزيز هم :
- معاوية بن أبي سفيان (٤٠ - ٦٠) هجرية .
- يزيد بن معاوية بن أبي سفيان (٦٠ - ٦٤) هجرية .
- معاوية بن يزيد بن معاوية (٦٤) هجرية .
- مروان بن الحكم (٦٤ - ٦٥) هجرية .
- عبد الملك بن مروان (٦٥ - ٨٦) هجرية .
- الوليد بن عبد الملك (٨٦ - ٩٦) هجرية .
- سليمان بن عبد الملك (٩٦ - ٩٩) هجرية .

وقد هبط في عهودهم مستوى أداء المالية العامة الاسلامية فلم تعد تتحرك تحركا منضبطا يهتدى من القرآن الكريم وسنة الرسول صلى الله عليه وسلم ونهج الخلفاء الراشدين من بعده ، بل مالت عن الانضباط المالي الاسلامي ووقعت بها بعض التجاوزات والمخالفات .

اسباب وقوع المخالفات المالية :

ومن اسباب وقوع التجاوزات المالية أن الامارة لم تعد في الحقيقة بالبيعة وانما أصبحت ملكا يتوارثه الأبناء عن الآباء وأن الرعية انقسمت بين مؤيدين لبني أمية ومناصرين لبني هاشم بعد الحروب التي قامت بين علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان وأن الأمراء الأمويين اضطهدوا من يشايعون بني هاشم وجرموهم بعض حقوقهم من الأموال

العامة ، كما أن بعض أمراء بني أمية انغمسوا في ملاذ الدنيا وترفها ولم يفرقوا بين ماليتهم الخاصة والمالية العامة فنالوا ما يشاءون فبعدوا عن حالة الزهد والتقشف التي كان عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم . كما امتدت التجاوزات الى طريقة اختيار الولاة وعمال الدولة ومنهم عمال الخراج فلم يكن معيار اختيارهم الكفاءة وانما قام الاختيار في بعض الحالات على معايير أخرى منها التشييع للعهد الأموي وصلة القربى بالحكام .

نماذج لمخالفات المالية العامة :

وفيما يلي نماذج من مخالفات وتجاوزات وقعت في العهد الأموي قبل عمر بن عبد العزيز شاملة عناصر المالية العامة ، فن تناول :

- مخالفات الإيرادات العامة .
- مخالفات النفقات العامة .
- مخالفات ادارة المالية العامة وعلى الأخص عمالة الدولة .

— مخالفات عطاء بيت المال .

نماذج من مخالفات الإيرادات العامة :

قتل من تزكى :

جاء رجل الى سمرة بن جندب وكان واليا على البصرة بعد زياد في عهد معاوية وأدى الزكاة لماله ، فجعل يصل في المسجد فجاء رجل فضرب عنقه فاذا رأسه في المسجد وبدنه في ناحية أخرى فمر أحدهم فقال « يقول سبحانه وتعالى (قد أفلح من تزكى وذكر اسم ربه فصل) » (الأعلى / ١٤ ، ١٥) .

ويقول من شهد ذلك : « فما مات سمرة حتى أخذه الزمهرير فمات شر ميتة » (١) .

غلول في الغنائم وخمسها :

— كتب زياد والي معاوية الى الحكم بن عمرو بعد انتصاره في غزوة جبل الأكليل وحصوله على غنائم كثيرة ، « ان أمير المؤمنين كتب الى أن اصطفى له صفراء وبيضاء والروائح فلا تحركن شيئا حتى تخرج ذلك »

(١) تاريخ الطبري لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري - جزء ٥ ص : ٢٩٢ طبعة لانية دار المعارف بمصر .

فكتب اليه الحكم « أما بعد فإن كتابك ورد ، تذكر أن أمير المؤمنين كتب الى أن اصطفى له كل صفراء وبيضاء والروائع ولا نحركن شيئا ، فإن كتاب الله عز وجل قبل كتاب أمير المؤمنين ، وانه والله لو كانت السماوات والأرض رتقا على عبد اتقى الله عز وجل ، جعل الله سبحانه وتعالى له مخرجا » .

وقال للناس : « اغدوا على غنائمكم » فغدا الناس ، وقد عزل الخمس ، فقسم بينهم تلك الغنائم فهدده زياد .

فقال الحكم : اللهم ان كان لي عندك خير فاقبضني ، فمات بخراسان بمرور (٢) .

... لما افتتحت الاندلس في عهد الوليد بن عبد الملك أصاب الناس فيها غنائم ففلوا فيها غلولا كثيرا حملوه في المراكب وركبوا فيها ، فلما وسطوا البحر سمعوا مناديا يقول : اللهم غرق بهم .

فدعوا الله وتقلدوا المصاحف .

فما نشبوا أن أصابتهم ريح عاصفة وضربت المراكب بعضها بعضها حتى تكسرت وغرقت بهم (٣) .

اهداء أساسي في الجزية :

يقضى القرآن المجيد بأن الجزية على من لم يسلم من أهل الكتاب .

وسبق أن أوردنا قول رسول الله صلى الله عليه وسلم « ليس على مسلم جزية » .

ومع ذلك كان الحجاج بن يوسف الثقفي في عهد عبد الملك بن مروان والوليد أول من أبقى الجزية على من أسلم فقد لاحظ أن عددا كبيرا من أهل الذمة قد اعتنقوا الاسلام وأن اسقاط الجزية يؤثر على حصيلتها فآثر بقاء الحصيلة على تطبيق القرآن والحديث (٤) .

(٢) المرجع السابق ص ٢٥١ ، ٢٥٢ .

(٣) فتوح مصر وأخبارها .. لأبي القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد المسلم ابن أمية الخزرجي المصري . - تقديم وتحقيق محمد صبيح - ص ١٤٠ مؤسسة القيسون والنصر .

(٤) الاسلام وأهل الذمة - د. علي حسن الخربوطي ص ١٣٧ - طبعة المجلس الأعلى للفتوى الاسلامية .

ويُفسر أبو عبيد الحديث السابق للرسول صلى الله عليه وسلم فيقول : أن تأويل هذا الحديث أن رجلا لو أسلم في آخر السنة وقد وجبت عليه الجزية أن أسلامه يسقطها عنه فلا تؤخذ منه وإن كانت قد لزمته قبل ذلك ، لأن المسلم لا يؤدي الجزية ولا تكون ديناً عليه كما لا تؤخذ منه فيما يستأنف بعد الإسلام (٥) .

خراج فوق الطاقة :

كتب سليمان بن عبد الملك إلى أسامة بن زيد التنوخي متولى خراج مصر متعسفا في جباية الخراج : احلب الدر حتى ينقطع ، فإذا ما انقطع فاحلب الدم حتى ينصرم ، (٦) .

حصيلة محرمة من عشور التجارة :

كانت تؤخذ عشور التجارة على الخمور (٧) مع أنها محرمة وأن الله إذا حرم شيئا حرم ثمنه .

استيلاء الولاة على حصيلة الإيرادات العامة : -

شهدت الدولة الأموية نماذج من تجاوز أمراء بني أمية بغير حق للولاة على ما جمعه من أموال عامة والاكتفاء بعزلهم بعد ما روى عدم استمرارهم في أعمالهم ، واغتيال مبدأ محاسبة الولاة وعمال الدولة على ما جمعه من أموال عامة يشيع بينهم الاستخفاف بقُدسية المال العام وينمي ظاهرة الاسراف والاستيلاء عليه ويرجع إضرار المنافع الخاصة على النفع العام .

وفيما يلي نماذج للتفاضي عن محاسبة الولاة على ما جمعه من أموال في عهد معاوية بن أبي سفيان ويزيد بن معاوية .

— أراد معاوية بن أبي سفيان أن يعزل عبد الله بن عامر عن البصرة سنة أربع وأربعين هجرية فقال له :

« اختر بين أن أتبع أثرك وأحاسبك بما صار إليك وأردك إلى عملك وبين أن أسوغك ما أصبت وتعتزل » .

فاختار أن يسوغه ما أصابه من ولايته ويعتزل (٨) .

(٥) الأموال لأبي عبيد ... ص ٥٩ .

(٦) عمر بن عبد العزيز / سعد عبد السلام ص ٢١ .

(٧) الأموال لأبي عبيد ص ٦٤ .

(٨) الطبري جزء ٥ مرجع سابق ص ٢١٤ .

— فى سنة احدى وأربعين كان زياد بفارس فكتب معاوية الى زياد :
« ان فى يديك مالا من مال الله وقد وليت ولايه فاد ما عندك من
المال » .

فكتب اليه زياد :

« انه لم يبق عندي شيء من المال » وقد صرفت ما كان عندي فى
وجهه واستودعت بعضه لئازله ان نزلت » .

فكتب اليه معاوية :

« ان أقبل الى تنظر فيما وليت وجرى على يديك فان استقام بيننا
أمر فهو ذاك والا رجعت الى مأمك » .

فلم يأبه زياد (٩) .

وكان على بن أبى طالب رضى الله عنه قد وجه زيادا الى فارس
لحربها وخراجها (١٠) .

— قدم عبد الرحمن بن زياد حاكم خراسان على يزيد بن معاوية
فقال له يزيد : كم قدمت به معك من المال من خراسان قال : عشرين
الف ألف درهم قال يزيد : ان شئت حاسبناك وقبضناها منك ورددناك
على عملك ، وان شئت سوغنناك وعزلناك وتعطى عبد الله بن جعفر
خمسمائة ألف درهم .

قال : بل تسوغنى ما قلت ويستعمل عليها غيرى . وبعث عبد الرحمن
بن زياد الى عبد الله بن جعفر بألف ألف درهم وقال : خمسمائة ألف
من قبل أمير المؤمنين وخمسمائة ألف من قبل (١١) .

حدث هذا فى عهد بنى أمية بينما كان عمر بن الخطاب رضى الله
عنه يحاسب الولاة على الزيادات التى طرأت على أموالهم الخاصة ويقاسمهم
اياها ويوردها لببيت المال .

نماذج مخالفات النفقات العامة :

الاتفاق العام على ترف الأمراء

-
- (٩) الطبرى — جزء ٥ — مرجع سابق ص ١٦٨ .
(١٠) الطبرى — جزء ٥ — مرجع سابق ص ١٣٧ .
(١١) الطبرى — جزء ٥ — مرجع سابق ص ٣١٦ .

في عهد بني أمية اختفى زهد الرسول والخلفاء الراشدين من بعده
وكان لا يتم الفصل بين الأموال العامة وأموال رؤساء الدولة فتمرغوا في
الدنيا وعاشوا عيشة الترف وأنفقوا على ترفهم من بيت مال المسلمين ،
وفيما يلي نماذج لذلك :

— وقال عبد الله بن مسعود بن حكمة الفزاري من بني آل بدر :

تنقل معاوية بن أبي سفيان من بعض كور الشام فبسط له على
ظهره أجار مشرف (أي السطح) على الطريق فأذن لي ، فقعدت معه ، فمرت
القطرات والرحائل والحواري والخيول فقال معاوية :

« يا ابن مسعود ، رحم الله أبو بكر لم يرد الدنيا ولم ترده الدنيا ،
وأما عمر — أو قال ابن حنتم فأرادته الدنيا ولم يردّها ، وأما عثمان فأصاب
من الدنيا وأصابته منه وأما نحن فتمرغنا فيها » .

ثم كانه ندم فقال : « والله انه لملك أتاها الله اياه » (١٢) .

— لما حضرت الوفاة معاوية « أوصى بنصف ماله أن يرد الى بيت
المال كانه أراد أن يطيب له الباقي لأن عمر قاسم عماله » (١٣) .

— اتفق عمرو بن العاص مع معاوية بن أبي سفيان على قتال علي بن
أبي طالب على أن تكون مصر طعمة له ما بقي .

وقد طمع أن تؤول ولاية مصر من بعده لابنه عبد الله وتكون طعمة ،
فكتب بذلك لمعاوية فقال معاوية :

« أراد أبو عبد الله أن يكتب فهدر ، أشهدكم أنني ان بقيت بعده
فقد خلعت عهدي » (١٤) .

— وعن ترف يزيد بن معاوية قيل :

« ان يزيد بن معاوية كان أشد الناس كلفا بالصيد ، وأنه كان
يلبس كلاب الصيد الأساور من الذهب والجلجل المنسوجة منه ، ويهب
لكل كلب عبدا يقوم على رعايته وخدمته » .

وقيل :

« كان يزيد موفر الرغبة في اللهو والقنص والخمر والنساء
والشعر — وكانت ولايته على أصح القولين ثلاث سنين وستة أشهر ففي

(١٢) الطبري جزء ٥ — مرجع سابق ص ٣٢٤ .

(١٣) المرجع السابق — ص ٣٢٧ .

(١٤) المرجع السابق — ص ٣٣٥ .

السنة الأولى قتل الحسين بن علي عليهما السلام وفي السنة الثانية نهب المدينة وأباحها ثلاثة أيام وفي السنة الثالثة غزا الكعبة (١٥) .

— وعن سليمان بن عبد الملك قيل :

« كانت الخلافة الأموية في الكلف بالنعمة الدنيوية على أمتها في سليمان بن عبد الملك فقد كان أكلفهم بنعمة العيش كانت : في طعام أو كساء أو ترف أو سرف أو خيلاء » (١٦) .

« وكان سليمان يجلس وقد بسطت له البسط والتمارق عليها ، وإلى جانبه الأموال والكساوى وآنية الذهب والفضة » (١٧) .

نفقات عادة على مظهرية الحكم :

كان الخليفة من الراشدين يلبس الثوب من الكرياس (١٨) الغليظ وفي رجليه نعلان من ليف ويمشي في الأسواق كبعض الرعية دون حراس أو مظهر من مظاهر السلطان ، غير أن الدولة الأموية بعدهم استحدثت تقاليد عديدة ومميزات تميز بها السلطان ، وأنفق من بيت مال المسلمين على تمويل تلك التقاليد والمميزات .

وكان معاوية بن أبي سفيان هو أول من رأس تلك التقاليد والمميزات فبنى لنفسه قصرا سماه الحضراء واتخذ فيه السرير للجلوس وهو المكان المرتفع أو ما يعرف في الوقت الحاضر بكرسى العرش ، ثم وضع حول هذا السرير الستائر ، كما أحاط نفسه بالحجاب وجعل الحراس يمشون بين يديه وأوجد الشرطة لحراسته . واتخذ المقصورة في المسجد وأصبح يصلي فيها منفردا من الناس ، فإذا سجد قام الحرس واقفين السيوف .

وقد ظهرت أيضا أبهة الملك في عهد عبد الملك بن مروان ، إذ تشبه بملوك الفرس وقياصرة الروم فكان يجلس على عرشه وعلى يمينه الأمراء وعلى يساره رجال الدولة ورجال البلاط ثم يقف أمامه من يريد المثول بين يديه من رسل الملوك والشعراء والكتّاب والفقهاء وغيرهم وصار عبد الملك — كما وصفه أحد المؤرخين المسلمين وهو البلاذري « أول من تجبر من الخلفاء » .

(١٥) ابن طباطبأ - الفخرى ص ١١٣ .

(١٦) عمر بن عبد العزيز - سعد عبد السلام حبيب - دار الفكر العربي - ص ٢١

للا عن معاوية للمقاد ص ٨٣ .

(١٧) المرجع السابق ص ٢٢ .

(١٨) الكرياس : قميص من القطن الأبيض .

وامتدت هذه التقاليد المدهشة الى ولاية بنى أمية وعماهم فقد عين معاوية مثلاً زياد بن أبيه على البصرة ثم أضاف اليه الكوفة حتى صار أميراً على العراق كله - فاتخذ زياد له حرساً خاصاً مدرباً قوامه أربعة آلاف رجل - كانوا له العيون والأرصاد ، كما كان منهم الشرطة لحفظ النظام ، وكان نفر من هذا الحرس يسير أمام موكب زياد يفسح له الطريق أشبه بأكاسرة الفرس (١٩) .

نقائات عامة لاسكات المعارضة :

بعد عصر الخلفاء الراشدين اتخذت حركة الانفاق العام مسارات جديدة بهدف تثبيت سلطان الحكام وكف المعارضة عنهم وأيلولة الحكم الى بنينهم من بعدهم ، ويبين ذلك من النماذج التالية :

- لما قتل على بن أبي طالب رضى الله عنه كان على رأس جيش العراق قيس بن سعد ، فاستخلف أهل العراق الحسن بن علي عليه السلام على الخلافة ، ثم خرج بالناس حتى نزل بالمدائن وبعث قيس بن سعد على مقدمة جيشه فى اثني عشر ألفاً ، وأقبل معاوية فى أهل الشام حتى نزل مسكن ، فبينما الحسن فى المدائن اذ نادى مناد فى العسكر : ألا ان قيس بن سعد قد قتل فانفروا ، فنفروا ونهبوا سرادق الحسن عليه السلام حتى نازعوه بساطاً كان تحته ، فلما رأى الحسن تفرق الناس عنه قام فى أهل العراق فقال : يا أهل العراق انه سخى بنفسى عنكم ثلاث : قتلكم أبى وطعنكم اياى وافتها بكم متاعى .

وبعث الحسن الى معاوية يطلب الصلح فأرسل له رسولان فصالحاه على أن يأخذ من بيت الكوفة خمسة آلاف ألف (٢٠) .

وفى رواية أخرى : صالح الحسن معاوية على أن جعل له ما فى بيت المال وخراج دار بجرد على أن لا يشتم على وهو يسمع - فأخذ ما فى بيت ماله بالكوفة وكان فيه خمسة آلاف ألف .

وتذكر بعض الروايات أن أهل البصرة حالوا بين الحسن بن علي وخراج دار بجرد حين رحيله من الكوفة الى المدينة (٢١) .

(١٩) تاريخ العالم الاسلامى - د. ابراهيم احمد العنوي - مطبعة جامعة القاهرة

ص ١٤١ - ١٤٣ .

(٢٠) الطبرى - جزء ٥ ص ١٥٩ مرجع سابق .

(٢١) المرجع السابق ص ١٦٥ .

وان كان معاويا قد سمح بالمال العام لتثبيت ملكه واسكات المعارضة
الا أن الحسن بن علي بن أبي طالب وأمه فاطمة الزهراء بنت رسول الله
صلى الله عليه وسلم ، فهو من ذى القربى وله نصيب في المال العام
استنادا لاية الخمس السابق الاشارة اليها ، ولم يكن المال الذي أخذه
له وحده ولكن كان أيضا لدى القربى ممن يتبعونه .

— وشيبيه بأموال الحسن بن علي عليه السلام ما أخذه عبد الله بن
عباس وهو ابن عم النبي صلى الله عليه وسلم فقد كان واليا على الكوفة
في عهد علي بن أبي طالب وكان على قضائها من قبل علي بن أبي طالب
أبو الأسود الدؤلي ، فكتب اليه :

« أما بعد ، فإن الله جل علاه جعلك واليا مؤتمنا وداعيا مستوليا
وقد باورناك فوجدناك عظيم الأمانة ناصحا للبيعة توفّر لهم فيهم وتظلف
(وتمنع) نفسك عن دنياهم فلا تأكل أموالهم ولا ترتشي في أحكامهم ،
وان ابن عمك قد أكل ما تحت يديه بغير علمك ، فلم يسعني كتمانك
ذلك ، فانظر رحمك الله فيما هناك واكتب الى برأيك فيما أحببت أنته
اليك والسلام » .

فكتب اليه علي بن أبي طالب رضي الله عنه :

« أما بعد ، فمثلك نصح الامام والأمة ، وادى الأمانة ودل على
الحق . وقد كتبت الى صاحبك فيما كتبت الى فيه من أمره ولم أعلمه أنك
كتبت ، فلا تدع اعلامي بما يكون بحضرتك مما النظر فيه للأمة صلاح ،
فانك بذلك جدير وهو حق واجب عليك والسلام » .

وكتب علي الى ابن عباس في ذلك فكتب اليه ابن عباس :

« أما بعد ، فإن الذي بلغك باطل وانى لما تحت يدي ضابط قائم
له ولة حافظ ، فلا تصدق الظنون . والسلام » .
فكتب اليه علي :

« أما بعد ، فأعلمني ما أخذت من الجزية ومن أين أخذت ، وفيهم
وضعت ؟ »

فكتب اليه ابن عباس يستقيل من العمل :

« أما بعد ، فقد فهمت تعظيمك مرزاة ما بلغك أني رزاة (٢٢) من
مال أهل البلد ، فأبعث الى عميلك من أحببت فاني طاعن عنه
والسلام » (٢٣) .

(٢٢) رزاة المال : أصبه .

(٢٣) الطبرى جزء ٥ — مرجع سابق ص ١٤١ ، ١٤٢ .

فلما قتل على بن أبي طالب رضي الله عنه وعلم عبد الله بن عباس
بالذي يريد الحسن أن يأخذه لنفسه كتب إلى معاوية يسأله الأمان ويشترط
لنفسه على الأموال التي أصابها فشرط ذلك له معاوية (٢٤) .

ومما سبق يبين أن ابن عباس استنكر ما بلغ على بن أبي طالب
من أخذه للأموال العامة وذكر أنه حفيظ على الأموال العامة وقائم عليها
وضابط لها وأن ما بلغه هو من قبيل الظنون ، فلما راجعه على بن أبي
طالب طلب منه أن يولى الكوفة وألّا آخر وزهد في الإمارة ، فلما قتل
على ورأى أن معارضة معاوية غير مجدية ، طلب الأمان لنفسه ولما معه
من أموال ، وهو صاحب نصيب في الأموال العامة باعتباره من ذوى قرى
الرسول صلى الله عليه وسلم فهو ابن عمه ، خصوصا وأن على بن أبي
طالب رضي الله عنه حينئذ ولى أمر المسلمين طلب منه ذوى قرى الرسول
نصيبهم في الخمس تطبيقا للآية فرفض اقتداء بما فعله الخلفاء من قبله .
فمن محمد بن اسحق قال : سألت أبا جعفر محمد بن علي فقلت :
على بن أبي طالب حيث ولى من أمر المسلمين ما ولى كيف صنع في سهم
ذوى القرى ؟

قال أبو جعفر : سلك به سبيل أبي بكر وعمر .

قلت : وكيف أنتم تقولون ما تقولون ؟

فقال : ما كان أهله يصيدون إلا عن رأيه .

قلت : فما منعه ؟

قال : كره . والله . أن يدعى عليه خلاف أبي بكر وعمر وقال على
: ما قنعت هنا لأجل عقلة شديدا عمر .

وعن ابن شيرين عن عبيدة عن علي قال :

« أقضوا كما كنتم تقضون ، فإني أكره الاختلاف ، حتى يكون للناس
جماعة أو أموت على ما مات عليه أصحابي » (٢٥) .

— ومن أمثلة ذلك أيضا ما وقع بين معاوية بن أبي سفيان وبين
قيس بن سعد فقد كان معه أربعون ألفا من أتباع علي بن أبي طالب بعد
أن تركهم الحسن ، فلما فرغ معاوية من الحسن أرسل إلى قيس بن سعد
يذكره الله ويقول : على طاعة من تقاتل وقد بايعني الذي أعطيتك طاعتك ؟
فأبى قيس أن يلين له حتى أرسل له معاوية بسجل قد ختم عليه في
أسفله فقال معاوية : أكتب في هذا السجل ما شئت فهو لك .

(٢٤) المرجع السابق ص ١٥٨ .

(٢٥) الأموال لأبي عبيد ص ٢١٦ .

فلما بعث اليه معاوية بذلك السجل اشترط قيس فيه ولشيعته على
الآمان على ما أصابوا من الدماء والأموال ولم يسأل معاوية في سجله ذلك
مالا وأعطاه معاوية ما سأل ، فدخل قيس ومن معه في طاعته (٢٦) .

— ولم تكن الأموال العامة تعطى للمعارضين فقط بل كانت تعطى
لأقاربهم أيضا فقد طلب هبيرة السكوني من معاوية أن يعفو عن ابن عمه
حجر بن عدي الذي كان يناوئ حكم معاوية ولكن معاوية قتله ، وأرسل
معاوية الى ابن عمه يطلبه ليسترضيه ولكنه لم يأت معاوية ، فلما كان
الليل بعث معاوية اليه بمائة ألف درهم وقال له :

« إن أمير المؤمنين لم يمنعه أن يشفعك في ابن عمك الا شفقة عليك
وعلى أصحابك أن يعيدوا لكم حربا أخرى ، وإن حجر بن عدي لو قد
بقي خشيت أن يكلفك وأصحابك الشغوص اليه ، وأن يكون ذلك من
البلاء على المسلمين ما هو أعظم من قتل حجر » .

فقبلها مالك بن هبيرة وطابت نفسه وأقبل الى معاوية من غده في
جموع قومه حتى دخل عليه ورضى عنه (٢٧) .

تلكات عامة لتأليف القلوب للسلطة وليس للإسلام :

— وفد الأحنف بن قيس وجارية بن قدامة والجون بن قتادة القسمي
والحتات بن يزيد أبو منازل الى معاوية بن أبي سفيان فأعطى كل واحد
منهم مائة ألف وأعطى الحتات سبعين ألفا ، فلما كانوا في الطريق سأل
بعضهم بعضا فأخبروا بجوائزهم فكان الحتات أخذ سبعين ألفا فرجع الى
معاوية فقال له معاوية : ما ردك يا أبا منازل قال الحتات : فضحتني في
بنى تميم ، أما حسبي بصحيح ! أو لست ذا سن ؟ أو لست مطاعا في
عشيرتي ؟

فقال معاوية : بلى .

فقال الحتات : فما بالك خسست في دون القوم ؟

فقال : اني اشتريت من القوم دينهم ووكلتك الى دينك ورأيك في
عثمان بن عفان — وكان عثمانيا .

فقال الحتات : وأنا فاشتر مني ديني .

(٢٦) الطبري جزء ٥ — مرجع سابق ص ١٦٤ .

(٢٧) المرجع السابق — ص ٢٧٨ .

فأمر له معاوية بتمام جائزة القوم (٢٨) *

من هذا يبين أن نوعاً من الاتفاق العام وجه نحو تأليف القلوب لحكم معاوية وليس هذا بتأليف القلوب الذي طبقه الرسول صلى الله عليه وسلم فقد كان يمنح الأموال لحديثي العهد بالاسلام لتقوية ايمانهم أو لرؤساء العشائر لرد أذاهم عن الاسلام والمسلمين ، وشتان بين التأليف ، فتأليف الرسول صلى الله عليه وسلم كان للاسلام وتأليف معاوية كان لاستتباب ملكه وتأييد حكمه . والدليل على ذلك ما كان يوحى به الى عماله عند تعيينهم بالعمل على تمكين سلطانه وشتيم على بن أبي طالب وذمه والترحم على عثمان والاستغفار له ، فقد حدث أن ولي معاوية بن أبي سفيان المغيرة بن شعبة الكوفة ، فكان مما أوصاه به ما يلي :

« وقد أردت إيصاءك بأشياء كثيرة فأنا تاركها اعتماداً على بصرك بما يرضيني ويسعد سلطانى ويصلح به رعيته ، ولست تاركاً إيصاءك بخصلة : لا تنجم (تتورع) عن شتيم على وذمه والترحم على عثمان والاستغفار له والعيب على أصحاب على والاقصاء لهم وترك الاستماع منهم ، وبإطراء شيعة عثمان رضوان الله عليه والادناء لهم والاستماع منهم » (٢٩) .
وتتفيذا لوصية معاوية كان المغيرة يخطب ويقول :

« اللهم ارحم عثمان بن عفان وتجاوز عنه واجزه بأحسن عمله فإنه عمل بكتابك واتبع سنة نبيك صلى الله عليه وسلم وجمع كلمتنا وحقق دماءنا وقتل مظلوما . اللهم فارحم أنصاره وأوليائه ومحبيه والطالبين بدمه ، ويدعو على قتلته (٣٠) . »

اتفاق بعض المال العام على قتال المسلمين :

فجر النزاع بين على ومعاوية وأيلولة الحكم لمعاوية خلافاً فى الراى بين الدولة وبعض طوائف الامة . وأدت تلك الخلافات الى منازعات استخدمت فيها الدولة الأموية جند الاسلام والسلاح والعتاد لفض تلك المنازعات وكان تمويل ذلك من بيت مال المسلمين ، وبذلك استخدم المال العام لقتال وقتل بعض المسلمين بدلاً من أن يوجه لأداء خدمات عامة لهم ومنها استتباب أمنهم الداخلى وأمانهم الخارجى .

(٢٨) الطبرى - جزء ٥ - مرجع سابق ص ٢٤٢ .

(٢٩) المرجع السابق جزء ٥ - ص ٢٥٤ .

(٣٠) المرجع السابق ص ٢٥٤ .

ومن أمثلة ذلك القتال الذي نشب في عهد معاوية بن أبي سفيان بينه وبين الحوارج والقتال الذي وقع في عهد يزيد بن معاوية بن أبي سفيان مع الحسين بن علي وأسفر عن قتله وبعض أهل بيته وعدد ممن شايعة من القبائل ، والقتال في عهد عبد الملك بن مروان الذي أدى لقتل عبد الله بن الزبير وبعض أنصاره (٣١) .

اسراف في النفقات العامة خاشية الولاة وللشعراء :

- استلحق معاوية يزيد ابن سمية بأبيه وولاه البصرة ، فكتب خمسماية من أهل البصرة في صحابته ورزقهم ما بين الثلاثمائة الى الخمسمائة ونظير ذلك نظم أحدهم فيه قصيدة أشاد به وبحكمه ، منها هذه الأبيات :

ألا من مبلغ عني زياداً	فنعم أخو الخليفة والأمير
فأنت أمام معدلة وقصد	وحزم حين تحضرك الأمور
أخوك خليفة الله بن حرب	وأنت وزيره نعم الوزير
بأمر الله منصوب معاف	إذا جاز الرعيمة لا تجور

ويعبر الشاعر عن العطاء وقسمته فيقول :

يدرك على يدك لما أرادوا	من الدنيا لهم حلب غزير
وتقسم بالسواء فلا غنى	لضيم يشتكيك ولا فقير (٣٢)

- مدح الشاعر جرير عبد الملك بن مروان بقصيدة طويلة منها هذا البيت :

الستم خير من ركب المطايا	واندى المساملين بطون راح
--------------------------	--------------------------

وبعد أن فرغ من انشاده أمر له بمائة ناقة كلها سود الخطقة ، وكان بين يديه صحاف من فضة فقال له جرير : يا أمير المؤمنين تأذن لي بواحدة منهم .

فقال : خذها (٣٣) .

(٣١) المرجع السابق ص ٢٥٤ .

(٣٢) الطبري جزء ٥ - مرجع سابق ص ٢٢٣ .

(٣٣) عبد الملك بن مروان (أعلام العرب ١٠) د . محمد فتياء الدين الرئيس ص ٣١٥

من كتاب عمر بن عبد العزيز لسمند عبد السلام ص ١٢٣ .

— ويقول الأخطل في قصيدة قضى سنة ينظمها ليمدح عبد الملك :

الخائف الفجر والميمون طائرهم خلفه الله يستسقى به المطر
وما الفسرات اذ جاشت حواليه في حافتيه وفي أوساطه العشر
يوما بأجود منه حين تساله ولا بأجهر منه حين يجتهر

ثم يمدح بنى أمية فيقول :

حشد على الحق عياقوا الخنا أنف اذا ألمت بهم مكروحة صبروا
شمس العداوة حتى يستفاد لهم وأعظم الناس أحلاما اذا قدروا (١٢)

فلما فرغ الأخطل من انشاده طرب عبد الملك وأمر له بجفنة كانت
بين يديه فملئت دراهم من بيت المال ومنحها له وأنعم عليه بخلع ثمينة .

وهكذا لقاء المال غالى الشعراء في المدح ، وفي سبيل ذلك البسوا
الباطل ثوب الحق فأساموا الى الفضيلة والمثل والقيم ، وصدق قول الله
جل وعلا في بعض الشعراء « والشعراء يتبعهم الفأورون ، ألم تر أنهم في
كل واد يهيمنون وأنهم يقولون ما لا يفعلون » (الشعراء / ٢٢٤ - ٢٢٦) .

نماذج لمخالفات الادارة المالية وعمالة الدولة :

من عوامل نجاح السياسة المالية لأي دولة أن تكون ادارتها رشيدة ،
ولذلك نهى القرآن المجيد عن أن يتولى ادارة الأموال السفهاء وهم من
لا يحسنون ادارتها ، ولذلك كان من أهم عناصر نجاح الادارة المالية
اختيار العاملين بالدولة على أساس الكفاية المطلقة .

وفي العهد الأموي وقبل عمر بن عبد العزيز كان من أسباب هبوط
مستوى الأداء المالي العام ، اهتزاز سياسة عمالة الدولة ، فكان الهدف
السياسي الأول كما ذكرنا هو تثبيت دعائم الحكم الأموي ، وفي سبيل
ذلك كان لا يختار لبعض وظائف الدولة الأصلح والاكفا وإنما أقربهم
مودة وأشدهم حماسا لتأييد السلطة والسلطان ، فتولى الخراج عمال غير
أكفاء أساموا الى بيت المال والمولين وحاد بعضهم عن الحق في التنفيذ
استجابة لرغبات السياسة وتعبيرا عن الولاء لهم .

وفيما يلي نماذج من المخالفات في تعيينات عمالة الدولة :

(٢٤) المصدر السابق ص ١٣٤ .

الاستجابة لطالبي الولاية :

قدم عبد الرحمن بن زياد واقفا على معاوية .

فقال : يا أمير المؤمنين أما لنا حق .

قال : بلى .

قال : فماذا توليني .

قال : بالكوفة النعمان رشيد وهو رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، وعبيد الله بن زياد على البصرة وخراسان وعباد بن زياد على سجستان ، ولست أرى عملا يشبهك إلا أن أشركك في عمل أخيك عبيد الله .

قال : أشركني فإن عمله واسع يحتمل الشراكة .

فولاه معاوية خراسان (٣٥) .

وبهذا استجاب معاوية لطالبي الولاية ، وقد سبق أن سأل الصحابي أبوذر الغفاري النبي صلى الله عليه وسلم الإمارة .

فقال : أنت ضعيف وهي أمانة وهي يوم القيامة خزي وندامة إلا من أخذها بحقها وأدى ما عليه فيها (٣٦) .

مناورات في تعيين عمال الخراج :

— استعمل معاوية عبد الله بن عمرو بن العاص على الكوفة ، فاتاه المغيرة بن شعبه وقال لمعاوية : « استعملت عبد الله بن عمرو على الكوفة وعمرا على مصر فتكون أنت بين يحيى الأسد » فعزل معاوية عبد الله بن عمرو واستعمل المغيرة بن شعبه على الكوفة .

فدخل عمرو على معاوية فقال : استعملت المغيرة على الكوفة ؟

فقال معاوية : نعم .

فقال عمرو : أجملته على الخراج .

فقال معاوية : نعم .

(٣٥) الطبري - جزء ٥ - مرجع سابق ٣١٥ .

(٣٦) الخراج للقاتي أبي يوسف يعقوب بن إبراهيم - الطبعة السلفية .

قال عمرو : تستعمل المغيرة على الخراج فيفتال المال ، فيذهب فلا يستطيع أن تأخذ منه شيئا ، استعمل على الخراج من يخافك ويهابك ويتقيدك فعزل معاوية المغيرة عن الخراج واستعمله على الصلاة •

فلقي المغيرة عمرا فقال : أنت المشير على أمير المؤمنين بما أشرت به في عبد الله ؟

قال المغيرة : نعم •

قال عمرو : هذه بتلك (٣٧) •

فمن هذا يبين أن تعيين عمال الخراج كان يخضع أحيانا للديس والكيد والمناورة •

تعيين لتحقيق المصلحة الشخصية :

— أراد معاوية توجيه عتبة بن أبي سفيان على البصرة ، فكلمه ابن عامر وقال : ان لي بها أموالا وودائع فان لم توجهني عليها ذهبت فلولاه البصرة فقدما في آخر سنة احدى وأربعين هجريا (٣٨) •

وهذا مثال آخر على ان اختيار الوالي كان أحيانا لتحقيق مصالحته الشخصية •

ولاية للقرابة :

في سنة خمس وخمسين هجريا شكوا أهل البصرة الى معاوية واليها عبد الله بن عمرو بن غيلان فعزله معاوية •

وقال لهم : اختاروا من تحبون أن أولى بلدكم •

قالوا : يتخير لنا أمير المؤمنين •

فقال : هل لكم من ابن عامر فهو من عرفتم في شرفه وعفافه وطهارته •

قالوا : أمير المؤمنين أعلم •

فجعل معاوية يردد ذلك عليهم ليسبرهم (يختبرهم ويمتحنهم) •

ثم قال : قد وليت عليكم ابن أخى عبيد الله بن زياد (٣٩) •

(٣٧) الطبرى جزء ٥ - مرجع سابق ص ١٦٦ •

(٣٨) للرجع السابق ص ١٧١ •

(٣٩) الطبرى جزء ٥ - مرجع سابق ص ٢٠٠ •

ولاية للمعاملة :

سأل سعيد بن عثمان بن عفان معاوية أن يستعمله على خراسان وكان يزيد بن معاوية حاضرا .

فقال معاوية : ان بها عبيد الله بن زياد .

فقال : أما لقد اصطنعتك أبي ورقاك حتى بلغت باصطناعه المدي الذي لا يجارى اليه ولا يسامى ، فما شكرت بلاءه ولا جازيته بالآلة وقدمت على هذا (اشارة الى ابن معاوية يزيد) وبايعت له والله لأنا خير منه أبا وأما ونفسا .

فقال معاوية : أما بلاء أبيك فقد يحق على الجزاء به وقد كان من شكرى لذلك أنى طالبت بذلك حتى تكشففت الأمور ولست بلأثم نفس فى التشهير . وأما فضل أبيك على أبيه فأبوك والله خير منى وأقرب برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأما فضل أمك على أمه فما ينكر ، امرأة من قريش خير من امرأة من كلب ، وأما فضلك عليه فما أحب أن الفوطه (٤٠) دحست (٤١) ليزيد رجالا مثلك .

فقال يزيد لأبيه : يا أمير المؤمنين ابن عمك وأنت أحق من نظر فى أمره وقد عتب عليك فأعتبه (٤٢) .

فولاه حرب خراسان وولى اسحق بن طلحة خراجها وكان اسحق ابن خالة معاوية (٤٣) .

الثارة الحقد بين العاملين :

لما كان سعيد بن العاص على المدينة كتب اليه معاوية أن اهدم دار مروان فلم يهدمها فأعاد عليه الكتاب يهدمها فلم يفعل فعزله . وولى مروان فكتب اليه أن اهدم دار سعيد فهم بذلك ، فأراه سعيد كتاب معاوية يهدم داره وأنه لم يفعل فلم يهدم دار سعيد (٤٤) .

تعليمات بمخالفات فى الادارة المالية :

— كتب معاوية الى وردان مولى عمرو بن العاص أمير مصر أن زد كل أمرى من القبط قيراطا ، فرد عليه وردان قائلا « كيف أزيد عليهم وفى عهدهم ألا يزداد عليهم » .

(٤٠) الفوطه : مكان واسع يدعشق وهو إحدى متنزحات الدنيا الأربع .

(٤١) دحست : أى ملكت .

(٤٢) اعتبه : أى أَرْضاه .

(٤٣) الطبرى جزء ٥ - مرجع سابق ص ٢٩٤ .

(٤٤) الطبرى جزء ٥ - مرجع سابق ص ٢٩٤ .

ذلك أن معاهدات الصلح بين الدولة الإسلامية والذميين وما بها من
نصوص ومنها النصوص المتعلقة بالمال العام واجبة التنفيذ بين الطرفين .

— يصور أحد الكتاب إدارة المال العام في عهد معاوية فيقول :

« وان الذي يعلن لمن خصمه على بناء المساجد لا يكف عن الحمد
لنفسه في كل مكان وبكل لسان ! ولو لم يرد من أخبار تلك الفترة ان
معاوية كان يفتق أموال المسلمين على الأعوان ومن يرجى منهم العون .
لكان لمن خصمه على المنابر كافيا للابانة عما صنعه لكسب الثناء عليه ،
واسكات القادحين فيه ولكن أخبار الأموال المبذولة لتغيير الحقائق
في هذه الفترة يفيض بها كتب المادحين ومن لا يمدحون ولا يقدحون .
ولم يعلم أحد مبلغها من الوفر والجسامة ، ولكنها معلومة التقدير ، وان
لم تعلم بالاحصاء وأرقام الحساب ، لأنها استنفذت خزانة الدولة وجرت
الى مضاعفة الكوس والضرائب ومخالفة العهد لأهل الذمة وحسبان الزكاة
من حصة الخزانة التي يستولى عليها ولاية الأمور . . . (٤٥) » .

— قدم سليمان بن عبد الملك المدينة فأعطى بها مالا كثيرا وكان
بصحبه عمر بن عبد العزيز فقال لعمر بن عبد العزيز : كيف رأيت
ما فعلت يا أبا حفص ؟

قال عمر : رأيتك زدت أهل الفنى غنى وتركت أهل الفقر
بفقرهم (٤٦) .

مخالفات في عطاء بيت المال :

كان العطاء في عهد الخلفاء الراشدين مرتبطا بعدالة الاسلام فاتسم
بالحق والعدل والشمول ، غير أنه ابتداء من عهد معاوية اتجه العطاء
اتجاها سياسيا فارتبط منحة في بعض الحالات بتأييد شخص الخليفة
وتدعيم سلطانه وفيما يلي نماذج لذلك .

— قال زياد في عهد معاوية بن أبي سفيان على المنبر مهددا أهل
البصرة بقطع العطاء عنهم اذا لم يكفروه بعض الخارجين على الولاء لمعاوية وله :
« يا أهل البصرة والله لتسكنني هؤلاء أو لأبدن بكم ، والله لئن
أفلت منهم رجل لا تأخذون العام من عطائكم درهما » .

(٤٥) معاوية بن أبي سفيان في الميزان — طبعة دار الهلال بالقاهرة ص ٢٠ ، ٢١ ،
عباس العقاد .

(٤٦) سيرة عمر بن عبد العزيز — ابن عبد الحكم — تعليق أحمد عبيد — الطبعة الثانية
مكتبة ومبة بالقاهرة ص ١١٢ .

فتار الناس فقتلوه (٤٧) •

— كان ما ورد في خطبة عبيد الله بن زياد في عهد يزيد بن معاوية ابن أبي سفيان حينما أقبل الى الكوفة ليواجه الحسين بن علي أن طلب من الناس أن يكتبوا له عن أهل الريب الذين رأيهم الخلف والشقاق وإيما شخص وجد في عرافته أحد منهم صلب على باب داره وألقى عنه العطاء (٤٨) •

— ينوء الفرزدق عن مخالقات العطاء وقد كان معارضا لزياد في عهد معاوية وكان إذا نزل زياد البصرة نزل الفرزدق الكوفة وإذا نزل زياد الكوفة نزل الفرزدق البصرة ، فتوسط الناس لدى زياد فقال :

« لو أتاني لأمنته وأعطيته » •

فبلغ ذلك الفرزدق فرفض في قصيدة طويلة منها هذه الأبيات عن مخالقات العطاء :

دعاني زياد للعطاء ولم أكن	لأكنية ما ساق ذو حسب وفرا
وعند زياد لو يريد عطاءهم	رجال كثير قديرى بهم فقرا
تعود لدى الأبواب طلاب حاجة	غوان من الحاجات أو حاجة بكرا

وفر الفرزدق الى المدينة حتى هلك زياد (٤٩) •

مظالم في المال الخاص

وإذا كان أمراء بني أمية قد ارتكبوا المخالقات السابقة بالنسبة للمال العام ، فقد وقعت بعض الظلمات على المال الخاص ، من ذلك ما رواه الطبرى فقال •

— كان محمد بن يوسف عامل الوليد على اليمن ، فلما حج حمل هدايا للوليد ، فقالت أم البنين زوجة الوليد : اجعل لي هدية محمد بن يوسف فأمر بصرفها اليها ، فلما أرسلت الى محمد بن يوسف طالبة الهدية فأبى وقال ينظر فيها أمير المؤمنين فيرى رأيه •

فقالت للوليد : يا أمير المؤمنين انك أمرت بهدايا محمد أن تصرف الى ولا حاجة لي بها •

(٤٧) الطبرى جزء • — مرجع سابق ص ٢٣٨ •

(٤٨) المرجع السابق ص ٣٥٩ •

(٤٩) الطبرى جزء • — مرجع سابق ص ٢٤٨ •

قال : ولم .

قالت : بلغنى انه غضبها الناس وكلفهم عملها وظلمهم

فلما حمل محمد الهدايا الى الوليد قال : بلغنى انك أصبتها غضبا .

قال : معاذ الله .

فامر الوليد فاستحلف محمد بن يوسف بين الركن والمقام خمسين
يميناً بالله ما غضب شيئا منها ولا ظلم أحدا ولا أصابها الا من طيب
فحلف فقبلها الوليد ودفعها الى أم البنين .

فمات محمد بن يوسف باليمن أصابه داء تقطع منه (٥٠) .

— حدود الله واجبه التطبيق وفى ذلك يقول الله جل علاه :

« تلك حدود الله ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من
تحتها الأنهار خالدین فيها وذلك الفوز العظيم ، ومن يعص الله ورسوله
ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين » (النساء /
١٣ ، ١٤) .

ومع ذلك تولى سليمان بن عبد الملك الحدود عند البحث عن حق
رجل ، فقد كان عمر بن عبد العزيز عنده ذات يوم وعنده ابن سليمان
وهو يومئذ ولى عهده ، وجاء رجل يطلب ميراثا من بعض نساء الخليفة .

فقال سليمان : ما أخال النساء يرثن فى العقار شيئا .

فقال عمر : سبحان الله وأين كتاب الله .

فنادى سليمان بخلام وقال له . اذهب فأتنى بسجل عبد الملك بن
مروان الذى كتب فيه ذلك .

فقال عمر : لكأنك أرسلت الى المصحف .

فغضب أيوب بن سليمان .

وقال لعمر : والله ليوشكن الرجل أن يتكلم بمثل هذا عند أمين
المؤمنين فلا يشعر حتى يفارقه رأسه .

فقال عمر : اذا أفضى الأمر اليك والى أمثالك كان ما يدخل على
الاسلام أشد مما يخشى عليكم من هذا القول (٥١) .

(٥٠) الطبرى جزء ٦ - مرجع سابق ص ٤٩٨ .

(٥١) سيرة عمر بن عبد العزيز - لابن عبد الحكم - تعليق أحمد عبيد - طبعة ثانية

ص ٢٧ .

مقارنة السياسة المالية للخلفاء الراشدين والأمويين :

في ضوء ما سبق يمكن المقارنة بين أوضاع السياسة المالية في عهد الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم وعهد الأمويين قبل عمر بن عبد العزيز على النحو التالي :

— اتفق المهادن بصفة عامة على تطبيق الإيرادات العامة الإسلامية وهي الزكاة وخمس الغنائم والحراج والجزية وعشور التجارة ، وإن كان سيتضح فيما بعد أن حكام بني أمية فرضوا نوعاً من الرسوم لم تكن في عهد الخلفاء الراشدين .

— تم تطبيق هذه الإيرادات العامة في عهد الخلفاء الراشدين بالتزام أحكام القرآن المجيد وسنن الرسول الكريم ، بينما حدثت في عهد بني أمية تجاوزات ومخالفات في التطبيق .

— حاد الاتفاق العام في عهد بني أمية عن الترشيد الكامل في عهد الخلفاء الراشدين فاعترف حكام بني أمية من المال بغير حساب وكان لبعض حاشية نالها نصيب من الأموال العامة وترك لبعض الولاة بعض ما حصلوه من المال العام ، كما أنفق من بيت المال لتأييد الحكم وتثبيت السلطة وأغراء المعارضة لتسكت .

— كان تعيين الولاة والعمال في عهد الخلفاء يتم بصفة عامة على أساس الإصلاح والأخلاق ، بينما كان يتم في عهد بني أمية في بعض الحالات على أساس الثقة ، وفي بعض الحالات الأخرى على أساس القرابة والمجاملة مما عكس أثره على كفاءة السياسة المالية للدولة .

— التزمت إدارة المالية العامة في عهد الخلفاء الراشدين بالتقوى فشجع الحق على التنفيذ وعمت العدالة المالية في تحديد الأوعية الخاضعة للفرائض المالية وللمذات النصوص المالية التي تضمنتها عقود الصلح مع أهل الذمة وعومل أهل الذمة بالرفق والرحمة تنفيذاً لتعاليم الرسول صلى الله عليه وسلم ، بينما في عهد بني أمية طرأت تجاوزات ومخالفات في إدارة المالية العامة حادت بها عن خط التقوى ومبادئها .

— كان لكل حظه من عطاء بيت المال في عهد الخلفاء الراشدين ، ولكن في عهد بني أمية ، اتخذ العطاء سلاحاً لتحقيق سياسة الدولة فأغدق على المؤيدين وحرّم منه المعارضون .

— تضمنت آثار المخالفات المالية في عهد بني أمية وقوع مظالم على الناس ولم يكن ذلك يحدث في عهد الخلفاء الراشدين .

الأسس العامة المطلوبة لاصلاح مسار السياسة المالية للدولة :

ينبغي على ما سبق أن اصلاح السياسة المالية للدولة ينبغي أن يقوم على أسس تؤدي الى ازالة المخالفات التي لحقت بها ، حتى تعود لما كانت عليه أيام الخلفاء الراشدين وتكون هذه الأسس كالآتي : -

- ازالة ما اعتري الايرادات العامة من مخالفات .
- ترشيده الانفاق العام .
- التزام الكفاءة والصلاحية في تعيين ولاة الدولة وعمالها .
- التزام اطار التقوى في ادارة السياسة المالية .
- حصول كل صاحب حق على حقه من عطاء بيت المال .
- رد المظالم التي وقعت في عهد بني أمية .

نبوة الرسول بالاصلاح تتحقق :

امتدت المخالفات في السياسة المالية حتى عهد الخليفة الأموي سليمان ابن عبد الملك وقد توفي يوم الجمعة لعشر ليال بقين من صفر سنة تسع وتسعين هجرية (٥٢) .

وبذلك آن أوان نبوة الرسول صلى الله عليه وسلم بالاصلاح ، طبقا لحديثه الذي رواه أحمد بن حنبل وهو : « ان الله عز وجل يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة رجلا يقيم لها أمر دينها » (٥٣) .

وسنرى في الأبواب التالية أن الله عز وجل بعث للأمة الاسلامية عمر بن عبد العزيز ليقيم لها أمر دينها في المالية العامة الاسلامية .

(٥٢) الطبري جزء ٦ - مرجع سابق ص ٥٤٦ .

(٥٣) الامام الشافعي - للاستاذ عبد الجليل الجندبي ص ٣٨٠ طبعة المجلس الاعلى

للمشؤون الاسلامية .

الباب الثاني

خلافة عمر بن عبد العزيز وسياسته المالية

الفصل الأول

خلافة عمر بن عبد العزيز

نبذة عن خلافة عمر بن عبد العزيز :

رأى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه ذات ليلة رؤيا نهض من نومه على أثرها يعجب ويقول :

« من هذا الذى من ولد عمر يسمى عمر يسير بسيرة عمر » .

وكان يقول أيضا :

« ان من نسلى رجلا بوجهه شج يلى الخلافة ويملا الدنيا عدلا » .

وتقل عبد الله بن عمر رضى الله عنهما عن أبيه تلك النبوة ، فكان يقول :

« ليت شعري من هذا الذى من ولد عمر بن الخطاب فى وجهه علامة يملأ الأرض عدلا » .

وبدأت أولى حلقات نبوة عمر بن الخطاب رضى الله عنه تتحقق فى حياته فقد خرج ذات ليلة كعادته يتفقد أحوال الرعية فى مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم ، فترامى الى أذنيه حديثا جرى بين أم وأبنتها وتسرب من أحد المنازل ، وكان كالآتى : -

الأم : ألا تمذقين (أى تخلطين) اللبن بالماء .

البنت : كيف أمذق اللبن يا أماء وقد نهى أمير المؤمنين عن المنق ؟

الأم : قد منق الناس فأمذقى ، فما يدرى أمير المؤمنين وهو لا يرانا .

البنات : ان كان لا يعلم ولا يرانا فانه يعلم وهو يرانا ، ما كنت
افعله وقد نهى عنه .

تملك عمر بن الخطاب الاعجاب بصلاح الفتاة وخشيتها الله جل وعلا
فلما أصبح الصباح تحرى عنها فاذا هي من بنى هلال .

فنادى ابنه عاصم وقال له : اذهب يا بنى فتزوجها فما احراها ان
تأتى بغارس يسود العرب .

أطاع عاصم أباه وتزوج الفتاة فولدت له ليلي المصروفة باسم
« أم عاصم » وتزوجها فيما بعد أمير من أمراء العرب وهو عبد العزيز
ابن مروان بن الحكم فأنجبت ولدا أسمته باسم جدها عمر فكان عمر
ابن عبد العزيز بن مروان ابن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن
عبد مناف .

وأمه أم عاصم ليلي بنت عاصم بن عمر بن الخطاب رضى الله عنه .

وكان مولده فى سنة احدى وستين هجرية وهى السنة التى قتل فيها
الحسين بن على ، وفى طفولته رمحته دابة فى وجهه وهو بدمشق فأتت به
أمه وضمتها اليها وجعلت تمسح الدم عن وجهه وهى تبكى .

ودخل عليها أبوه وهى على تلك الحال فأقبلت عليه تمذله وتلومه
فقد ترك رمح الدابة شجا فى وجهه فقال لها : اهدلى أم عاصم ، فطوباك
اذا كان عمر أشجع بنى أمية فسيل خلافة الاسلام والمسلمين .

وبدأت ارهاصات خلافة الطفل تتوالى .

فلما شب ، وبينما كان يتلقى العلم على يدى أحد شيوخه سألته عن
سبب الشج فى وجهه فشرح له قصة الدابة التى رمحته .

فقال الشيخ : أنت اذن أشجع بنى مروان ؟ ستلى يا بنى الخلافة يوما
فتملا الأرض عدلا ونورا بعد أن ملئت ظلما .

وحدث الحزاعى عن عمر بن عبد العزيز أنه رأى رسول الله صلى الله
عليه وسلم فى روضة خضراء فقال له : انك ستلى أمر أمتى فزع (١) عن
الدم فان اسمك فى الناس عمر بن عبد العزيز واسمك عند الله جابر (٢) .

ويروى أبو بكر بن أبى الدنيا رواية أخرى عن عمر بن عبد العزيز :
أنه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو

(١) فزع أى فكف .

(٢) عمر بن عبد العزيز لأبى كثير القرظى - تقديم وتعليق أحمد الشرباصى - دار
الطباعة والنشر ص ٥٧ .

يقول : أدن يا عمر
قد نوت حتى خشيت أن أصيبه
فقال : اذا وليت فاعمل نحوا من عمل هذين .
فاذا كهلان قد اكتنفاه
فقلت : ومن هذان
فقال : هذا أبو بكر وهذا عمر (٣) .

خلافة عمر بن عبد العزيز : -

قص وزير سليمان بن عبد الملك رجاء بن حيوة (٤) وكان من علماء
التابعين وفضلاتهم قصة خلافة عمر بن عبد العزيز فقال :
لما كان يوم الجمعة لبس سليمان بن عبد الملك ثيابا خضرا من خز ،
ونظر في المرأة .
فقال : أنا والله الملك الشاب
فخرج الى الصلاة فصلى بالناس الجمعة فلم يرجع حتى وعك
فلما ثقل (٥) عهد في كتابه كتبه لبعض بنييه وهو غلام ولم يبلغ .
فقلت : ما تصنع يا أمير المؤمنين ! انه مما يحفظ الخليفة في قبره
أن يستخلف على المسلمين الرجل الصالح .
فقال سليمان : أنا أستخير الله وأنظر فيه
فمكث يوما أو يومين فدعاني
فقال : ما ترى في داود بن سليمان
فقلت : هو غائب عنك بقسطنطينية وأنت لا تدري أحى هو أم ميت
فقال لي : فمن ترى
قلت : رأيك يا أمير المؤمنين
وكنت أريد أنظر من يذكر

(٣) المرجع السابق ص ٦٧ .

(٤) هو أبو المقدام - أو أبو نصر - رجاء بن حيوة بن جندل الكندي الشامي الفلسطيني
القاضي الإمام ، روى عن كثير من الصحابة وخلائق من التابعين وروى عنه جماعات من
التابعين وكان ثقة فاضلا (عمر بن عبد العزيز لابن كثير القرطبي - تقديم وتصديق
أحمد القرطبي حاشي ص ٥٩) .
(٥) ثقل : أى اشتد مرضه .

قال : كيف قرى فى عمر بن عبد العزيز

فقلت : أعلمه والله خيرا فاضلا مسلما

فقال : هو والله على ذلك .

ثم قال : والله لئن وليتسه ولم أول أحدا سواء لتكونن فتنه ولا يتركونه أبدا بل عليهم ألا أن يجعل أحدهم بعده ، فيزيد ابن عبد الملك أجعله بعده فان ذلك مما يسكنهم ويرضون به . (٦)

قلت : رأيك

فكتب سليمان :

« بسم الله الرحمن الرحيم »

« هذا كتاب من عبد الله سليمان أمير المؤمنين لعمر بن عبد العزيز ،
أنى قد وليتك الخلافة من بعدى ومن بعده يزيد بن عبد الملك ، فاسمعوا له
وأطيعوا واتقوا الله ولا تختلفوا فيطمع فيكم » .

وختم الكتاب .

وأرسل سليمان فى طلب صاحب الشرطة فلما حضر

قال : مر أهل بيتى فليجتمعوا

فأرسل صاحب الشرطة اليهم أن يجتمعوا فاجتمعوا

ثم قال سليمان لوزيره رجاء بعد اجتماعهم : اذهب بكتايب هذا
اليهم فأخبرهم أن هذا كتايب وأمرهم فلبيايعوا من وليت فيه ، ففعل
رجاء ، فلما قال رجاء ذلك لهم قالوا : ندخل فتسلم على أمير المؤمنين .

قال : نعم

فدخلوا

فقال لهم سليمان : فى هذا الكتاب - وهو يشير لهم وهم ينظرون
اليه فى يد الوزير - عهدى « فاسمعوا وأطيعوا وبايعوا لمن سميت فى هذا
الكتاب » .

فبايعوه رجلا رجلا

(٦) تذكر بعض الروايات أن سليمان بن عبد الملك قال أيضا مشيرا إلى استخلافه
لعمر بن عبد العزيز « لا علقن قلنا لا يكون للشيطان فيه نصيب » .
القر سيرة عمر بن عبد العزيز لابن عبد الحكم ، تعليق أحمد هبيل - طبعة ثانية
ص ٢٩ .

قال رجاء : فلما تفرقوا جاءني عمر بن عبد العزيز فقال : أخشى أن يكون قد أسند إلى شيئا من هذا الأمر ، فأنتشدك الله وحرمتي ومودتي إلا أعلمتني أن كان حتى أستعفيه الآن قبل أن تأتي حال لا أقدر فيها على ما أقدر عليه الساعة .

قال رجاء : لا والله ما أنا بمخبرك حرفا .

فذهب عمر غضبان

قال رجاء : لقيني هشام به عبد الملك - وكان أخو الخليفة سليمان وكان يتطلع إلى المنصب .

فقال : يا رجاء ان لي بك حرمة ومودة قديمة ، وعندى شكر ، فاعلمني هذا الأمر ، فإن كان إلى علمت ، وإن كان إلى غيري تكلمت . فليس مثلي قصر به ، فاعلمني فلك الله على ألا ذكر من ذلك شيئا أبدا .

فأبى رجاء وقال : والله لا أخبرك حرفا واحدا مما أسر إلى .

فانصرف هشام وهو قد ينس

ودخل رجاء على سليمان فاذا هو يعاني سكرات الموت .

وقال : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله

ومات فسجاء رجاء بقطيفة خضراء

وأرسلت زوجة سليمان إلى رجاء تقول : كيف أصبح ؟

فاجاب رجاء : نائم وقد تفتى .

قال رجاء : وأجلست على الباب من أثق وأوصيته ألا يبرح حتى آتية ، فلا يدخل على الخليفة أحد ، فخرجت وأرسلت إلى صاحب الشرطة فجمع أهل بيت أمير المؤمنين فاجتمعوا في مسجد دائق .

فقلت : بايعوا

فقالوا : قد بايعنا مرة وتبايع أخرى .

قلت : هذا عهد أمير المؤمنين فبايعوا على ما أمر به ومن سمي في هذا الكتاب المختوم فبايعوا الثانية رجلا رجلا .

فلما بايعوا بعد موت سليمان رأيت أني أحكمت الأمر

قلت : قوموا إلى صاحبكم فلكم ما نك .

قَالُوا : انا لله وانا اليه راجعون .
 وقرأت الكتاب عليهم فلما انتهيت الى ذكر عمر بن عبد العزيز
 نادى هشام بن عبد الملك : لا نبايعه أبدا
 قلت : أضرب والله عنقك ، قم فبايع
 فقام يجر رجله
 وأخذت بعمر بن عبد العزيز فأجلسته على المنبر
 وقال عمر بن عبد العزيز « انا لله وانا اليه راجعون » لكرهته
 لتولى الخلافة (٧) .
 وقال هشام بن عبد الملك « انا لله وانا اليه راجعون » لأنه نحي
 عنها (٨) .

وتم ذلك في سنة تسع وتسعين هجرية .
 وأراد عمر أن يتأكد منبيعة الناس له فخطب الناس وقال :
 « أيها الناس ، اني قد ابتليت بهذا الأمر من غير رأى كان مني فيه
 ولا طلبت له ولا مشورة على المسلمين ، واني قد خلعت ما في أعناقكم
 من بيعتي ، فاختراروا لأنفسكم ولأمركم من تريدون » .
 فصاح المسلمون صيحة واحدة : « بل اياك نختار ، يا أمير
 المؤمنين » (٩) .

رؤى منامية عن خلافة « عمر بن عبد العزيز » :
 وقد أحاطت بالبيعة لعمر بن عبد العزيز رؤى منامية مختلفة
 أوردها بعض المؤلفين :

فكان عمران بن شرحبيل بن حسنة يقول ان رجلا رأى في المنام
 ليلة ولي عمر بن عبد العزيز الخلافة أن مناديا بين السماء والأرض ينادي

(٧) « فلم يكن في الخلافة مطمح ، فسلميان بن عبد الملك كان له أولاده ومن عادة
 خلفاء بني أمية ايثار أولادهم بالاستخلاف ، فعلم ذلك معاوية الثاني ثم فعله مروان حين
 استخلف ولده عبد الملك وأراد عبد الملك حين أراد منحية أخيه عبد العزيز وأخذ البيعة
 لولده الوليد » .

(٨) الطبري جزء ٦ - مرجع سابق ص ٥٥٢ .

(٩) معجزة الاسلام - عمر بن عبد العزيز - خالد محمد خالد - ص ٩٠ - طبعة دار
 المعارف .

اتاكم الدين والدين واطهار العمل الصالح في المصلين فقال : ومن هو ؟
فنزل فكتب في الأرض : « عمر » (١٠) *

وعن وهيب بن الورد قال : بينما نحن خلف المقام اذ رايت كان
داخلا من باب بنى شيبه :

وهو يقول : يا ايها الناس ولي عليكم كتاب الله

فقلت : من

فاشار الى ظفري واذا مكتوب عليه : « ع م ر » ، فجاءت بيمة
عمر بن عبد العزيز « (١١) ، (١٢) » *

تحققت اذن نبوة عمر بن الخطاب رضى الله عنه فتولى خلافة الاسلام
والمسلمين من ولده رجل بوجهه شج *

مواصفات عمر تؤهله للاصلاح المالى :

حينما ولي عمر بن عبد العزيز اماره الدولة الاسلامية كانت صفاته
تنبئ بأنه سيقود بنجاح الاصلاح العام ومنه الاصلاح المالى - فقد

- التزم طريق التقوى *

- نهل من منابع العلم *

- اخذ بالشورى *

- اقام العدل *

ونوضح ذلك فيما يل :

تقوى الأمير تصلح مسار المال العام :

عن تقوى عمر بن عبد العزيز قيل

- فاجأته أمه ذات يوم وهو طفل فى حجرته وحده يبكى وينتحب،

وألقت نفسها عليه متسائلة عما دهاه *

فكان جوابه « لا شىء يا أماء - انما ذكرت الموت » (١٣)

(١٠) عمر بن عبد العزيز - لابن كثير القرطبي - تقديم وتعليق أحمد الشرباصي

ص ٤١ - دار التوزيع والطباعة والنشر *

(١١) المرجع السابق - هامش ص ٤١ *

(١٢) رأينا ذكر الرؤى المتنامية لجرد الاحاطة والعلم *

(١٣) معجزة الاسلام عمر بن عبد العزيز - خالد محمد خالد - طبعة ثالثة ص ٢٨ *

— قال أنس بن مالك : ما صليت وراء امام أشبه بصلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا الفتى — يعنى عمر بن عبد العزيز — حين كان على المدينة • فكان يتم الركوع والسجود ، وينخف القيام والقعود (١٤)

— قال عبد الله بن طاووس ق رأيت أبى تواقف هو وعمر بن عبد العزيز من بعد صلاة العشاء ، حتى أصبحت فلما افترقا

قلت : يا أبت من هذا الرجل ؟

قال : هذا عمر بن عبد العزيز وهو من صالحى هذا البيت — يعنى بنى أمية (١٥) •

— قال عبد الله بن كثير :

قلت لعمر بن عبد العزيز : ما كان بدء انابتك ؟

قال : أردت ضرب غلام لى قال لى : أذكر ليسلة صبيحتها يوم القيامة (١٦) •

— وجاء رجل الى سعيد بن المسيب

فسأله : من المهدي

قال سعيد : أدخلت دار مروان ؟

قال : لا

قال : فأدخل دار مروان ترى المهدي

فأتى الرجل دار مروان فرأى الأمير عمر بن عبد العزيز والناس مجتمعين •

فعاد الى سعيد بن المسيب وقال : يا أبا محمد دخلت دار مروان فلم أر أحدا ، أقول هذا المهدي •

فسأله سعيد : هل رأيت الأشيخ عمر بن عبد العزيز القاهض على السرير ؟

(١٤) عمر بن عبد العزيز • ابن كثير القرشى — تملق أحمد الشرباحى ص ٤٩ •

(١٥) المرجع السابق ص ٥٠ — عبد الله بن طاووس القاهض عابد وأبوه من كبار العلماء والفكر على جلالة وعلمه وحفظه وصلاته •

(١٦) المرجع السابق ص ٥١ • وعبد الله بن كثير هو أحد القراء السبعة كان ثقة وله أحاديث صالحة •

قال : نعم

قال : فهو المهدي (١٧)

— لما خرج عمر بن عبد العزيز سنة ثمان وثمانين ومعه جماعة من قريش ، فلما كان بالتنعيم لقيهم نفر من قريش فأخبروه أن مكة قليلة الماء وأنهم يخافون على الحجيج العطش وذلك أن المطر قل .

فقال عمر : فالمطلب ما هنا بين ، تمالوا ندع الله .

فدعوا الله ودعا معهم فالحوا في الدعاء ، فلما كان الليل سكبت السماء ومطرت عرفة ومعنى وجمعت مكة تلك السنة للخصب (١٨) — وقال رياح بن عبيدة البساحي الكوفي وكان من خواص عمر بن عبد العزيز ومن جلسائه — خرج عمر بن عبد العزيز إلى الصلاة وشميع متوكئ على يده .

فقلت في نفسي : ان هذا الشيخ جاف ؟

فلما صلى ودخل لحقته فقلت : أصليح الله الأمير ، من هذا الشيخ الذي أتكاته يدك ؟

فقال : يا رياح أرايته ؟

قلت : نعم

قال : ما أحسبك يا رياح إلا رجلا صالحا ، ذلك أخى الخضر .
أتاني فاعلمني أني سألى أمر هذه الأمة وأنى ساعدل فيها (١٩) .

— أبان ولايته للمدينة أطاع عمر بن عبد العزيز أمر الوليد فجلد خبيب بن عبد الله بن الزبير خمسين سوطا وصحب على رأسه قربة من ماء في يوم شات ووقفه على باب المسجد فمكت يوما ثم مات . وكان الوليد بناء على كتاب من الحجاج يظن أن خبيب يعد للثار لأبيه وللوثوب على الملك .

ندم عمر على ما فعل ندما شديدا وأغلق على نفسه باب داره سبعين يوما ، ولما عزل عن المدينة في سنة ثلاث وتسعين وخرج منها التفت إليها وبكى .

(١٧) سعيد بن المسيب من المشتغلين بعلوم الحديث والفقه الذين كانوا يعرفون بأسم أهل الحديث أو التابعين . وقد سبق التنويه عنه .

(١٨) تاريخ الطبري جزء ٦ مرجع سابق ص ٤٣٨ .

(١٩) عمر بن عبد العزيز لابن كثير القرشي مرجع سابق ص ٥٧ . ٥٨ . وقد وردت في أكثر من مرجع . — رياح بن عبيدة الكوفي — سكن الحجاز وهو ثقة وكان من العباد .

وقال لمولاه : يا مزاحم نخشى أن نكون ممن نفت المدينة (٢٠) .

وكان في قوله يستند الى حديث للرسول صلى الله عليه وسلم
« ان المدينة كالكبر تخرج الخبيث ، لا تقوم الساعة حتى تنفى المدينة
شرارها كما تنفى الكبر خبيث الحديد » . رواه مسلم (٢١) .

وكثيرا وهو خليفة ما كان يتذكر ذلك الحادث فيبكي بالرغم من أنه
دفع دية خبيب الى أوليائه لما استخلف .

فيقول له حواريوه المقربون .

فيم بكأؤك وقد وفقك الله لعمل أهل الجنة ؟

فتزداد دموعه ويقول : كيف بخبيب ؟؟ كيف بخبيب ؟؟ ان نجوت
من خبيب فأنا بخير (٢٢) .

— أحاط عمر بن عبد العزيز حكمه بتقوى الله وعبر عن ذلك
تعبيرا واضحا بالكثير من كلماته وخطبه وفيما يلي نموذج لاحدى خطبه :

« لقد سن رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلفاؤه من بعده
سننا الأخذ بها اعتصام بكتاب الله وقوة لدين الله ليس لأحد تبديلها
ولا الركون لأمر خالفها ، من اهتدى بها فهو المهتد » .

ومن استنصر بها فهو المنصور .

ومن تركها واتبع غير سبيل المؤمنين ولاه الله ما تولى وأصلاه جهنم
وساعت مصيرا .

أيها الناس :

انه ليس بعد نبيكم نبي وليس بعد الكتاب الذى أنزل عليه كتاب ،

فما أحل الله على لسان نبيه فهو حلال الى يوم القيامة ،

ألا وأنى لست بقاض وإنما أنا منفذ ، ولست بمبتدع إنما أن متبع ،

ولست بخيركم إنما أنا منكم غير أنى أثقلكم حملا ، (٢٣) .

(٢٠) الطبرى جزء ٦ - مرجع سابق ص ٤٨٢ .

(٢١) عمر بن عبد العزيز - لابن كثير القرشى - مرجع سابق ص ٤٦ .

(٢٢) معجزة الاسلام - عمر بن عبد العزيز - مرجع سابق ص ١٠٤ ، ١٠٥ وسيرة

عمر لابن الجوزى ص ٣٣ - ٣٥ - عمر بن عبد العزيز - سعد عبد السلام حبيب ص ٤٣ .

(٢٣) معجزة الاسلام عمر بن عبد العزيز - مرجع سابق ص ١٨ .

- أصبحت تقواه في عهده سنة عامة يتحدث بها الناس ويقتدون بها ، فيقول الطبري « كان الوليد صاحب بناء واتخاذ المصانع والضياع ، وكان الناس يلتقون في زمانه ، فانما يسال بعضهم بعضا عن البناء والمصانع - فولى سليمان فكان صاحب تكاح وطعام - فكان الناس يسال بعضهم بعضا عن التزويج والجوزى » .

فلما ولى عمر بن عبد العزيز كانوا يلتقون فيقول الرجل للرجل ما وردك الليلة ؟ وكم تحفظ من القرآن ومتى تختم ومتى ختمت ؟ وما تصوم من الشهر ؟ (٢٤) .

فعمد بن عبد العزيز اذن كان من الأتقياء ، والتقوى في المالية العامة الاسلامية ضرورية لتخطيط ايراداتها ونفقاتها وادارتها فتجعلها تنبع من فصادرها الأصلية وهي القرآن المجيد والسنة النبوية وتعصم مسارها من أهواء الحكام ونزعات العمال وتقومه بالاصلاح ان حاد عن الجادة ونكص عن الاستقامة .

علم الرئيس يشع على المالية العامة : -

علم رؤساء الدول ميزة كبرى تمكنهم من مناقشة وتوجيه واعتماد سياسات الدولة ومنها السياسية المالية ، ويصبح علم الرئيس ضرورة قصوى اذا كان يدير سياسات الدولة ادارة مباشرة . كما كان الشأن في عهود الاسلام الأولى ، فاشرافه المباشر على سياسة المالية العامة وتنفيذها يتطلب منه ان يتأكد من سلامة السياسة الموضوعة وأن تنفيذها يسير في المسار السليم وأن الأموال العامة تدار ادارة رشيدة ولا يتحقق ذلك الا بالعلم والخبرة . وفي المالية العامة الاسلامية يتسع علم الرئيس ليشمل علوم القرآن واحكام السنة وسائر العلوم المتصلة بها .

وهذا ما توفر في « عمر بن عبد العزيز » قبل ولايته خلافة المسلمين .

- فقد جمع القرآن وهو صغير ، وبأن حرصه على العلم من صغره ، فيقول الزبير وابن بكار ان أول ما استبين عن رشد عمر بن عبد العزيز حرصه على العلم ورغبته في الأدب ، ان أباه ولى مصر وهو حديث السن يشك في بلوغه ، فأراد أبوه اخراجه معه الى مصر من الشام .

فقال له : يا أبت أو غير ذلك لعله يكون أنفع لي ولك ؟

(٢٤) الطبري جزء ٦ - مرجع سابق ص ٤٩٧ .

قال : وما هو .

قال : ترحلنى الى المدينة فأقعد الى فقهاؤها وأتأدب بأدابهم (٢٥) .
فأرسله أبوه الى المدينة فقدم مع مشايخ قریش وتلقى العلم عنهم
وأقبل على العربية وآدابها وشعرها فاستوعب محصولا وفيرا .

— وقد تحدث هو فيما بعد عن علمه فى طفولته .

فقال : « لقد رأيتنى بالمدينة غلاما مع الغلمان ثم تأقت نفسى للعلم
فأصببت منه حاجتى » (٢٦) .

— والشهادات بعلمه كثيرة

كان أبوه قد جعله عند صالح بن كيسان يؤدبه ، فلما حج أبوه
اجتاز به فى المدينة فسأله عنه .

فقال الضحاك بن عثمان : ما خبرت أحدا الله أعظم فى صدره من
هذا الغلام (٢٧) .

وعن ميمون بن مهران : أتينا عمر بن عبد العزيز فظننا أنه يحتاج
إلينا فإذا نحن عنده تلاميذه (٢٨) .

وقال سفيان : كانت العلماء مع عمر بن عبد العزيز تلاميذه (٢٩) .

وعن مجاهد : أتينا عمر لما برحنا حتى تعلمنا منه (٣٠) .

وقال ابن وهب : حدثنى الليث عن أبى النصر المدينى ؟

قال : رأيت سليمان بن يسار خارجا من عند عمر بن عبد العزيز

فقلت له : من عند عمر خرجت ؟

قال : نعم

قلت : تعلمونه

(٢٥) عمر بن عبد العزيز لابن كثير القرشى تعليق أحمد الشرباصى ص ٤٥ .

(٢٦) معجزة الاسلام — عمر بن عبد العزيز — خالد محمد خالد ص ٢٦ .

(٢٧) المرجع السابق ص ٢٩ — وصالح بن كيسان هو أبو محمد صالح بن كيسان
المولى ثقة ثبت فقيه مات بعد سنة ثلاثين ومائة هجرية .

(٢٨) عمر بن عبد العزيز — لابن كثير القرشى تعليق أحمد الشرباصى (ص ٥٠) .

(٢٩) ، (٣٠) المرجع السابق ص ٥٠ — ومجاهد هو مجاهد بن جبير كان من الأنسبة

للمعمرين .

قال : نعم

فقلت : هو والله أعلمكم (٣١) *

وقال الليث : حدثني رجل كان صاحب ابن عمر وابن عباس وكان
عمر بن عبد العزيز يستعمل الرجل على الجزيرة فقال :

« ما التمسنا علم شيء الا وجدنا عمر بن عبد العزيز أعلم الناس
بأصله وفرعه وما كان العلماء عند عمر بن عبد العزيز الا تلامذه » (٣٢) *

وقال ابن وهب أيضا : حدثني الليث ، حدثني قادم البربري انه
ذاكر ربيعة بن أبي عبد الرحمن يوما شيئا من قضايا عمر بن عبد العزيز
— اذ كان بالمدينة *

فقل ربيعة : كأنك تقول : أخطأ والذي نفسي بيده ما أخطأ
قط (٣٣) *

— وما يتصل بعلمه *

أن عمر بن عبد العزيز قضى فترة تدريب على الحكم قبل الخلافة ،
فلما مات أبوه وكان أمير مصر أخذه معه عبد الملك بن مروان وكان على
رأس الدولة الإسلامية فخلطه بولده وزوجه بابنته فاطمة وكان قد ورث
عن أبيه الكثير من الأموال والمتاع والدواب . ولما مات عبد الملك وولى ابنه
الوليد بن عبد الملك ولاء المدينة والطائف من سنة ست وثمانين هجرية الى
سنة ثلاث وتسعين فتمرس على شئون الحكم وتدريب على ادارة شئون
الدولة وقرب العلماء وأخذ عنهم وحج بالناس وساهم في بناء مسجد
النبي صلى الله عليه وسلم ووسعه بأمر من الوليد بن عبد الملك فأدخل
فيه قبر النبي صلى الله عليه وسلم غير أنه عزل عن المدينة في سنة ثلاث
وتسعين (٣٤) *

بالشورى يشترك الحاكم والرعية في السياسة المالية :

أظهرت ولاية عمر بن عبد العزيز للمدينة أنه يدير ولايته بالشورى،
فقد كون مدة ولايته مجلسا للشورى من عشرة فقهاء وكان لا يقطع أمرا
بدونهم أو من حضر منهم وهم :

(٣١) المرجع السابق ص ٤٩ - سليمان بن يسار الهلالى المدنى أحد الفقهاء السبعة ،
سمع الكثير من الصحابة والتابعين وروى عنه الكثير من التابعين — كان ثقة عالما فقيها عابدا
كثير العلم *

(٣٢) المرجع السابق ص ٥٠ *

(٣٣) المرجع السابق ص ٤٩ *

(٣٤) عمر بن عبد العزيز — سعد عبد السلام حبيب ص ٤٢ وما بعدها *

- عروة بن الزبير
- عبيد الله بن عتبة
- أبو بكر عبد الرحمن الحارث بن هشام
- أبو بكر سليمان بن أبي خيثمة
- سليمان بن يسار
- القاسم بن محمد
- سالم بن عبد الله بن عمر
- عبد الله بن عبد الله بن عمر
- عبد الله بن عامر بن ربيعة
- خارجة بن زيد
- وحدد اختصاصهم فقال لهم :

« انى انما دعوتكم لامر تؤجرون عليه وتكونون فيه أعوانا على الحق ، وما أريد أن أقطع أمرا الا برأيكم أو برأى من حضر منكم ، فان رأيتم أحدا يتعدى أو يلفكم عن عامل لى ظلامه ، فأنشدكم بالله على من بلغه ذلك الا بلغنى - فخرجوا يجزونه خيرا (٣٥) »

كما كان يستشير سعيد بن المسيب ولا يخرج عن قوله ، وقد كان سعيد بن المسيب لا يأتى أحدا من الخلفاء ولكنه كان يأتى الى عمر بن عبد العزيز وهو بالمدينة (٣٦) -

والحاكم حينما يطبق الشورى يطيع امر الله جل وعلا لرسوله صلى الله عليه وسلم بالأخذ بالشورى ، فقد قال سبحانه وتعالى « فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم فى الأمر » (آل عمران/ من ١٥٩) .

ويطبق مبدا عاما وهو أن المؤمنين أمرهم شورى بينهم .

فقال جل وعلا « وأمرهم شورى بينهم » (الشورى/ من ٣٨) .

والشورى لازمة فى سياسة المال العام شأنها شأن باقى السياسات العامة للدولة واذا كانت المالىات العامة الحالية تتضمن بشأنها دساتير الدول أحكاما توجب المشورة باستطلاع رأى ممثل الشعب فى مسائل المالية العامة ، فتقتضى بأن لا تفرض ضريبة ولا يعفى منها الا بقانون وبأن

(٣٥) الطبرى ج ١ ص ٤٢٧ - مرجع سابق .

(٣٦) عمر بن عبد العزيز - لابن كثير القديم القرباسى - مرجع سابق ص ٤٨ .

تعرض على المجالس النيابية الموازنة العامة للدولة وحساباتها الختامية للمناقشة والاعتماد .

وإذا كان من حق ممثلي الشعب الآن أن يناقشوا مسائل المالية العامة للدولة في أى وقت فما ذلك كله إلا انبثاقا من مبدأ الشورى الذى قرره الاسلام من مئات السنين .

العدالة المالية أحد دعائم السلطان :

ظهرت سمة العدل كعنصر من عناصر شخصية عمر بن عبد العزيز حينما كان واليا على المدينة ، فقد راعه أن يبنى هاشم فى المدينة ومكة لا يتألمون حظهم من عطاء بيت المال بينما الآخرون يرفلون فى النعيم من الأموال العامة ، فطلب من الوليد أن يعطى بنى هاشم وآل البيت أسهمهم من الغنائم والفىء والعطاء ، وتلك حقوقهم ، فأبى الوليد .

كما تعود عمر إذا جاءه أحد من آل البيت أن يأذن له بالدخول مهما كانت مشاغله ويقول له أمام الجميع :

« انى لأستحى من الله أن تقف ببابى ولا يؤذن لك » (٣٧) .

قالت فاطمة بنت علي بن أبي طالب وهى عجوز :

« دخلت على عمر بن عبد العزيز أمير المدينة فاخرج الحرس والناس ثم قال لى يا ابنة على والله ما على ظهر الأرض أهل بيت أحب الى منكم ، ولأنتم أحب الى من أهل بيتى » (٣٨) .

كما أوضح عمر بن عبد العزيز للخليفة حينما كان واليا على المدينة مظالم الحجاج الثقفى التى كان يرتكبها فى الكوفة بكل من يخالف رأيه واسرافه فى الأموال العامة على كل من يريد أن يصطفيه ويشترى رأيه وقتله بالظن الآلاف من المسلمين بشير بينة أو دليل ، وما زال يبلغ الخليفة بأعماله حتى كتب الخليفة للحجاج يوجهه للامتناع عن ذلك .

ولكن الحجاج رد بأنه إنما قتل أهل المعصية وأثاب بالأموال أهل الطاعة وبذلك دعم ملك الخليفة ولا يعد ذلك تبذيرا ، وأخبر الحجاج الوليد بأن أهل العراق وأهل الشقاق قد جلوا عن العراق ولجأوا الى المدينة

(٣٧) عمر بن عبد العزيز - سعد عبد السلام حبيب ص ١٥٠ .

(٣٨) خامس الراشدين - عبد الرحمن الشرقاوى - سلسلة مقالات عن عمر بن

عبد العزيز بجريدة الأهرام - عدد ١٩٨٥/٦/٢٦ .

ومكة وإن عمر بن عبد العزيز يحتضنهم وأن ذلك مما يؤمن ملكه ويضعف سلطانه ، فعزل الوليد عمر بن عبد العزيز عن المدينة (٣٩) .

وتمسك عمر بالعدل ينبع من طاعته لأمر الله جل وعلا بالعدل في كثير من الآيات منها قوله سبحانه وتعالى :

« ان الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل ، ان الله نعماً يعظكم به ، ان الله كان سميعاً بصيراً »
(النساء / ٥٨) .

وأمر الله جل وعلا بالعدل بين أهل الكتاب في آية :

« وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط ان الله يحب المقسطين »
(المائدة / من ٤٢) فالعدل اذا يعتبر أساساً من أسس الولاية الصالحة وهو سمة لازمة لسياسات المالية العامة بل أساس من أسسها ، فمراعاة العدالة تؤدي إلى توزيع الأعباء العامة على المواطنين حسب مقدرة كل منهم ، كما أنها تؤدي إلى أن يتال كل ذي حق حقه من بيت المال من خدمات أو عطاء على قدم المساواة دون اجحاف أو تمييز .

وهكذا فإن تقوى عمر بن عبد العزيز وعلمه وأخذه بالمشورة وعدله كانت كلها تنبئ حيثما ولي أمر المسلمين بأنه سيقود مسار المالية العامة للدولة الإسلامية قيادة ناجحة ، وهو ما سنستبينه في الأبواب التالية .

الفصل الثاني

أسس السياسة المالية لعمر بن عبد العزيز

سياسة عمر بن عبد العزيز المالية من خطبه وأقواله :

تتضح أسس السياسة المالية لعمر بن عبد العزيز مما أعلنه في بعض الخطب والكلمات العامة التالية :

— غداة تولى عمر بن عبد العزيز إمارة الدولة الإسلامية ألقى الخطاب التالي :

« أوصيكم بتقوى الله فإن تقوى الله خلف من كل شيء وليس من تقوى الله خلف ، وأكثروا من ذكر الموت فإنه هادم اللذات وأحسنوا الاستعداد له قبل نزوله وأن هذه الأمة لم تختلف في ربها ولا في كتبها ولا في نبيها وإنما في الدينار والدرهم وأنا والله لا أعطى أحدا باطلا ولا أمنع أحدا حقه » .

ثم رفع صوته فقال :

« أيها الناس من أطاع الله وجبت طاعته ومن عصى الله فلا طاعة له ، أطيعوني ما أطعت الله فإذا عصيت فلا طاعة لي عليكم » (١) .

— وبعد تولى الخلافة :

قال عمر بن عبد العزيز لسالم بن عبد الله بن عمر : أكتب لي سيرة عمر حتى أعلم بها (٢) .

(١) عمر بن عبد العزيز لابن كثير القرشي — تقديم وتعليق أحمد الشرباصي ص ١٠٧

(٢) المرجع السابق ص ٦٧ .

ـ وقال لعمرته وقد جاءته ثبلخ شكوى عائلة الخليفة من منع العطاء المميز عنهم ومن مساواتهم بسائر الافراد واسترداد عمر لما كان قد تقرر من اموال لبنى عبد الملك وأولادهم وردھا الى بيت المال والى أربابھا :

فرفض وقال :

« يا عمه اعلمى ان النبى صلى الله عليه وسلم مات وترك الناس على نهر مورود ، فولى ذلك النهر بعده فلم يستقض منه شيئا حتى مات ثم ولى ذلك النهر رجل آخر فكرى منه ساقية ثم لم يزل الناس بعده يكرون السواقي حتى تركوه يابسا لا قطرة فيه . وأيم الله لئن أبقاني الله لأردنه الى مجراه الأول ، فمن رضى فله الرضا ومن سخط فله السخط وإذا كان الظلم من الأقارب الذين هم بطانة الوالى والولى لا يزيل الظلم فكيف يستطيع أن يزيل ما هو ناء فى غيرهم » (٣) .

ـ وعن أهمية سياسة العمالة واتصالها بالسياسة المالية قال :

« ان للسلطان أركانا لا يثبت الا بها فالوالى ركن والقاضى ركن وصاحب بيت المال ركن والركن الرابع أنا » (٤) .

وبتحليل الأقوال السابقة يتبين أن سياسة المالية العامة لعمر بن عبد العزيز قامت على الأسس التالية :

ـ قرر وجود تجاوزات فى تنفيذ السياسة المالية العامة لمن سبقه من أمراء بنى أمية ، ويستدل على ذلك بقوله :

« ان هذه الأمة لم تختلف فى ربها ولا فى كتبها ولا فى نبيها وانما فى الدينار والدرهم » .

ـ أعلن عزمه على تطبيق الفرائض المالية والسياسة المالية عموما التى كانت مطبقة أيام الرسول صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين من بعده ، ويتضح ذلك من تأكيده « بأنه ان أبقاء الله ليردن النهر المورود الذى تركه الرسول صلى الله عليه وسلم الى مجراه الأول » .

ويتضح ذلك أيضا من طلبه سيرة عمر بن الخطاب ليعمل بها ، ومنها العمل بسيرته فى السياسة المالية .

ومن سيرة عمر بن الخطاب فى السياسة المالية ما يلى :

(٣) المرجع السابق ص ١٠٩ .

(٤) الطبرى جزء ٦ - مرجع سابق ص ٥٨٦ .

أعلن غداة توليه الخلافة اختصاصه بالمال العام بجانب شئون الخلافة
فقال :

« من أراد أن يسأل عن المال فليأتني » فان الله تبارك وتعالى جعلني
له خازنا وقاسما » .

وأعلن سياسته المالية بشأن الإيرادات العامة والنفقات العامة فقال :
« أيها الناس انه لم يبلغ ذو حق في حقه أن يطاع في معصية واني
لا أجد هذا المال » يقصد المال العام » يصلحه الا خلال ثلاث أن يؤخذ
بالحق ويعطى في الحق ويمنع من الباطل » وحدد ما يأخذه من المال العام
فقال :

« انما أنا ومالككم كولي اليتيم ان استغثت استعففت وان افتقرت
أكلت بالمعروف » .

وعن الادارة بالعدل في الجباية قال :

« لكم على ألا أجتبي شيئا من خراجكم ولا مما أفاء الله عليكم الا من
وجهه » .

وعن الادارة بترشيده الاتفاق العام قال :

« ولكم على اذا وقع في يدي (أي المال العام) ألا يخرج مني
الا بحقه » .

وعن سياسة العطاء قال :

« ولكن على أن أزيد أعطياتكم وأرزاقكم ان شاء الله وأسعد نفوركم » .

وعن منع الظلم ورد المظالم قال :

« ولست أدع أحدا يظلم أحدا أو يعتدي عليه حتى أضح خدعه على
الأرض وأضح قدمي على الحد الآخر حتى يذعن للحق » (٥) .

— ومن أقوال عمر بن عبد العزيز في البند السابق يستنتج أيضا
أنه قرر أن يزيل ما اعتري السياسة المالية من مخالفات ما دام قد عزم
على تطبيق ما كان يطبقه الرسول صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين
من بعده وأن عزمه ورد مطلقا فيشمل تنقية الإيرادات العامة والنفقات
العامة والادارة المالية من المخالفات المالية .

— كما يستنتج أيضا أنه عزم على ترشيده الاتفاق العام :

— ويؤيد ذلك قوله « لا أعطي أحدا باطلا » .

(٥) انظر كتابها السياسة المالية لعمر بن الخطاب ص ٢٣ .

فإنفاق المال العام سيكون خاليا من الباطل ملتزما بالعدل لا سرف فيه ولا تبذير .

— وعزم على التزام الكفاءة والصلاحية في تعيين ولاية الدولة وعماها
خصوصا من يزاولون أمور المال العام حينما اعتبر أن صاحب بيت المال
ركن من أركان أربعة لتثبيت السلطان .

— ونوى عمر بن عبد العزيز أن يحيط إدارة السياسة المالية بإطار
من المبادئ التي تنبثق من التقوى حينما دعا الناس إلى التمسك بها .

— وقرر كذلك أن تقوم السياسة المالية على أساس حصول كل
صاحب حق على حقه من بيت المال أي إزالة مخالفات العطاء ودعم ذلك
قوله « ولا أمنع أحدا حقا » .

— وصمم على تطبيق سياسة يرد بها المظالم ، حينما أعلن تصميمه
على رد المظلم بآدنا بأقاربه وبطانته .

ومما سبق يتضح أن السياسة المالية لعمر بن عبد العزيز قامت على
أسس من الإصلاح المالي وهي نفس أوجه الإصلاح التي تطلبتها إزالة
المخالفات المالية التي شابته عهد أمراء بني أمية قبله والتي نوهنا عنها في
ختام الفصل السابق .

سياسة الإصلاح الاقتصادي مع الإصلاح المالي :

ارتبطت سياسة الإصلاح المالي في عهد عمر بن عبد العزيز بسياسته
لإصلاح المسار الاقتصادي وقامت على تحرير اقتصاد الدولة الإسلامية من
القيود وإطلاق حريته ، فأذاع تعليمات وأقوال عامة لتحقيق المبادئ
التالية :

— فتح باب الهجرة للجميع .

— إطلاق حرية التجارة والمعيشة .

— حرية العمل والعمال والغاء السخرة .

— المزارع للجميع .

— عدم التدخل في الأسعار .

ونحلل فيما يلي تعليماته وأقواله بشأن المبادئ الاقتصادية
السابقة :

فتح باب الهجرة

كتب عمر بن عبد العزيز لولائه قائلا « افتحوا للمسلمين باب الهجرة » (٦) .

وبذلك أصبح حق الهجرة متاحا لمن يريد ، والناس يهاجرون عادة لتحسين أحوالهم الاقتصادية والمعيشية أو لطلب العلم ، كما أن الهجرة تؤدي الى تحقيق استثمار الأراضي الجديدة وامكانية تعمير المدن الحديثة ، وقد أمر الله جل وعلا الناس بالسعى والهجرة .

فقال سبحانه وتعالى « ومن يهاجر في سبيل الله يجسد في الأرض مراغما كثيرا وسعة » (النساء من / ١٠٠) .

وقال جل وعلا : « فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه » (الملك من / ١٥) .

وكانت الهجرة من مكة أيام الرسول صلى الله عليه وسلم أحد وسائل نشر الدين الاسلامي واعلاء رايته .

حرية التجارة والمعيش اولى من الضرائب والكوس :

قال عمر بن عبد العزيز « ان البر والبحر لله جميعا مسخرهما لعباده يبتغون فيهما من فضله فكيف نحول بين عباد الله وبين معاشهم » ففتح طريق البحر للتجارة الحرة ومنع الضرائب المتصلة بها (٧) . وكان يستشهد بقول الله جل وعلا :

« الله الذي سخر لكم البحر لتجرى الفلك فيه بأمره ولتبتغوا من فضله » (الجاثية/ من ١٢) .

فحيثيات عمر بن عبد العزيز فيما ذهب اليه قد بنيت على أساس ديني وهو أن الله سبحانه وتعالى سخر البر والبحر للناس ، فأية قيود - ولو كانت تؤدي الى جباية أموال عامة لبيت المال تحد من هذا التسخير وتقيد انطلاق معاش العباد فيتبغى ازلتها .

حرية العمل :

حرية العمل هي حق الانسان أن يتخير من العمل ما يشاء وأن يزاوله كما يشاء فلا يجوز للدولة ولا لغيرها أن تسخر العامل للعمل اذا كان لا يريد واذا أدى العامل عملا لا بد أن ينال عنه الأجر المناسب وقد

(٦) معجزة الاسلام : عمر بن عبد العزيز - خالد محمد خالد ، ص ١٧٥ .

(٧) معجزة الاسلام - عمر بن عبد العزيز - خالد محمد خالد ، ص ١٧٥ .

وسيرة عمر بن عبد العزيز لابن كثير تعليق أحمد عبيد طبعه ثانية ص ٨٢ .

اعتنق عمر بن عبد العزيز هذه السياسة وألزم بها عماله فأرسل لهم التعليمات التالية :

« ليكون لكل عمل أجره فضعوا السخرة عن الناس (أ) » .

المزارع للجميع :

ويقول عمر بن عبد العزيز لولاته :

« إنما جعلت المزارع لأرزاق المسلمين كافة .. فردوها لما جعلت له (٩) » .

وبذلك يحرر الأرض الزراعية من أية قيود تحول دون زراعتها وتمتع الناس كافة بنتائجها كاحتكار الدولة لها أو استيلاء طائفة من الناس على نتائجها وتكوين طبقة من الاقطاعيين يتحكمون في غلاتها ، هذا وقد تبني الفيزقراطيون في القرون الوسطى بعد عمر بن عبد العزيز مبدأ حرية العمر وحرية التجارة وكان شعارهم تلك الجملة :

« أتركه يعمل أتركه يمر » *Laisser faire laisser passer*

وهم بذلك دعوا الى حرية العمل أي يكون الناس أحراراً في أن يستخدموا جهودهم كيفما يشاءون وترك الناس أحراراً يزاولون حرية الاستبدال والاتجار في داخل البلاد وخارجها (١٠) .

عدم التدخل في الأسعار :

وحدث أن ارتفعت الأسعار في عهد عمر بن عبد العزيز فطالبه البعض بتحديد الأسعار فأبى متمسكاً بسياسة الحرية الاقتصادية .

فمن عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان عن أبيه قال :

قلت لعمر بن عبد العزيز : يا أمير المؤمنين ما بال الأسعار غالية في زمانك وكانت في زمان من قبلك رخيصة ؟

قال عمر بن عبد العزيز : ان الذين كانوا قبلي كانوا يكلفون أهل الزمة فوق طاقتهم . فلم يكونوا يجدون بدا من أن يبيعوا ويكسبوا ما في أيديهم وأنا لا أكلف أحداً الا طاقته ، فباع الرجل كيف شاء .

فقلت : لو أنك سمرت .

(٨) سيرة عمر - ابن عبد الحكم ص ٦٨ .

(٩) المرجع السابق ص ٨٣ .

(١٠) الاقتصاد السياسي - الجزء الأول - طبعة الثالثة - د. أحمد محمد إبراهيم

قَالَ : ليس اليَنا من ذلك شيء إنما السعر لله (١١) .

مما سبق يتضح أيضا أن عمر بن عبد العزيز كان لا يكلف أهل الذمة فوق طاقتهم كما كان يفعل من سبقه من الولاة الذين كانوا يظلمونهم فأدت زيادة العبء عليهم وتعجيل أدائه إلى اضطرابهم لبيع سلعهم بخسارة ليسندوا التكاليف الباهظة التي فرضت عليهم والا تعرضوا للأذى وللعذيب ، ولذلك كانت الأسعار رخيصة بسبب زيادة عرض السلع زيادة غير طبيعية ، أما في زمن عمر بن عبد العزيز حيث لم يحمل أهل الذمة إلا بما يستحق عليهم بالعدل فتمكنوا من تنظيم عرض سلعهم في ظل العوامل الطبيعية للسوق واستحقوا عنها الثمن العادل وإن كان مرتفعا في عهد عمر بالمقارنة بسعد من كانوا قبله .

تعنى عمر المساواة بين الأغنياء والفقراء :

يبين مما سبق أن عمر بن عبد العزيز كان يأخذ بالنظام الإسلامى فى السياسة الاقتصادية وهى حرية الأفراد فى مزاولة الأنشطة الاقتصادية على أن يلتزموا فى مزاولتها بأحكام الإسلام ويؤدّون من ثرواتهم ما عليهم من التزامات ومنها حقوق الفقراء .

غير أن مما يؤثر عن عمر بن عبد العزيز ويتصل بالسياسة المالية والاقتصادية قوله « وددت أن أغنياء الناس اجتمعوا فردوا على فقرائهم حتى يستوى الكل » (١٢) .

وقد خلاص البعض أنه بذلك أعلن الاشتراكية .

والواقع أن عمر بن عبد العزيز لم يعلن الاشتراكية بالمعنى الذى تقصده المذاهب الاشتراكية التى ظهر أغلبها فى القرن التاسع عشر بعد عهد عمر بمئات السنين والتى تشترك بأنواعها المختلفة فى ثلاثة أمور تميزها عن المذاهب الأخرى وهى :

- إلغاء الملكية الخاصة إلغاء كلياً وجزئياً .
- تنظيم الإنتاج والتوزيع بواسطة المجموع .
- وذلك لتحقيق نوع من المساواة الفعلية (١٣) .

(١١) المراج لأبى يوسف ص ١٣٢ .

(١٢) عمر بن عبد العزيز ، سعد عبد السلام حبيب ص ٨١ نقلا عن الموسوعة التاريخية

لعمرو أبو النصر ص ١٠٦ .

(١٣) الاقتصاد السياسى - جزء أول طبعة ثالثة - د. أحمد محمد إبراهيم ص ٧١ .

فلم يقصد عمر بن عبد العزيز أن يأخذ بإلغاء الملكية الخاصة الغشاء كلياً أو جزئياً واستبدالها بملكية المجموع ليصبح أمرها بين يدي الدولة باعتبارها ممثلة للجماعة ، ولم يرد أن يستبدل ملكية القطاع الخاص للمشروعات الاقتصادية في عهده لتمتلكها الدولة أو هيئاتها العامة ، وذلك لأن الإسلام الذي يحكم به يقر الملكية الخاصة .

ولم يرد عمر بن عبد العزيز تنظيم الانتاج والتوزيع تنظيمياً إدارياً عاماً فتحتل مسئولية المجموع محل مسئولية الفرد الذي يغدو مجرد موظف يخضع لما يملأ عليه .

وإذا كان عمر بن عبد العزيز قد تمنى تحقيق المساواة بين الكل فإن بواعث هذه المساواة تختلف عن بواعث مساواة الاشتراكيات التي نشأت في القرن التاسع عشر ، فترى تلك الاشتراكيات أن عدم المساواة ظلم وأن الأغنياء مفتصبون لحقوق الفقراء وأن الذي جعل هذا الاغتصاب ممكناً هو نظام الملكية الخاصة ولهذا نادوا بالقضاء عليها قبل كل شيء .

فمحور بواعث المساواة عند الاشتراكيين هو الملكية الخاصة فيعتبرونها مفتصبة ويرتبون على هذا الاغتصاب إلغاء الملكية الخاصة وهو ما يتعارض مع تعاليم الإسلام الذي يقر حق التملك والملكية الخاصة للأموال باعتبار أن المال العام أصلاً مال الله وأن ملكية المسلم للأموال باعتباره خليفة الله وعليه أن يقوم على مسئوليات هذه الخلافة قيماً أميناً وأعباء التكليف التي كلفه الله بها والامتناع عما نهى عنه في إدارته وتنميته وتوريثه (١٤) .

ويؤيد ذلك قوله تعالى :

« وآتوهم من مال الله الذي آتاكم » ، (النور/ من ٣٣) .

وقوله جل وعلا :

« آمنوا بالله ورسوله وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه فالذين آمنوا منكم وأنفقوا لهم أجر كبير » (الحديد/ من ٧) .

فمساواة عمر لم تخرج عن دائرة التمنى ولو أراد تنفيذها لجعل الدولة تتدخل وتتخذ الإجراءات والوسائل التي تضع هذا التمنى موضع التحقيق ، ومن هذه الوسائل تطبيق سياسة مالية تقوم على تحقيق المساواة بين الأغنياء والفقراء .

(١٤) للتفصيل يمكن الرجوع لكتابتنا - الإطار الأخلاقي لآلية المسلم - طبعة الهيئة

المصرية العامة للكتاب ص ٣٥ ، ٣٦ ، ٣٧ .

وكل ما تمناه عمر هو أن يقترب من المساواة اما عن طريق توسيع
الاغنياء بالتطوع بالأموال للفقراء بعد أداء حقوقهم المشروعة كالزكاة
المفروضة والكفارات ، ودائرة التطوع بالأموال في الاسلام دائرة واسعة
تؤيدها آيات عديدة من القرآن المجيد .

فمن آيات الله جل وعلا التي تحض على البذل والعطاء :

« من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له أضعافا كثيرة
والله يقبض ويبسط واليه ترجعون » (البقرة / ٢٤٥) .

« ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه
فاولئك هم المفلحون » (الحشر/ من ٩) .

« ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا ، انما نطعمكم
لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا . انا نخاف من ربنا يوما عبوسا
قمطيرا » (الانسان / ٨ - ١٠) .

« فلاقتحم العقبة » وما أدراك ما العقبة ، فك رقبة ● أو اطعام في
يوم ذي مسغبة ● يتيما ذا مقربة ● أو مسكينا ذا متربة . « (البلد/ ١١
- ١٦) .

تفاصيل المذهب الاقتصادي في عهد عمر بن عبد العزيز :

مما سبق وفي ضوء تعاليم الدين الاسلامي يمكن استنتاج أن المبدأ
الذي طبقه عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه هو مبدأ الحرية الاقتصادية
وعدم التدخل الا في الحالات التي يشير بها الاسلام .

وقد تبلور هذا المبدأ على أساس أن الله جل وعلا قد أوجد نظاما
طبيعيا تخضع له الظواهر الاقتصادية وهو أفضل من كل النظم التي
تتمخض عنها القوانين الوضعية وأقدرها على توفير السعادة والرخاء
للأفراد والجماعات في الدنيا والآخرة وأنه اذا ترك لكل فرد حريته
الشخصية دون تدخل من الدولة في شئونه الاقتصادية فإنه يخدم
مصالحه على أفضل وجه وهو في نفس الوقت يخدم مصلحة المجموع كما
أن للفرد أن يمتلك ما يشاء من الثروات ويتم ذلك كله في إطار من تعاليم
الدين الاسلامي فلا يظلم البائع المشتري ولا يبغض المشتري البائع . كما
أن بغض الكيل والميزان والغش والربا والاكتناز والاحتكارات من المحظورات
في الاسلام ، فتعاليم الدين الاسلامي اذا طبقت بالكامل كفيلة أن تحقق
الثمن العادل للسلع ، ولا خوف من أن يضار أصحاب الدخول المحدودة
من ارتفاع الاسعار لأن نظام الزكاة في الاسلام يفرض لهم حقوقا في أموال

الأغنياء ، ولا تقتصر هذه الحقوق على الزكاة المفروضة ، بل إن في أموال الأغنياء حقوقاً فوق الزكاة إذا كانت الزكاة المفروضة لا تكفيهم ، فتدخل الدولة في الأسعار لا يكون إلا إذا خولفت أحكام الإسلام كان يكون ارتفاعها نتيجة غش أو احتكار أو تجارة في محرم أو بخس كيل أو تطفيف ميزان ، وغير ذلك من المحرمات والمحظورات .

نطاق تنفيذ اصلاح السياسة المالية :

يسرى اصلاح السياسة المالية على جميع عناصرها وهي الإيرادات العامة والتفقات العامة وإدارة المالية العامة ، ويترتب على ذلك أنه في المالية العامة الإسلامية ، يطبق الإصلاح على :

- إيرادات الزكاة ونفقاتها المخصصة أي موازنة الزكاة .
 - إيرادات خمس الغنائم ونفقاتها المخصصة أي موازنة خمس الغنائم .
 - إيرادات الجزية والحراج وعشور التجارة ونفقاتها العامة أي موازنة الجزية والحراج وعشور التجارة .
 - إدارة المالية العامة .
 - نظام العطاء .
 - إزالة أية مظالم مالية .
- ونوضح في الأبواب التالية ما قام به عمر بن عبد العزيز من اصلاح بادئين بموازنة الزكاة .

الباب الثالث

**الاصلاح المالى للموازنة العامة للزكاة
والموازنة العامة لخمس الغنائم**

الإصلاح المالي للموازنة العامة للزكاة

الإصلاح المالي لإيرادات الموازنة العامة للزكاة

المنهج العام لإصلاح موازنة الزكاة :

شملت إصلاحات موازنة الزكاة في عهد عمر بن عبد العزيز إيراداتها ومصارفها العامة ، وقامت هذه الإصلاحات على أساس إرجاع أحكامها إلى الكتاب والسنة وتطبيقات الخلفاء الراشدين ، مع مراعاة ذلك فيما صدر من فتاوى وفيما أذيع من تعليمات وفيما تم من تنفيذ ، وبذلك اتجه عمر بن عبد العزيز إلى تنقية أمور الزكاة العامة مما كان قد علق بها من شوائب وما ألم بها من تجاوزات وما اعتراها من مخالفات ، وهو اتجاه أقام أمر الدين في أمور الزكاة .

وفيما يلي تفاصيل ما تم من إصلاحات في جانب الإيرادات العامة لموازنة الزكاة ثم يليها ما تم من إصلاحات في جانب النفقات العامة لها :

طلب كتاب الرسول في الصدقات :

حين استخلف عمر بن عبد العزيز أرسل إلى المدينة يلتزم كتاب النبي صلى الله عليه وسلم في الصدقات فوجده عند آل عمرو بن حزام (١) " وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد كتب الصدقة ولم يخرجها إلى عماله حتى توفي فأخرجها أبو بكر الصديق رضي الله عنه من بعده فعمل بها حتى توفي ثم أخرجها عمر بن الخطاب رضي الله عنه من بعده فعمل بها ، ولشدة عناية عمر بن الخطاب بأمر الصدقة والمحافظة على العمل بما نقل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرن كتاب الصدقة

(١) السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار - للشيخ الإسلام محمد بن علي الشوكاني ص ٣١ - طبعة المجلس الأعلى للفتوى الإسلامية .

والعمل بما فيه بوصيته . ويجزم ابن شهاب الزهري بأن نسخة كتاب الصدقة للنبي صلى الله عليه وسلم كانت عند آل عمر وأخرجها سالم بن عبد الله بن عمر للزهري فقرأها ووعاها على حقيقتها دون شك ، وانتسخ عمر بن عبد العزيز نسخة منها وهو خليفة للعمل بما فيها ، والذي قدمها عبد الله وأخوه سالم ابنا عبد الله بن عمر .

وأوضح سالم بن عبد الله بن عمر نقلا عن أبيه عبد الله بن عمر رضى الله عنهما موضوع الكتاب فقال :

كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم كتاب الصدقة فلم يخرجها الى عماله حتى قبض فقرئه بسيفه فعمل به أبو بكر حتى قبض ثم عمل به عمر حتى قبض فكان فيه :

فى خمس من الأبل شاة ، وفى عشر شباتان ، وفى خمس عشرة ثلاث شياه ، وفى عشرين أربع شياه ، وفى خمس وعشرين ابنة مخاض (٢) الى خمس وثلاثين فاذا زادت واحدة ففيها بنت لبون (٣) الى خمس وأربعين ، فاذا زادت واحدة ففيها بنتا لبون الى تسعين فاذا زادت واحدة ففيها حقتان (٤) الى عشرين ومائة ، فان كانت الأبل أكثر من ذلك ففي كل خمسين حقه وفى كل أربعين ابنة لبون .

وفى الغنم فى كل أربعين شاة شاة الى عشرين ومائة ، فاذا زادت واحدة فشباتان الى مائتين ، فاذا زادت على المائتين ففيها ثلاث شياه الى ثلاثمائة ، فاذا كانت الغنم أكثر من ذلك ففي كل مائة شاة شاة ... وليس فيها شيء حتى تبلغ المائة .

ولا يفرق بين مجتمع ولا يجمع بين متفرق مخافة الصدقة ، وما كان من خليطين فإنهما يتراجعان بالسوية ولا تؤخذ فى الصدقة حرمة ولا ذات عيب .

أخرجه البيهقى فى سننه الكبرى .

ثم قال : قال الزهري : اذا جاء المصدق قسمت الشاء اثلاثا : ثلثا شرار وثلثا خيار وثلثا وسط فيأخذ المصدق من الوسط .

ثم قال : ولم يذكر الزهري البقر

(٢) ابنة المخاض : هى التى اتى عليها الحول ودخلت فى الثانى .

(٣) ابنة اللبون : هى التى دخلت السنة الثالثة وصارت أما لبون بوضع الحمل .

(٤) الحقة : بكسر الحاء وهى التى آلت عليها ثلاث سنوات ودخلت فى الرابعة .

ثم زاد في رواية أخرى عن سفيان بن حسين بإسناده ومعناه قال :
« فان لم تكن بنت مخاض فابن لبون » (٥) .

وتحرى عمر بن عبد العزيز عن هذا الكتاب وحصوله عليه أو على نسخة منه يوضح مدى تمسكه بتطبيق قواعد الزكاة بدقة كما سننها رسول الله صلى الله عليه وسلم ويبين رغبته في التيقن مقدما من تفاصيلها حتى اذا أذاعها على الناس سار هو والأمة على المنهج السليم .

عمر بن عبد العزيز يؤكد سنوية زكاة أرباح التجارة :

عن قطن بن فلان قال : مررت بواسط زمن عمر بن عبد العزيز فقالوا :

« قرئ علينا كتاب أمير المؤمنين » أن لا تأخذوا من أرباح التجارة شيئا حتى يحول عليها الحول » (٦) .

وحدثنا معاذ عن ابن عوف قال أتيت المسجد وقد قرئ الكتاب فقال صاحب لي « لو شهدت كتاب عمر بن عبد العزيز في أرباح التجارة أن لا يعرض حتى يحول عليها الحول (٧) » .

وبإصدار عمر بن عبد العزيز لهذا الكتاب يكون قد طبق حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم حينما قرر مبدأ سنوية الزكاة فقال « لا زكاة في مال حتى يحول عليها الحول » .

وحكمة تحديد السنة أن الزكاة لا تؤخذ الا من النماء وهذا يتطلب وقتا جرت العادة بتحديد سنة . ويستثنى من ذلك الخارج من الأرض لأن النماء يمكن أن يتحقق في أقل من سنة .

هذا ويثير التطبيق العملي لمبدأ سنوية زكاة التجارة في العصر الحديث المسائل التالية :

— يمسك التجار حديثا حسابات منتظمة توضح في نهاية كل سنة مالية نتيجة مزاولة نشاطهم فهل تستحق الزكاة في نهاية السنة نفسها أم في نهاية السنة التالية لها ؟

الرأي أن الزكاة تستحق في نهاية السنة نفسها لأن الأرباح تتحقق على مدار السنة ابتداء من أولها حتى آخرها ، فان كانت هناك أرباح قد

(٥) المنتخب من السنة - للجلد السادس ص ١٧٧ - ١٨٢ - طبعة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية .

(٦ ، ٧) الأموال لأبي حنيفة - مرجع سابق ص ٥٠٩ .

تحققت فى نهاية السنة فقد تحققت أيضا بعض الأرباح فى بدء السنة ، وقد يكون ما تحقق فى الفترة الأخيرة من السنة خسائر أكلت جزءا من أرباح أول السنة فيخضع الصافي للزكاة • وتأخير استحقاق الزكاة على الأرباح لسنة تالية يؤدي الى مرور أكثر من عام على بعض الأرباح وهى التى تحققت فى أوائل العام الذى خضع صافي ربحه للزكاة •

— اذا توقف التاجر عن عمله كليا أو جزئيا سرت الزكاة على الأرباح التى تحققت حتى تاريخ التوقف وتستحق فى نهاية العام الذى حدث فيه التوقف الكلى أو الجزئى ، لأن شرط مرور الحول واجب التطبيق استنادا لحديث الرسول صلى الله عليه وسلم الذى قضى بمرور الحول •

على أنه اذا رأى المسلم أن يبادر بأداء الزكاة تقربا لله سبحانه وتعالى خوفا من أن يهلك المال قبل استحقاق الزكاة فلا يجد ما يؤدي به حق الله ، فان ذلك أفضل •

— والمقصود بالربح هو الربح الصافي بعد خصم جميع التكاليف وتحميل كل سنة بما يخصها من المصاريف ، ولا تخصم احتياطيّات لمقابلة أية خسائر محتملة لأن الخسائر المستقبلية غير متيقنة • ويكفى أن يكون الربح قد تحقق فعلا حتى تسرى عليه الزكاة وليس من الضروري أن يكون هذا الربح قد قبض فعلا •

— واذا كان كتاب عمر بن عبد العزيز قد أوضح خضوع أرباح التجارة للزكاة فإنه مما تشمله الزكاة أيضا أية أموال أخرى غير مستغلة فى التجارة •

اخضاع عمر بن عبد العزيز السمك للزكاة :

كتب عمر بن عبد العزيز الى عامله فى عمان

« أن لا يأخذ من السمك شيئا حتى يبلغ مائتى • »

أو قال « فإذا بلغ مائتى درهم فخذ منه الزكاة » (أ) •

ومما يدعم اخضاع أنشطة وأموال السمك للزكاة حديثا أنه تستثمر فيها رؤوس أموال ذات شأن فى زراعته وإقامة صناعاته والتجارة فيه •

(أ) الأموال لأبي عبيدة - ص ٢٣٤ •

زكاة الحمص والعدس :

أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم معاذ بن جبل حين بعته الى اليمن أن يأخذ الصدقة من الحنطة والشعير والنخل والحب .

ويبدو أن البعض اعتبر ما ورد في حديث الرسول صلى الله عليه وسلم على سبيل المثال وليس على سبيل الحصر فزادوا في الأنواع التي تؤخذ منها الزكاة .

ومن زادوا ابن عباس .

فمن ليث عن طاووس عن ابن عباس قال « الصدقة في الحنطة والشعير والتمر والزبيب والسلت (٩) والزيتون » .

ومنهم من التزم النص كابن عمر .

فمن صدقة الثمار والزرع قال « ما كان من نخل أو عنب أو حنطة أو شعير » .

وكان عمر بن عبد العزيز من الذين زادوا .

فكتب أن يؤخذ من الحمص والعدس الزكاة . وكان في سجله « ويؤخذ من القطنى » (١٠) على نحو مما يؤخذ من الحمص والعدس الزكاة (١١) .

ونرى الأخذ برأى من زادوا ، لأن الزراعة تتطور وتظهر أنواع جديدة من المحاصيل لم تكن موجودة أيام رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إلا ما ثبت أن الخلفاء الراشدين نهوا عن خضوعه للزكاة ، لقول عمر وعلى وعائشة « ليس في الخضروات زكاة » (١٢) .

رأى عمر بن عبد العزيز في زكاة العسل :

يورد أبو عبيدة في كتابه الأموال رأيين مختلفين لعمر بن عبد العزيز في زكاة العسل فقال « حدثنا مروان بن شجاع عن خفيف أن عمر بن عبد العزيز رأى في العسل العشر » (١٣) .

وقال أيضا « حدثنا ابن بكير عن مالك عن أنس عن عبد الله بن أبي بكر قال :

« جاء كتاب عمر بن عبد العزيز الى أبى أن لا تأخذ من الخيل ولا من العسل صدقة » (١٤) .

(٩) السلت : نوع من الشعير أبيض لا قشر له .

(١٠) القطنى : كالعنب والحبس واللوبياء والأرز وغيرهم .

(١١) الأموال لأبى عبيد - ص ٥٧٠ - مرجع سابق .

(١٢) المرجع السابق - هامش ص ٥٦٩ .

(١٣) (١٤) المرجع السابق ص ٥٦٩ ، ٦٠٠ .

ولعله من التوفيق بين الرأيين نقول أنه إذا كان العسل في أرض الخراج فلا صدقة فيه لأن العشر والخراج لا يجتمعان على أرض . ذلك لأن الخراج يدفعه الذمي إذا كان على أرض آلت للموالة الإسلامية ورؤى إبقاؤه عليها وليس عليه زكاة لأنها على المسلمين ، أما إذا كان العسل في أرض مسلم فيدفع عن العسل والمحاصيل الزكاة إذا توفرت شروطها ويؤيد ذلك أن عمر بن الخطاب قال في زكاة العسل :

« ما كان في السهل ففيه العشر وما كان منه في الجبل ففيه نصف العشر » (١٥) .

خضوع الإبل التي تعمل بالريف للزكاة :

كتب عمر بن عبد العزيز وهو خليفة - أن تؤخذ الصدقة من الإبل التي تعمل في الريف (١٦) ويرى البعض عدم الخضوع .

فعن هشام عن الحسن قال « ليس في الإبل العوامل والبقر العوامل صدقة » ولربما كان عدم الخضوع بسبب أنها عاملة فتعتبر أداة من أدوات إنتاج المحاصيل .

ليس في الخيل السائمة زكاة :

عن معمر عن سناك بن الفضل عن عمر بن عبد العزيز قال « ليس في الخيل السائمة زكاة » (١٧) وبذلك يطبق عمر بن عبد العزيز سنة الرسول صلى الله عليه وسلم .

فقد حدث بن عيينه عن أبي اسحق عن الحارث عن علي قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « عفونا لكم عن صدقة الخيل والرقائق » ويرى أبو عبيد أن الزكاة تجب في الخيل إذا كانت للتجارة وتسقط عن السائمة (١٨) .

ليس في الأقواص صدقة :

الأقواص جمع وقص وهو ما بين النصابين ، فمن المعروف مثلا أن صدقة البقر من كل ثلاثين تبيعا ومن كل أربعين مسنة ومن الستين تبيعين ومن السبعين مسنة وتبيعا ومن الثمانين مسنتين ومن التسعين ثلاثة أتابعين ومن المائة مسنة وتبعين ومن العشرين ومائة ثلاثة مسنات أو أربعة أتابعين .

(١٥) المرجع السابق ص ٥٦٩ ، ٦٠٠ .

(١٦) المرجع السابق ص ٤٦٦ .

(١٧ - ١٨) المرجع السابق ص ٥٦٥ ، ٥٦٦ .

وقد يحدث أن يملك المسلم عددا من البقر ما بين النصابين أى
أزيد من النصاب السابق وأقل من النصاب اللاحق . فيكون لديه مثلا
واحد وثلاثون بقرة أو اثنان وثلاثون وهكذا حتى تسع وثلاثون .

فهل تستحق الزكاة على ما زاد عن الثلاثين وقل عن الأربعين ؟

أجاب على ذلك عمر بن عبد العزيز فكتب : « أن ليس فى الأوقاص
شئ » (١٩) .

وهو فى ذلك يطبق سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقد
قال معاذ بن جبل حينما كان باليمن « لست بأخذ من أوقاص البقر شيئا
حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإن رسول الله لم يأمرنى
فيها بشئ » (٢٠) .

وعن يحيى بن الحكم : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
« أن الأوقاص لا صدقة فيها » .

وما أمر به الرسول صلى الله عليه وسلم وطبقة عمر بن عبد العزيز
تفادى صعوبات عملية فى تطبيق زكاة الأنعام وما كان يثيره من خلاف
بين المصدقين والمتصدقين .

أخذ عمر بن عبد العزيز الصدقة من المعادن :

عن عبد الله بن أبى بكر أن عمر بن عبد العزيز كتب « أن خذ من
المعادن الصدقة ولا تأخذ منها الخمس » (٢١) .

ونرى أن المعادن تخضع للزكاة إذا تملكها المسلم ومضى عليها الحول
وتوفرت فيها سائر شروط الإخضاع ، ويؤخذ منها الخمس إذا كان المعدن
ركازا والركاز هو المعدن الذى يوجد مدفونا فى الأرض فيستحق عليه
لبيت المال الخمس وقت العثور عليه فى باطن الأرض باعتباره غنيمة
ويستند فى ذلك لحديث أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال
« فى الركاز الخمس » والركاز فى ذلك يختلف عن اللقطة .

فمن عمر بن شعيب أن المزنى سأل رسول الله صلى الله عليه
وسلم عن اللقطة توجد فى الطريق العام فقال : عرفها سنة فإن جاء
صاحبها والا فهي لك .

(١٩ ، ٢٠) الأوال لأبى عبيد - مرجع سابق ص ٤٧٤ ، ٤٧٥ .

(٢١) للرجع السابق ص ٤٢٤ .

قال : يا رسول الله فما يوجد في الحرب العادي .

قال : فيه وفي الركاز الخمس (٢٢) .

حجز الزكاة من المنبع :

من طرق تحصيل الضرائب حديثاً حجزها من المنبع فتؤخذ من الإيراد قبل أن يؤول لصاحبه ويحصل على الإيراد الصافي بعد خصم الضرائب المستحقة عليه . وميزة هذه الطريقة في التحصيل أنها تضمن للدولة تحصيل مستحققاتها كاملة بسهولة ويسر .

وقد طبق عمر بن عبد العزيز طريقة الحجز من المنبع في تحصيل الزكاة .

قال يزيد : كان عمر بن عبد العزيز إذا أعطى الرجل عمالته « أي أجره » أخذ منها الزكاة وإذا رد المظالم أخذ منها الزكاة وكان يأخذ الزكاة من الأعطية إذا خرجت لأصحابها (٢٣) .

وعن ميمون بن مهران قال :

« كتب إلى عمر بن عبد العزيز في مال رده على رجل فأمرني أن أخذ منه زكاة ما مضى من السنين » (٢٤) .

تحصيل الصدقة بالعدل :

حدث عبد الله بن صالح عن الليث عن يحيى بن سعيد فقال :

أن مما كان عمل عمر بن عبد العزيز يصنعون بالمدينة في أخذ الصدقة ، أن يفرق المال ثلاث فرق ثم يختار صاحبها ثلثاً ثم يأخذ صاحب الصدقة حاجته من الثلث الثاني (٢٥) .

وعمال عمر بن عبد العزيز بهذا الأسلوب في أخذ الصدقة إنما يطبقون نهج الرسول صلى الله عليه وسلم وتعليماته لعمال الصدقات بالعدل في تحديد قيمة الصدقة .

فيقول صلى الله عليه وسلم « المعتدى في الصدقة كما نعمها » (٢٦) .

(٢٢) المرجع السابق ص ٤٢٦ .

(٢٣ ، ٢٤) الأموال لأبي عبيد مرجع سابق ص ٥٢٩ .

(٢٥ ، ٢٦) المرجع السابق ص ٤٩٤ .

ومما قاله عليه الصلاة والسلام لمعاذ حين بعثه لليمن « .. فأعلمهم
صدقة أموالهم فإن أقروا بذلك فخذ منهم واتق كرائم أموالهم وإياك
ودعوة المظلوم فإنه ليس لها دون الله حجاب » .

ويسير عمر بن عبد العزيز في ذلك أيضا بسيرة عمر بن الخطاب
رضي الله عنهما ، فقد قال لمصدقيه « إذا مررتم بصاحب المال فلا تنسوا
الحسنة ولا تنسوها صاحبها ، وفرقوا المال ثلاث فرق فخيرها صاحب
المال ثلثا ثم اختاروا من أحد الثلثين » (٢٧) .

تحصيل الصدقة في مكان التصديق :

حدث أبو معاوية عن عبد الله بن فلان أبي بكر بن عمرو بن حزم
عن أبيه قال :

كتب عمر بن عبد العزيز « أن صدقوا الناس على مياهم وبأفئيتهم »
ومعنى ذلك أن ممثل بيت المال الذي يأخذ الصدقة لا يجوز له أن يطلب
من أرباب الأتنام أن يأتونه بها إلى حيث يقيم ليقتدرها ويحدد الصدقة
الواجبة ، بل عليه أن ينتقل إلى مكان وجود هذه الأنعام لدى أربابها ويأخذ
الصدقة ، لأنه إن فعل خلاف ذلك أرحق الأنعام وأربابها ، وقد يضر
ذلك الأنعام وأربابها ولا ضرر ولا ضرار في الإسلام ، فضلا عن أن تحديد
قيمة الزكاة الواجبة في مكان الأنعام تجعل المصدق على يقين من عددها
فيحدد بيقين أيضا قيمة الصدقة الواجبة .

وعمر بن عبد العزيز بذلك يطبق تعليمات رسول الله صلى الله
عليه وسلم حيث قال يوم فتح مكة « لا جلب ولا جنب ولا شغار في
الإسلام ولا تؤخذ صدقات المسلمين إلا على مياهم وبأفئيتهم » فالرسول
صلى الله عليه وسلم يوضح أنه لا ينبغي للمصدق أن يقيم بموضع ثم
يرسل إلى أهل المياه ليحلبوا إليه مواشيهم فيصدقها ولكن ليأتينهم على
مياهم حتى يصدقها هناك » (٢٨) .

(٢٧) الخراج لأبي يوسف ص ٨١ .

(٢٨) المرجع السابق ص ٤٩٦ ، ٤٩٧ .

الفصل الثاني

الاصلاح المالى لتنفقات موازنة الزكاة الاصلاح المالى وموازنة خمس الغنائم

أولا : الاصلاح المالى لتنفقات موازنة الزكاة

الاصلاح مصارف الزكاة :

أذاع عمر بن عبد العزيز مصارف الزكاة فى بعض كتبه فقال :
« ثم فرض رسول الله صلى الله عليه وسلم الزكاة على أمر الله فى
الدين والحرب والماشية وبين مواضع ذلك فقال •
« انما الصلقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم
وفى الرقاب والغارمين وفى سبيل الله وابن السبيل » •
حتى استقامت سنتها فى الأخذ حين تؤخذ وفى القسمة حين تقسم ،
فيعمل بها المسلمون فى جزيرة العرب حتى علموها أو كل ذى عقل
منهم » (١) •
وقال أيضا •

« وأما الصدقات فإن الله تبارك وتعالى فرضها وسمى أهلها حين
طعن فيها أناس وبلغوا فيها تهمة نبههم فقال : (ومنهم من يلمزك فى
الصدقات فإن أعطوا منها رضوا وإن لم يعطوا منها إذا هم يسخطون) •

(١) سيرة عمر بن عبد العزيز - لابن عبد الحكم - تعليق أسد عبيد - طبعة ثانية
ص ٦٠ ، ٦١ •

فقال الله ببارك وتعالى عند ذلك : (انما الصدقات للفقراء والمساكين
والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والفارمين وفي سبيل الله
وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم) فبين رسول الله صلى
الله عليه وسلم صدقة الاموال : الحرث والمواشي والذهب والورق
فتؤخذ الصدقات كما بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وفرض
لا يظلمون ولا يتعدى عليهم ، ولا يحابى بها قريب ، ولا يمنحها أهلها
ثم تجعل الى مرضيين من أهل الاسلام ، فيجعلونها حيث أمرهم الله
يحملهم الامام من ذلك على ما حمل ، وينزه نفسه من ذلك من أمور قد أكثر
فيها على الأئمة ، (٢) .

وأمر عمر بن عبد العزيز ابن شهاب بكتساب السنة في مواضع
الصدقة فكتب ما يلي :

هذه منازل الزكاة ومواضعها ان شاء الله وهي ثمانية أسهم فسهم
الفقراء وسهم للمساكين وسهم للعاملين عليها وسهم للمؤلفة قلوبهم وسهم
في الرقاب وسهم للفارمين وسهم في سبيل الله وسهم لابن السبيل .

فسهم للفقراء نصفه لمن غزا منهم في سبيل الله أول غزوة حين
يفرض لهم من الامداد وأول عطاء يأخذونه ثم تقطع عنهم بعد ذلك
الصدقة . ويكون سهمهم في عظم الفى والنصف الباقي للفقراء من الزمنى
(يعنى ذوى العاهات) والمكث الذين يأخذون العطاء ان شاء الله .

وسهم المساكين نصفه لكل مسكين به عاهة لا يستطيع حيلة
ولا تقلب في الأرض والنصف الباقي للمساكين الذين يسألون ويستطعمون
ومن في السجون من أهل الاسلام ممن ليس له أحد ان شاء الله .

وسهم العاملين عليها ينظر فيمن سعى على الصدقات بأمانة واعفاف
اعطى على قدر ما ولى وجمع من الصدقة واعطى عماله الذين سعوا معه
على قدر ولايتهم وجمعهم . ولعل ذلك أن يبلغ قريبا من ربع هذا السهم
بعد الذى يعطى عماله ثلاثة أرباع فيرد ما بقى على من يقرض من الامداد
(جمع مد وهم الجنود الذين يمد بهم الجيش المحارب) والمشرطة ان
شاء الله .

وسهم المؤلفة قلوبهم لمن يفترض له من امداد الناس أول عطاء
يعطونه ومن يقرض مشترطا لا عطاء له ، وهم فقراء ، ومن يحضر المساجد
من المساكين الذين لا عطاء لهم ولا سهم ولا يسألون الناس ان شاء الله .
وسهم الرقاب نصفان : نصف لكل مكاتب يدعى الاسلام وهم على
اصناف شتى : فلفقهاهم في الاسلام فضيلة ولن سواهم منهم منزلة

أخرى على قدر ما أدى كل رجل منهم وما بقى عليه ان شاء الله ، والتصرف
الباقى تشتري به رقاب من صلب وصام وقدم فى الاسلام من ذكر وانثى
فيعتقون ان شاء الله .

وسهم الفارمين على ثلاثة أصناف : منهم صنف لمن يصاب فى سبيل
الله فى ماله وظهره (اسم لما يركب) ورقيقه وعليه دين لا يجد ما يقضى
ولا ما يستنفق الا يدين ، ومنه صنفان لمن يمكث ولا يغزو وهو غارم وقد
أصابه فقر ، وعليه دين لم يكن شيء منه فى مصيبة الله ولا يتهم فى
دينه - أو قال فى دينه ان شاء الله .

وسهم فى سبيل الله فمنه لمن فرض له ربح هذا السهم ومنه
للمشترط الفقير ربه ، ومنه لمن تصيبه الحاجة فى فقره وهو غار فى
سبيل الله ان شاء الله .

وسهم ابن السبيل يقسم ذلك لكل طريق على قدر من يسلكها
ويمر بها من الناس ، لكل رجل رجل من ابن السبيل ليس له مأوى ،
ولا أهل يأوى اليهم ، فيطعم حتى يجد منزلا أو يقضى حاجته ، ويجعل
فى منازل معلومة على أيدي أمناء لا يمر بهم ابن السبيل له حاجة الا أروه
وأطعموه وعلفوا دابته ، حتى ينفذ ما بأيديهم ان شاء الله .

ومن الكتاب السابق يمكن إبراز النقاط التالية :

- من الأوضاع المحمودة فى المال العام ان تصدر تعليمات عامة
توضح تطبيق أحكامه لأن ذلك يمنع الخلاف فى التطبيق ويقلل من
الاستفسارات والاستيضاحات التى تنشأ خلال التنفيذ .

- أن الكتاب اتسم بشمول جميع مصارف الزكاة وبذلك غطى جميع
حاجات المحتاجين وحقق جميع أهداف مصارف الزكاة .

- قسم الكتاب كل مصرف من مصارف الزكاة الى فئتين أو أكثر
وبذلك اتسم بالوضوح واليقين والوضوح واليقين من العناصر التى تضى
على الفرائض المالية صمة الاتقان والجودة .

- علق أحدهم على هذا الكتاب بقوله : لا شك ان هذا الكتاب
العظيم فى قسم الصدقات يعتبر دستورا كاملا فى هذا الباب ، فانه لم
يدع ذا حاجة من المسلمين الا سد حاجته فرحم الله بن شهاب (٣) .

وبالرغم من شمول الكتاب السابق ووضوحه ، فان تعليمات أخرى
كانت تصدر من عمر بن عبد العزيز تعالج حالات التطبيق ، كما يتضح
مما يلى :

(٣) الأموال لأبي عبيد - ص ٦٩١ - ٦٩٣ - مرجع سابق .

تحديد الحد الأدنى لحاجات كل مسلم من بيت المال :

أرسل عمر بن عبد العزيز تعليمات الى ولايته مجددا ضرورات كل مسلم من بيت مال المسلمين فقال :

« لا بد لكل مسلم من مسكن يأوى اليه . . . وخادم يكفيه مهنته . . . وفرس يجاهد عليه عدوه . . . وأثاث في بيته . . . فوفروا ذلك كله . . . ومن كان غارما فاقضوا عنه دينه » (٤) .

فبيت المال اذن بناء على تعليمات عمر بن عبد العزيز يتكفل لكل مسلم غير قادر بما يلي :

- مسكن مؤثث وخادم : وذلك باعتبار أن المسكن ضرورة من ضرورات الحياة يقيم فيه المسلم وتسكن فيه نفسه وباعتبار أن الأثاث من مستلزمات المسكن وكذلك الخادم في حالة عجز المسلم ، وينوه القرآن الكريم عن المسكن فيقول جل وعلا :

« وأوحينا الى موسى وأخيه أن تبوءا لقومكما بمصر بيوتا واجعلوا بيوتكم قبلة وأقيموا الصلاة وبشر المؤمنين » (يونس / ٨٧) .

ويقول سبحانه وتعالى أيضا :

« والله جعل لكم من بيوتكم سكناً وجعل لكم من جلود الأنعام بيوتا تستخفونها يوم ظعنكم ويوم إقامتكم ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها أثاثا ومتاعا الى حين » (النحل / ٨٠) .

وفي الأونة الحديثة تكفل بعض الدول انشاء مساكن لمحدودي الدخل نظير ايجار مخفض أو تملكها لهم مقسطة الثمن على آجال طويلة ، كما تكفل للمتكويين ممن تعرضوا لكوارث فقدوا فيها مساكنهم مساكن أخرى لا يوانهم ، كما تنشئ الملاجئ لايواء وسكن يتامى الفقراء وامثالهم .

- فرس للجهاد : وهو ضروري للمسلم باعتبار أن الجهاد فرض عين على المسلم اذا هجم العدو على بلدة من بلاد المسلمين وتسمى هذه الحالة بالنفير العام يقتضى معه خروج جميع المسلمين المطبقين للقتال ، واذا عجز أهل تلك البلدة عن مقاومة العدو فرض القتال على الأقرب من المسلمين حتى تقع الكفاية فاذا وقعت الكفاية لم يجب القتال على غيرهم .

(٤) سيرة عمر - ابن عبد الحكم ص ٣٦ .

وقد ورد في القرآن الكريم أكثر من آية تحض على الجهاد منها :
« يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة وجاهدوا في سبيله لعلكم تفلحون » (المائدة / ٣٥) .

« انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون » (التوبة / ٤١) .

— تضمنت تعليمات عمر بن عبد العزيز كذلك قضاء دين الغارمين من أموال الزكاة ومن المعروف أن مصرف الغارمين هو أحد مصارف الزكاة ، والغارمون هم الذين ركبهم الدين ولا وفاء عندهم فيأخذون من مال الزكاة بشرط أن لا يكون المدين قد استدان في سفاهة أو صرف الدين في معصية . ومن الغرماء من يتحمل حماله لبنع قيام فتنة ونزاع فيصلح بين المتخاصمين ويتحمل في سبيل ذلك دية يدفعها من ماله الخاص ويعود ويستردّها من بيت المال فيؤديها له بيت المال من أموال الزكاة .

وأداء دين الغرماء الذي تضمنته تعليمات عمر بن عبد العزيز يؤدي إلى اطمئنان الدائنين وسيولة التمويل بين الدائنين والمدينين فلا يكسد الاقتصاد العام بسبب نقص السيولة ولا يقل تدفق الانتاج نتيجة لذلك .

اتفاق على سهم المؤلف قلوبهم :

من بين وجوه اتفاق الزكاة الاتفاق لتأليف القلوب للإسلام . وقد ثبت أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يعطى من الزكاة لتأليف قلوب رؤساء القبائل لكف الأذى عن الإسلام وتقوية إسلام من دخلوه حديثا . ونهج أبو بكر الصديق نهج الرسول . غير أن عمر بن الخطاب أوقف الاتفاق على المؤلف قلوبهم لأن الدولة الإسلامية قوية ولأن الإسلام قوى وتدعم في النفوس فزالت بذلك حكمة الاتفاق على التأليف .

وفي عهد عمر بن عبد العزيز أعطى من بيت المال بطريقا ألف دينار ليتألفه وبذلك اجتهد وبرهن على مرونة التشريع الإسلامي وفتح الباب للابتكار الذي يؤدي لمصلحة الأمة ولا يخالف نصا من القرآن والحديث (٥) .

اتفاق على فداء الأسرى :

عن صالح بن جبير أن عمر بن عبد العزيز أعطى رجلا مالا يخرج به

(٥) الامام الشافعي - تأليف الأستاذ عبد الحليم الجندى ص ٣١٨ - إصدار المجلس الأعلى للشئون الإسلامية .

لفداء الأسارى فقال الرجل : يا أمير المؤمنين انا سنجد ناسا سافروا الى
المدو طوعا • أفنقديهم ؟

قال : نعم

قال : وعبيدا فروا واما •

فقال : افدوهم •

ولم يذكر له صنف من الناس من جند المسلمين الا امر بفدائهم (٦) •
وبلغ من اهتمام عمر بن عبد العزيز بأسرى المسلمين أنه كان يكتبهم
ويطمنئهم بأن بيت المال ينفق على أهلهم ويبشرهم بأنه بعث اليهم من
يفاديهم جميعا •

فقد قال بكر بن خنيس : كتب عمر الى الأسارى بالقسطنطينية :

اما بعد فانكم تدعون أنفسكم أسارى معاذ الله بل أنتم الحبساء في
سبيل الله ، واعلموا اني لست أقسم شيئا في ريعتي الا خصصت أهليكم
بأوفر نصيب وأطيبه ، ولولا أني خشيت ان زدكم أن يحبس طاغية الروم
عنكم لزدتكم • وقد بعث اليكم فلان بن فلان يفادي صغيركم وكبيركم •
وذكركم وأنثاكم • وحركم ومملوكم بما سئل به ، فأبشروا ثم أبشروا
والسلام عليكم (٧) •

وهو في ذلك ينهج نهج عمر بن الخطاب رضي الله عنه :

فقد قال : لأن استنقذ رجلا من المسلمين من أيدي الكفار أحب الى
من جزيرة العرب •

وقال ابن عباس : قال ابن الخطاب رضي الله عنه « كل أسير كان في
أيدي المسلمين ففكاه من بيت مال المسلمين » (٨) •

الانفاق على مصرف « ابن السبيل » :

كتب عمر الى سليمان بن أسى السرى عامله على سمرقند « أن اعمل
خانات في بلادك فمن مر بك من المسلمين فأقروهم يوما وليلة وتعهدهوا
دوابهم • فمن كانت به علة فأقروه يومين وليلتين ، فان كان منقطعا به
فقروه بما يصل لبلده (٩) •

(٦) الأموال لأبي عبيد ص ١٦٨ ، ١٦٩ •

(٧) سيرة عمر بن عبد العزيز - لابن عبد الحكم - تعليق أحمد عبيد - طبعة ثالثة

مرجع سابق ص ١٤٠ •

(٨) الخراج لأبي يوسف - مرجع سابق ص ١٩٦ •

(٩) الطبرى جزء ٦ - مرجع سابق ص ٥٦٧ •

فمن هذا الكتاب يبين أن عمر عم نظام بيوت الضيافة لتستضيف الغرباء من المسلمين أثناء مرورهم ببلاد غير بلادهم ، وكان النظام يقضى بضيافة من يمر يوما وليلة وتعهده دابته ، فإذا كان من يمر مريضاً ضوعفت مدة الضيافة ، فإن كان متقطعا عنه المال فيمد بما يمكنه من الوصول لبلده ، وتمويل هذه الضيافة كان من أموال الزكاة باعتبار أن «صرف ابن السبيل ، أحد مصارفها الثمانية .

بيت المال ينفق على سارق محتاج :

أتوا الى عمر بن عبد العزيز يوما بسارق ، فشكا اليه الحاجة والفاقة ، فمذره وأمر له بنحو عشرة دراهم .

وبهذا غلب عمر بن عبد العزيز حاجة المسلم على سرقة ، لأن الحاجة كانت سببا للسرقه فلولاها لما سرق ولو كان بيت المال قام بواجبه بكفالة المحتاجين لما فعل فعلته ، وعمر بن عبد العزيز في ذلك قد اقتدى بما سبق أن فعله عمر بن الخطاب .

فقد سرق غلمان لحاطب ناقة لرجل من مزينة فانتحروها ، فرفع ذلك الى عمر فأمر عمر بقطع أيديهم ثم أوقف تنفيذ الحكم .

وقال لحاطب : أراك تجيعهم (أى لا يشبع غلمانهم فسرقوا) والله لاغرمك غرما يشق عليك .

ثم قال لصاحب الناقة : كم ثمن ناقتك .

فقال : كنت والله أمنعها من أربعمئة درهم .

فقال عمر لحاطب : أعطه ثمانمئة درهم .

فقطع يد السارق عقاب للجاني إذا لم تضطره الحاجة .

وفي عام المجاعة أيام عمر بن الخطاب رضى الله عنه نهى عن قطع يد السارق طبقا لقول الله جل وعلا « والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما » (١٠) .

ويرى الامام أحمد بن حنبل أنه لا يجوز قطع يد السارق في عام المجاعة ويحمل الدولة وبيت المال توفير الطعام للجائعين ويحمل المياسير مسئولية الأخذ بيد المحرومين ، وبإلقاء مسئولية اطعام الجائعين على الدولة وبيت مالها في عام المجاعة يمتنع إقامة الحدود بسند شرعى فلا يختل نظام

(١٠) الامام الشافعي ناصر السنة وواضح الأصول - تأليف الأستاذ عبد الحليم الجدي
ملحة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية .

السولة بعدم تطبيق الحدود اذا لم يكن عدم التطبيق مستندا الى التشريع .
كما أن تحميل المياسير مسئولية الأخذ بيد المحرومين يقيهم نهبه
أموالهم .

بل يوجب الامام أحمد دية القاتل على الذين لا يقتلون لكنهم يمتنعون
عن اطعام الجوعى فيموتون من جوعهم وهى درجة فى ايلاف الجماعة لم
تبلغها أى شريعة ٠٠٠ الا الحنيفية السمحاء (١١) .

اتساع الانفاق العام على التكافل الاجتماعى :

فى عهد عمر بن عبد العزيز اتسعت أنشطة السولة للتكافل الاجتماعى
فشملت أنواعا جديدة من الرعاية وذلك على النحو التالى :

- بدأ يحصر المستحقين للتكافل الاجتماعى من ارباب العاهات
والعجزة ، فكتب الى الامصار أن يرفعوا اليه بيان بكل أعمى أو مقعد أو
من به فالج ومن به عجز يحول بينه وبين القيام للصلاة .
- أمر لكل أعمى بقائه يقوده ويقضى له حاجياته .
- عين خادما لكل اثنين من العجزة من غير العميان .
- عين للمرضى من يسهر على خدمتهم وراحتهم .
- أطعم الطعام ففتح دور الطعام فأمر بأن ينحصر طعاما للمساكين
والفقراء وأبناء السبيل .
- أنشأ الخانات فى البلاد وأمر عماله بأن يقرى من مر بهم (١٢) .

صرف الزكاة فى مكان المتصدق :

الزكاة تؤخذ من أغنياء البلد وترد على فقرائها وذلك استنادا لحديث
الرسول صلى الله عليه وسلم حيثما أرسل معاذا لليمن ، فطلب منه أن
يدعو الناس للإسلام ومن أركانه الزكاة ويقول لهم « أن الله فرض عليكم
صدقة أموالكم تؤخذ من أغنيائكم فترد فى فقرائكم » ، وهذا هو ما أكد
عمر بن عبد العزيز فكتب الى عماله :

« أن ضعوا شطر الصدقة وابعثوا الى بشرطها » ثم كتب فى العام
المقبل « أن ضعوها كلها » وحدث على بن ثابت عن سفيان بن سعيد
« أن زكاة حملت من الرى الى الكوفة فردها عمر بن عبد العزيز الى الرى » .

(١١) أحمد بن حنبل - امام أهل السنة - للاستاذ عبد الحليم الجندى ص ٣١٨ -
طبعة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية .
(١٢) سيرة عمر لابن عبد الحكم ص ٤٨ ، ٥٧ .

وعلى ذلك فإن جهل المصدق فحمل الصدقة من يله الى بلد آخر
سواء وبأهلها فقر إليها . ردها الامام اليهم كما فعل عمر بن عبد العزيز .

وفى ذلك يقول أبو عبيد « والعلماء اليوم مجمعون على أن أهل كل
بلد من البلدان أو ماء من المياه أحق بصدقتهم ما دام منهم ذوى الحاجة
واحد فما فوق ذلك . وإن أتى ذلك على جميع صدقتها حتى يرجع الساعى
ولا شيء منه منها (١٣) » .

وقد سبق أن طبق عمر بن الخطاب رضى الله عنه نفس المبدأ ، وفى
عهد أعاد معاذ بن جبل الى اليمن فبعث اليه معاذ بثلاث صدقة الناس .
فأنكر عمر بن الخطاب ذلك .

وقال معاذ : لم أبعثك جابيا ولا آخذ جزية ولكن بعثتك لتأخذ من
أغنياء الناس فتردها على فقرائهم .

فقال معاذ : ما بعثت اليك بشيء وأنا أجد أحدا يأخذ منى .
فلما كان العام الثانى بعث اليه شطر الصدقة فتراجعا بمثل ما راجعه
من قبل .

فقال معاذ : ما وجدت أحدا يأخذ منى شيئا (١٤) .

(١٣) الأموال لأبى عبيد ص ٧١٠ مرجع سابق ٧١٠ .
(١٤) المرجع السابق ص ٧٠٩ وكتابنا السياسة المالكة لعمر بن الخطاب ص ١٠١ .

الاصلاح المالى لموازنة خمس الغنائم

موازنة خمس الغنائم :

أوضحنا أن موازنة خمس الغنائم تتكون مواردنا من خمس ما يؤول من غنائم تسفر عنها فتوحات الاسلام وأن نفقاتها لله وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل تنفيذاً لقوله جل وعلا :

« واعلموا انما غنمتم من شىء فان لله خمسته وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل » (الانفال / ٤١) .

ونناقش فيما يلى الايرادات هذه الموازنة ونفقاتها فى عهد عمر بن عبد العزيز -

ايرادات خمس الغنائم :

لم تعب الدولة فى عهد عمر بن عبد العزيز الجيوش للجهاد ما عدا مناوشات صغيرة مع الترك والحوارج (١٥) فقد استعاض عن زحف الجيوش بكتبه التى كان يرسلها الى ملوك الهند وحكام مقاطعتها يدعوهم الى الاسلام فأسلم أكثرهم متأثرين بما كان قد ترامى اليهم من أنباء ورعه وزهده وتقواه . كذلك كتب الى البربر فى افريقية يدعوهم الى الاسلام فدخلوا فيه أفواجا وكتب الى ملوك ما وراء النهر فأسلم أكثرهم ورفعوا راية الاسلام (١٦) .

(١٥) الفصل الثانى من الباب الخامس أوضحنا فيه هذه المناوشات .

(١٦) معجزة الاسلام - عمر بن عبد العزيز - دار المعارف - طبعة الثالثة - ص ٩٦٧
خالد محمد خالد .

وكان عمر غداة نوليه الخلافة قد أمر بسحب جيش الدولة الذي كان يحاصر القسطنطينية (عاصمة الامبراطورية الرومانية الشرقية) وكان على رأسه مسلمة بن عبد الملك وكاد الحصار قبل عهد عمر أن يؤتى آكله ويفتح أبواب العاصمة لولا خدعة ورتب فيها القائد الروماني (أليون) مسلمة بن عبد الملك فردت القوة عجزا والنصر هزيمة فتفتش المرض والمجاعة في جيش المسلمين وانقطعت خطوط تموينه .

وعلى ذلك يمكن القول بصفة عامة أنه لم تتحقق موارد عامة تذكر من خمس الغنائم في عهد عمر بن عبد العزيز ، وأن ما قد يكون هناك من موارد من هذا المصدر ببيت المال هو من غنائم فتوحات سبقت عهده .

نقطة خمس الغنائم :

يذكر أبو يوسف « أن عمر بن عبد العزيز بعث بسهم الرسول وذوى القربى الى بنى هاشم » (١٧) .

ويعتبر هذا الاجراء من اجراءات اصلاح المال لعمر بن عبد العزيز لان الامراء السابقين من بنى أمية كانوا قد حرموهم ، ليس من نصيبهم في الخمس فقط بل من عطائهم العام الذي كانوا يستحقونه من بيت مال المسلمين شأن باقي المسلمين . فعل هذا بالرغم من معارضة بنى أمية وتلكؤ والى المدينة في التنفيذ خشية سطوة امراء بنى أمية .

فقد استقر رأى عمر بعد مدارس الفقهاء أن لهم حق أولى القربى وهم أولو قربي الرسول صلى الله عليه وسلم وهذا الحق يعطيهم خمس خمس الفى الذى يؤول لبيت المال وحسب المختصون قدر المال الذى حرموا منه منذ عهد معاوية فوجدوه ألاف مؤلفة وكان بنو هاشم أيضا قد بلغ تعدادهم عشرات الآلاف ، انتشروا فى الأمصار فأمر عمر بحصرهم وإيتائهم حقوقهم حيث كانوا .

وكتب عمر الى محمد بن حزم عامله على المدينة بأن يقسم فى ولد على بن أبى طالب عشرة آلاف دينار .

فتلكا أمير المدينة فلما علم عمر بذلك أرسل اليه يستحثه .

فرد أمير المدينة : ان عليا قد ولد له فى عدة قبائل من قريش ، ففى أى ولده أقسم عشرة آلاف دينار .

(١٧) الخراج لأبى يوسف مرجع سابق ص ٢١ .

فكتب اليه عمر ساخرا : لو كتبت اليك في شاة تلذبحها لكتبت الى اسوداء أو بيضاء ، اذا أتاك كتابي هذا فاقسم في ولد علي من فاطمة عشرة آلاف دينار قطالما تخطتهم حقوقهم .

هذا وموارد الخمس المتبقية من الفتوحات السابقة على عهد عمر بن عبد العزيز قد ساهمت في الانفاق على اليتامى والمساكين وابن السبيل بجانب موارد الزكاة ، ولليتامى والمساكين وأبناء السبيل فيها نصيب .

ضم الخمس للفقير والتوزيع منهما معا :

رأى عمر بن عبد العزيز ضم موارد الخمس والفقير ثم التوزيع منهما معا على الأمة بما فيهم اليتامى والمساكين وابن السبيل استنادا الى أن الانفاق على الرسول وذى القربى وعليهم ورد في آية : الفقير والخمس . واقتداء بما فعله عمر بن الخطاب رضى الله عنه . وكتب بذلك الى عماله فقال :

« وأما الخمس فان من مضى من الأئمة اختلفوا في موضعه . فطعن في ذلك طاعن من الناس وأكثر فيه ، ووضع مواضع شتى ، فنظرنا فإذا هو على سهام الفقير في كتاب الله . لم تخالف واحدة من الاثنتين الأخرى فإذا عمر بن الخطاب رحمه الله قد قضى في الفقير قضاء قد رضى به المسلمون . فرض للناس عطية وأرزاقا جارية لهم . ورأى أن لن يبلغ بتلك الأبواب ما جمع من ذلك . ورأى أن فيه لليتيم والمساكين وابن السبيل . فرأى أن يلحق الخمس بالفقير ، وأن يوضح مواضعه التي سمي الله وقرض ، ولم يفعل ذلك ليتنزه منه . وخيفة التوهم فيه ، فاقتدوا بإمام عادل ، فان الآيتين متفقتان آية الفقير وآية الخمس ، فان الله قال : « ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل » (١٨) (الحشر / ٧) .

وكذلك فرض الله الخمس ، فترى أن يجمعها جميعا فيجعلها فيثا للمسلمين ولا يستأثر عليهم ولا يكون دولة بين الأغنياء منهم » (١٩) .

(١٨) خامس الراشدين - عبد الرحمن النخعي - عدد الأهرام ١٤/٨/١٩٨٥ .

(١٩) سيرة عمر بن عبد العزيز لابن عبد الحكم تعليق أحمد عبيد - الطبعة الثانية -

مرجع سابق ص ٨٠ ، ٨١ .

الباب الرابع

**الاصلاح المالى لايرادات موازنة الجزية والخراج
وعشور التجارة**

الاصلاح المالى لايرادات الجزية

الأسس العامة لاصلاح الجزية

قامت اصلاحات عمر بن عبد العزيز لفريضة الجزية على الاسس التالية :

- توضيح الفاض من حالات الاخضاع للجزية .
- تنظيم عقد معاهدات صلح الجزية وتنفيذها .
- تحديد مدى التزام الورثة بجزية مورثهم .
- ابداء الرأى فى بعض تصرفات أهل الكتاب .
- تأكيد المعاملة الطيبة لأهل الكتاب .

وجلاء غموض الفرائض المالية وتثبيت وتنفيذ أحكام تعاقداتهما واتفاقياتهما ومعاملة مولياها معاملة طيبة يرسى أسس العدالة المالية مع أهل الكتاب فالعدل شيمة من شيم الاسلام والمسلمين ، وبذلك يكون عمر ابن عبد العزيز قد أقام فى شئونها أمر الدين .

وفيما يلى تفاصيل حالات الاصلاح :

كتاب يوضح اسس الجزية :

كتب عمر بن عبد العزيز الى عامله على بن اوطاه :

« اما بعد فان الله سبحانه وتعالى انما أمر أن تؤخذ الجزية ممن
يرغب عن الاسلام واختار الكفر عتيا وخسرانا مبينا ، فضع الجزية على من
أطاق حملها وخل بينهم وبين عمارة الأرض . فان فى ذلك صلاحها لمعاش

المسلمين وقوة على عدوهم ، وانظر من قبلك من أهل الذمة قد كبرت سنة
وضعت قوته وولت عنه المكاسب فاجر عليه من بيت مال المسلمين
ما يصلحه ، فلو أن رجلا من المسلمين كان له مملوكا كبرت سنه وضعفت
قوته وولت عنه المكاسب كان من الحق عليه أن يقوته حتى يفرق بينهما
موت أو عتق ، وذلك أنه بلغني أن أمير المؤمنين عمر م بشيخ من أهل
الذمة يسأل أبواب الناس •

فقال : ما أنصفناك أن كنا أخذنا منك الجزية في شيبتك ثم غيبنك
في كبرك ثم أجرى عليه من المال ما يصلحه (١) •

وبتحليل الكتاب السابق يتضح أنه تضمن المبادئ التالية :

— تفرض الجزية طبقا لطاقة تحمل أهل الكتاب ، وبذلك تكون قد
قامت على العدالة •

— يترك من كان منهم يزرع الأرض ويعمرها في عمله وبذلك يزيد
الانتاج ويعود خيره على الدولة الإسلامية •

— يجرى على شيوخ أهل الكتاب والمرضى ومن عجز منهم عن الكسب
الارزاق من بيت المال ، وفي ذلك تعميم للرعاية الوارفة من الدولة لتشمل
أهل الكتاب مما يؤكد السماحة التي تتسم بها المالية العامة الإسلامية •

أخذ الجزية من المجوس

كتب عمر بن عبد العزيز الى عدي بن أرطاة كتسابا يطلب منه أن
يسأل الحسن بن أبي الحسن عن معاملة المجوس •

فسأل عدي الحسن ، فأخبره أن رسول الله قد قبل من مجوس أهل
البحرين الجزية وأقرهم على مجوسيتهم ثم أقرهم بعده أبو بكر ثم أقرهم
عمر بعد أبي بكر وأقرهم عثمان بعد عمر (٢) •

ويتضح من ذلك أن عمر بن عبد العزيز تحرى ما كان يعامل به
الرسول صلى الله عليه وسلم المجوس وطبق سنته •

ليس على مسلم جزية :

أوضحنا أن الحجاج الثقفي كان يفرض الجزية على من أسلم من أهل
الكتاب وأقره على ذلك خلفاء بني أمية ، ولما تولى عمر بن عبد العزيز

(١) الأموال لأبي عبيد - مرجع سابق ص ٥٧ •

(٢) الخراج لأبي يوسف ص ١٣٠ ، ١٣١ •

اصدر تعليماته برفع الجزية عن أسلم . وأكد ذلك أكثر من مرة لعمال
الخراج . ومن ذلك ما كتبه الى حيان بن شريح عامله على مصر فقال له :
« ضح الجزية عن أسلم من أهل النعمة فان الله تبارك وتعالى قال :
« فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم ان الله غفور
رحيم » (التوبة / من ٥) .

كما قال سبحانه وتعالى :

« قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم
الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا
الجزية عن يد وهم صاغرون (٣) (التوبة / ٢٩) » .

حكم أرض من كان يعطى الجزية ثم أسلم :

عن الليث بن سعد أن عمر بن عبد العزيز قال :

« أيما قوم صولحوا على جزية يعطونها ، فمن أسلم منهم كانت
أرضه لبقيتهم » (٤) .

أى أن أرض الكتابى الذى كان يدفع الجزية وأسلم لا ترد اليه
الأرض وتعامل معاملة أرض باقى قومه فيكون حكمها حكم أرض من لم
يسلم منهم أى تعتبر من فى المسلمين ، وقول عمر بن عبد العزيز السابق
يستند الى ما تم فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فمن ابن ذئب الزهرى قال :

قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم الجزية من مجوس البحرين ،
فمن أسلم منهم قبل اسلامه فأحرز اسلامه لنفسه وماله ، الا الأرض فانها
فى المسلمين من أجل أنه لم يسلم أول الأمر وهو فى منعه .

ولعل اعتبار الأرض من فى المسلمين يستند الى أن نصر المسلمين
وفتحهم للبلاد جعل الأرض جميعها غنيمة للمسلمين وفيثا لهم وبذلك
أصبحت ملكا لجماعة المسلمين . فإسلام المجوس بعد ذلك لا يغير من
وضع الأرض لأنه لم يكن مالكا لها قبل اسلامه .

(٣) لعوج مصر وأخبارها - تأليف أبى القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم
ابن أيمن القرطبي المصري - تحقيق محمد صبيح ص ١٠٧ .
(٤) الأموال لأبى عبيد - مرجع سابق ص ٢٠٤ .

أقرار صلح الجزية من جميع من يدفعونها :

إذا تم صلح بين دولة الاسلام ودولة أخرى لم تستجب للاسلام واثرت أن تدفع الجزية ، فإن دفع الجزية يقع عبؤه على كل فرد من أهل الكتاب في الدولة التي لم تسلم الا من كان معقيا منها لشيخوخته أو لمرضه أو كان من النساء أو من الاطفال أو غير ذلك من الحالات المعفاء . ولذلك كان عمر بن عبد العزيز لا يكتفى بأقرار الرؤساء للصلح نيابة عن جميع الرعايا من أهل الكتاب بل كان يوجب موافقة جميع من يقع عليهم عبء الجزية على عقد الصلح . ولعل حكمة ذلك أن رفض الاسلام وقبول دفع الجزية من أهل الكتاب أمر متعلق بالعقيدة الشخصية لكل فرد ، فرأى عمر بن عبد العزيز ضرورة صدور الرأي من الأشخاص أنفسهم ما دام متعلقا بعقيدة كل منهم .

وإن كان يكفي لذلك أن تعلن الدولة المتصالحة مع الدولة الاسلامية بين رعاياها من عزمها على عدم ترك دينها الى الاسلام ودفعها الجزية وفي نفس الوقت تمنح الحرية لمن أراد ترك دينه ليدخل في الاسلام .

وقد نقل رأى عمر بن عبد العزيز صفوان بن عمر فقال :

« كان أئمة الجيوش من المسلمين قبل عمر بن عبد العزيز يصلح الامام رؤوس أهل الحصن وقادتهم على ما تراضوا عليه دون علم بقية من في الحصن من الرزم ، فنهى عمر بن عبد العزيز عن ذلك ، وأمر امراء جيوشه أن لا يعملوا به ولا يقبلوه ممن عرضه عليهم حتى يكتبوا كتابا ويوجهوا به رسولا وشهودا على جماعة أهل الحصن (٥) » .

ويعلق أبو عبيد في كتابه الاموال على ذلك فيقول :

« وهذا هو الوجه ، لأنهم ليسوا بمالك ، فيجوز حكمهم عليهم ، الا أن يكون الاتباع غير مخالفين للرؤساء ، وعلى هذا يحمل ما كان من النبي صلى الله عليه وسلم لمن عقد وصالح من رؤساء أهل نجران وغيرهم ، أن ذلك كان على ملاء منهم ، وأن الاتباع غير خاسرين لهم من رأى ولا مستكرهين عليه ، (٦) » .

أقرار عقود الصلح السابقة :

وكان عمر بن عبد العزيز يقر عقود الصلح السابقة على عهده بعد أن يستوثق من صحتها .

(٥ ، ٦) الاموال لأبي عبيد - مرجع سابق ص ٣٢٢ .

فمن العلماء بن عائشة انه قال :

كتب الى عمر بن عبد العزيز ان سل اهل الرها ، هل عندهم صلح ، فسالتهم فأتاني أسقفهم بدرج أو حق فيه كتاب ، فإذا في الكتاب :

« هذا كتاب من عياض بن غنيم ومن معه من المسلمين لأهل الرها :
أني آمنتهم على دمائهم وأموالهم ، وذرايعهم ، ونسائهم ، ومدينتهم ،
وطواحينهم ، إذا أدوا الحق الذي عليهم شهد الله وملائكته » .

فأجازه لهم عمر بن عبد العزيز (٧) .

جزية الأموات ومدى استحقاقها على ورثتهم :

يموت الذمي وعليه الجزية ، فهل تحصل من ورثته ؟

روى عن عمر بن عبد العزيز رأيان :

الرأي الأول : رواه عبد الرحمن بن جندب كاتب حيان بن سريح الذي بعثه الى عمر بن عبد العزيز ومعه كتاب يستفتيه يجعل جزية موتى القبط على أحيائهم « فكتب عمر الى حيان أن يجعل جزية الأموات على الأحياء .

الرأي الثاني : رواه عن معقل بن عبد الله عن عمر بن عبد العزيز أنه ليس على من مات أو من أبق جزية فلا تؤخذ من ورثته ولا يجعلها بمنزلة الدين لأنهم لم يكونوا ضامنين لذلك (٨) .

وأزاء اختلاف وجهتي النظر ، نرى أن الجزية ضريبة سنوية شخصية تقع على الذمي في حياته ، فإذا مات ولم تكن قد استحققت عليه جزية في حياته فلا تستحق بعد وفاته حتى ولو ترك مالا آل لورثته ، أما إذا استحققت عليه جزية قبل وفاته ولم يؤدها وترك أموالا فتستأدى الجزية من ورثته لأن بيت المال دائن بمقدارها شأنها في ذلك شأن ديون الغير التي تستحق على التركة وتتملق بها ، إذ لا تركة إلا بعد سداد الديون ، أما إذا لم يخلّف تركة فلا تؤخذ من الأموال الخاصة بالورثة أنفسهم لأنهم كما قال عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه لم يكونوا ضامنين لاداء الجزية .

تحديد أهل الجزية من الذميين وحقوقهم :

وكتب عمر بن عبد العزيز الى عماله محلدا أهل الجزية فقال :

(٧) المرجع السابق ص ٢٦٧

(٨) المرجع السابق ص ٦١ .

« وانما أهل الجزية ثلاثة نفر : صاحب أرض يعطى جزيته منها وصانع يخرج جزيته من كسبه ، وتاجر يتصرف يعطى جزيته من ذلك ، وانما سنتهم واحدة » (٩) .

ويبدو أن الحالات التي ذكرها عمر بن عبد العزيز هي الحالات التي كانت سائدة في عهده ، لأنه توجد في المجتمع مهن أخرى يمتنعها أهل الكتاب ، كآرباب المهن الحرة ، وعلى ذلك يمكن القول ان ما ورد في قول عمر بن عبد العزيز هو على سبيل المثال وليس على سبيل الحصر . وقد ذكر عمر بن عبد العزيز أن سنتهم واحدة ، ولعله قصد بذلك أن تكون معاملتهم واحدة ، من ناحية فرض الجزية واستحقاقها ومواعيد أدائها ، واعتبار من يدفع الجزية في ذمة الدولة الإسلامية وإذا أسلم رفضت عنه الجزية ، وهذا هو ما أوضحته فقرة أخرى من كتابه سالف الذكر فقال :

« فمن أسلم من نصراني أو يهودي من أهل الجزية فخالط عم (عموم) المسلمين في دارهم ، وفارق داره التي كان بها ، فإن له ما للمسلمين وعليه ما عليهم ، وعليهم أن يخالطوه وأن يواسوه » (١٠) .

وأكد ذلك في رده على عامله في الكوفة كما يبين من الفقرة التالية :

حقوق من أسلم من أهل الكتاب :

أرسل عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه إلى عبد الحميد بن عبد الرحمن (عامله على الكوفة) الكتاب التالي :

كتبته إلى تسألني عن أناس من أهل الحيرة يسلمون من اليهود والنصارى والمجوس وعليهم جزية عظيمة وتستأذني أخذ الجزية منهم ، وإن الله جل شأنه ثناؤه بعث محمدا صلى الله عليه وسلم داعيا إلى الإسلام ولم يبعثه جابيا ، فمن أسلم من أهل تلك الملل فعليه في ماله الصدقة ولا جزية عليه وميراثه لذوي رحمه إذا كان منهم يتوارثون كما يتوارث أهل الإسلام ، وإن لم يكن له وارث فميراثه في بيت مال المسلمين الذي يقسم بين المسلمين ، وما أحدث من حدث ففي مال الله الذي يقسم بين المسلمين يعقل عنه منه . والسلام (١١) .

ومن الكتاب السابق يمكن استخلاص المبادئ التالية التي أمر عمر ابن عبد العزيز بتطبيقها :

(٩) سيرة عمر بن عبد العزيز - لابن عبد الحكم تعليق أحمد عبيد ص ٨٢ .

(١٠) المرجع السابق ص ٧٩ .

(١١) الحراج لأبي يوسف - مرجع سابق ص ١٣١ ، ١٣٢ .

— ليس على اليهود والنصارى بعد اسلامهم جزية مهما كانت حصيلتها قبل اسلامهم .

— يعامل المجوس معاملة أهل الكتاب فليس عليهم جزية ان أسلموا .

— بعث الله جل وعلا محمدا صلى الله عليه وسلم داعيا الى الاسلام ولم يبعثه جاييا .

— بعد اسلام اليهود والنصارى والمجوس يؤدون الصدقة على أموالهم اذا بلغت نصابا وفي حالة وفاتهم بعد اسلامهم تطبق على أموالهم التي تؤول لورثتهم أحكام المواريث في الشريعة الاسلامية .

— اذا لم يكن لهم ورثة وتركوا أموالا عند وفاتهم تؤول لبيت مال المسلمين باعتبار أن بيت مال المسلمين وارث من لا وارث له .

— يتمتع من أسلم بما يتمتع به سائر المسلمين من عطاء بيت المال .

جواز بيع أهل الذمة ممتلكاتهم لأداه الجزية :

كتب عمر بن عبد العزيز الى يحيى بن سعيد :

« ان ما باع القبط في جزيتهم وما يؤخذون به من الحق الذي عليهم من عبد أو وليده أو بعير أو بقره أو دابة فان ذلك جائز عليهم جائز لمن ابتاعه منهم غير مردود اليهم ان أسروا (١٢) » .

ومما سبق نستخلص المبادئ التالية :

— اذا استحق على ذمي جزية وأصبح مدينا بها يجوز له بيع بعض ممتلكاته لأداه الجزية اذا كان معسرا .

— ولئن ابتاع منه هذه الممتلكات أن يتمسك بصحة عقد البيع ولا يردّها الى من باعها اذا أسر بعد عسر ورغب في استرداد ما باعه .

— لا تسرى هذه القاعدة على الأرض التي تحت أيدي أهل الذمة لأن البلد اذا فتحت عنوة كانت أرضها فينا للمسلمين (١٣) . ولا يجوز لأهل الكتاب التصرف فيها اذا كانوا يزرعونها .

(١٢ ، ١٣) فتوح مصر واخبارها - تأليف أبي القاسم عبد الرحمن بن عبد الله ابن عبد الحكم بن أيمن القرشي - تقديم وتحقيق محمد صبيح ص ١٠٦ .

جواز كراء أهل النمة لأرضهم :

يستكمل عمر بن عبد العزيز كتابه السابق فيقول :

« وما آكروا من أرضهم فجائز كراؤه إلا أن يكون يضر بالجزية التي عليهم ، ففعل الأرض أن ترد عليهم أن أضرت بجزيتهم ، وإن كان فضلا بعد الجزية فإنا نرى كراءها جائزا لمن تكاراها منهم » .

ومما سبق يمكن استخلاص المبادئ التالية :

- الأرض في البلاد التي فتحت عنوة في المسلمين وملك لهم .
- يجوز إبقاء النسمين على الأرض لاستغلالها وأداء الخراج عنها كما فعل عمر بن الخطاب .
- وفي رأى عمر بن عبد العزيز يجوز لهم كراء الأرض .
- إذا كان الكراء يضر بالجزية كان كانت قيمة الكراء أقل من عائد استغلال الأرض وكان ذلك مما يقلل من أموال الذمي فلا يستطيع أداء الجزية المستحقة عليه ، فلا يجوز كراء الأرض .
- إذا كان الذمي قد أدى الجزية فلا اعتراض على الكراء .

طريقة تحديد الجزية بمصر في عهد عمر بن عبد العزيز :

يتبين مما سبق أن هناك ثمة علاقة بين الجزية والأرض ، مع أنه ليس على الأرض جزية وإنما عليها الخراج والجزية على الرؤوس ، ويبدو أنه بمصر كانت الجزية على الرؤوس طبقا للمبدأ العام ولكن كانت تحدد بطريقتين جزء منها مخصص على رؤوس الرجال وجزء عام يكون على رؤوس أهل القرية ، وتكون أرض أهل القرية ضامنة للجزية التي عليهم .

فيقول يحيى بن سعيد :

« الجزية جزيتان : فجزية على رؤوس الرجال ، وجزية جملة تكون على أهل القرية يؤخذ بها أهل القرية فمن هلك من أهل القرية التي عليهم جزية مسماة على القرية ليست على رؤوس الرجال ، فإنا نرى أن من هلك من أهل القرية ممن لا ولد ولا وارث أن أرضه ترجع إلى قريته في جملة ما عليهم من الجزية ومن هلك ممن جزيته على رؤوس الرجال ولم يدع وارثا فإن أرضه للمسلمين » (١٤) .

(١٤) المرجع السابق ص ١٠٦ .

أداء الجزية لا يبيح للذمي الاتجار في الخمر :

أداء الجزية يجعل أهل الكتاب في ذمة الدولة الإسلامية فيكون لهم الأمان على أنفسهم وأموالهم ، إلا إذا كان من بين هذه الأموال خمر فيمتنع ضررها عن المسلمين وقد فعل عمر بن عبد العزيز ذلك فأمر بتحويلها إلى خل وعدم إدارها لأنها مال من أموال أهل الذمة فينبغي عدم إدارها وفاء من المسلمين بعهدهم بحماية أموال أهل الذمة .

فقد كتب عمر بن عبد العزيز إلى عبد الحميد بن عبد الرحمن - وهو عامله على الكوفة - أن لا تحمل الخمر من رستاق إلى رستاق (١٥) وما وجدت منه في السفن فصيره خلا (١٦) .

فكتب عبد الحميد إلى عامله بواسطة محمد بن المنتشر بذلك ، فاتى السفن فصب في كل راقود (١٧) ماء وملحاً فصيره خلا (١٨) .

(١٥) من متجر لتجر أو من بلد لآخر .
(١٦) الأموال لأبي عبيد - مرجع سابق ص ١٣٤ .
(١٧) الراقود : دن كبير يطل داخله بالقلار .
(١٨) الأموال لأبي عبيد - مرجع سابق - ص ١٣٤ .

الفصل الثاني

الإصلاح المالى لخراج الأرض وعشور التجارة

الإصلاح المالى لخراج الأرض

الأسس العامة لإصلاح خراج الأرض :

قام إصلاح عمر بن عبد العزيز لخراج الأرض على الأسس التالية :

- وضع قواعد مفصلة لتحديد خراج الأرض .
- توضيح حكم المعاملات فى أرض الخراج .
- التأكيد على عدم تعذيب أرباب الخراج .
- توضيح بعض حالات أحياء الأرض .
- تحقيق المساواة فى الانتفاع بأرض الحمى .

واهتمام عمر بن عبد العزيز بإصلاح الخراج يؤدى إلى إصلاح الأرض وإنتاجها ، وهذا الاهتمام يقيم أمر الإسلام ، الذى اهتم اهتماما بالغا بالأرض وخصوبتها فقد تعرض القرآن الكريم للأرض فى مواضع عدة حتى بلغ ما ورد ذكره معرفا بالألف واللام أربعمئة وخمسين موضعا ، كما ربط الإسلام بين خصوبة الأرض وإنتاجيتها وقسمها طبقا لدرجة خصوبتها فيقول الله سبحانه وتعالى :

« والبلد الطيب يخرج نباته بأذن ربه والذى خبيث لا يخرج الا نكدا
كذلك نصرف الآيات لقوم يشكرون » (الأعراف/ ٥٨) (١) .

(١) للمزيد فى هذا الشأن يرجع لكتابتنا - الامار الأخلاقى لىالىة المسلم من وما يندىها
طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب .

وفيما يلي تفصيل حالات الإصلاح المالى التى قام بها عمر بن عبد العزيز :

تحديد قواعد خراج الأرض :

كتب عمر بن عبد العزيز الى عبد الحميد بن عبد الرحمن بشأن خراج الأرض ما يلى (٢) :

« انظر الأرض ولا تحمل خراباً على عامر ولا عامر على خراب »
وانظر الخراب فان أطاق شيئاً فخذ منه ما أطاق وأصلحه حتى يعمر ،
ولا تأخذ من عامر لا يحمل شيئاً ، وما أجذب من العامر من الخراج فخذ
فى رفق وتسكين لأهل الأرض وأمرك أن لا تأخذ فى الخراج الا وزن سبعة
ليس فيها تبر ولا أجور الضرابين ولا اذابة الفضة ولا حصدية النبروز
والمهرجان ولا ثمن الصحف ولا أجور الفيوج (٣) ولا أجور البيوت ولا
دراهم النكاح ، ولا خراج على من أسلم من أهل الأرض » .

ومن الكتاب السابق يمكن استخلاص المبادئ التالية بشأن خراج الأرض فى عهد عمر بن عبد العزيز :

— بدأ عمر بن عبد العزيز كتابه بطلب نظر الأرض ، أى دراسة
أحوالها وموقفها ودرجة خصوبتها للوصول لمدى احتمالها للخراج ، حتى
يتسم ما يؤخذ منها من خراج بالعدل ، فلا تحمل الأرض ما لا تطيق ،
وهذا هو المبدأ الذى وضعه عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، حينما رفض
تقسيم ما غنمه الفاتحون من أرض بينهم وآثر ان يبقيا ملكا للدولة ويفرض
عليها الخراج وقال لمن أرسلهما ليحددا الخراج على أرض العراق بعد
فتحها :

« لعلكما حملتا الأرض ما لا تطيق ، فقال أحدهما وهو عثمان بن
حنيفة « حملت الأرض أمرا هي له مطيقة » . وقال الآخر هو حذيفة بن
اليمان « وضعت على الأرض أمرا هي له محتملة وما فيها كثير فضل »

— تضمن الكتاب نهياً عن تحميل أرض خراب على أرض عامر ولا
تحميل أرض عامر على خراب ، لأن تحميل أنواع الأرض على بعضها ،
الخراب منها على العامر والعامر منها على الخراب ، يؤدى الى النظر الى

(٢) الكتاب من حديث لعبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان عن أبيه ورد فى كتاب الخراج
لابن يونس ص ٨٦ .
(٣) الفيوج : جمع « فيم » وهو رسول البريد .

الأرض كلها عند تحديد أخراجها نظرة شمولية فلا يتسم تحديد الخراج بالدقة التي تتحقق إذا تم تحديد الخراج بالنسبة لكل أرض على حدة ، والنظرة الشمولية تؤدي إلى غبن صاحب الأرض إذا حدد الخراج بأعلى مما تطيق الأرض أو غبن بيت المال إذا هبط الخراج عما تطيق .

— حدد الكتاب طريقة استئداء الخراج من كل نوع على حدة ، فلا يؤخذ من الخراب إلا القليل الذي يطيقه إن كان يطيق شيئاً ، وعلى المختصين أن يبحثوا أسباب خراب الأرض ويعمروها ، لأن التعمير يزيد الانتاج العام ويرفع التدخل القومي ويساهم في التمويل الغذائي للشعب وينمي خراج الدولة .

كما أن العامر من الأرض قد لا يؤتي في سنة ما محاصيل كافية لاستئداء الخراج منها بسبب أحوال جوية أو آفات زراعية أو بسبب هبوط درجة خصوبة الأرض نفسها ، فإذا أدت هذه العوامل إلى توقف الأرض عن الانتاج فلا يؤخذ منها خراج وإذا انتجت شيئاً يسيراً فيؤخذ منها الخراج في رفق بما يتناسب مع اليسير الذي أنتجته حتى لا يهجر الزارعون أراضيهم إذا التهم الخراج غير العادل معظم انتاجها .

وربط عمر بن عبد العزيز خراج الأرض بدرجة جسودتها يؤيده ما يذهب إليه الفنيون حديثاً من وجود علاقة بين نوعية الأرض والمحاصيل التي تنجح زراعتها بها ، فيقسمونها من حيث علاقة بعض خواصها ونتاجية المحاصيل وتكاليف هذه الانتاجية على النحو التالي : (٤)

نوع الأرض وما تنتجه				الماء	الآفة
أرض تدر فيها جميع المحاصيل وتعطي أكبر إنتاج بأقل تكاليف . أرض تنتج أغلب المحاصيل غير الحساسة للملوحة وتعطي أكبر إنتاج بتكاليف قليلة نسبياً . أرض لا يجهود بها مطلقاً المحاصيل الحقلية وتعطي محصولاً متوسطاً بتكاليف متوسطة . أرض محدودة الإنتاج تحتاج إلى مصاريف خدمة زراعية متوسطة أو عالية طبقاً لحالة الإنتاج .	جيد	جيد	جيد	عالية	عالية
	جيد	متوسط	متوسط	متوسط	متوسط
	متوسط	متوسط	ردي	عالية	متوسط
	متوسط	متوسط	ردي	عالية	عالية

(٤) من بحث للدكتور / أحمد محمود بدوي - معهد بحوث الأرض - مجلة الإرشاد الزراعي - عدد مايو ويونيه ١٩٨٠ - ص ٢٧ .
وورد بكتابنا الإطار الأخلاقي للمالية المسلم - ص ١٠٢ .

— حدد الكتاب قيمة الخراج بوزن سبعة وحدات من وحدات الوزن
التي كانت سارية في ذلك العهد .

نقاط معينة حدها الكتاب :

هذا ويتضمن كتاب عمر بن عبد العزيز في ختامه قاعدة هامة
وهي انه لا خراج على من أسلم من أهل الأرض ، لأنه ان أسلم صاحب
الأرض ولم تكن أرضه قد آلت للمسلمين كغنيمة بعد فتحهم للبسلاد ،
فلا تعتبر فيثا للمسلمين ، وبإسلامه تجب عليه الزكاة على محصولات
أرضه .

وقد يحدث أن يكون تحت يد شخص من أهل الكتاب أرض آلت
للمسلمين بسبب الفتح للبلاد أو نتيجة صلح وتضمنت شروط الصلح
أيلولة الأرض للمسلمين ، وهذه الأرض يستحق عليها الخراج ، فإذا
أسلم هذا الشخص فهل يدفع الزكاة على محصولاته وهي ركن من أركان
الاسلام ؟ أم يدفع الخراج عن الأرض باعتبارها ملكا للمسلمين ؟ أم يدفع
الاثنين معا . يرى عمر بن عبد العزيز أنه يدفع الاثنين معا .

فقد قال عمرو بن ميمون بن مهران :

سألت عمر بن عبد العزيز : المسلم تكون في يده أرض خراج
فيطلب منه العشر (أى الزكاة) فيقول (أى المسلم) إنما على الخراج .

فقال عمر بن عبد العزيز : الخراج على الأرض والعشر على
الحب (٥) . والواقع أن هذا الحكم يؤدي الى ازدواج العبء على الزارع
لأنه يقع عليه عبثان في وقت واحد وهما خراج الأرض وزكاة الزرع .

وضع خاص لأهل مكة :

لا يفرض خراج على أرض مكة ، لأن أرضها حرام حرما الله ، وفي
ذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ان مكة حرام حرما الله لا يحل
بيع رباعها ولا أجور بيوتها ، .

وكان عمر بن الخطاب ينهى أن تطلق دور مكة دون الحاج ويسكن
الحجاج في الدور الخالية . وطبق عمر بن عبد العزيز حديث رسول الله
صلى الله عليه وسلم ، فكتب الى أمير مكة كتابا أمره :

(٥) الاموال لأبي عبيد ص ١١٤ .

« ان لا يدع أهل مكة يأخذون على بيوت مكة أجرا فانه لا يحل لهم » (٦) .

الأرض في المسلمين فلا يجوز للمسلمين بيعها :

إذا افتتح المسلمون بلداً اعتبرت أرضها من الغنائم وتصبح ملكاً للمسلمين عامة ، فإذا أبقت الدولة الإسلامية ملاكها السابقين عليها لزراعتها فلا يجوز لهم التصرف فيها بالبيع ، لأنهم بذلك يكونون قد باعوا مالا يملكون ، وبذلك كتب عمر بن عبد العزيز إلى عماله فقال : « أما بعد فحل بين أهل الأرض وبين بيع ما في أيديهم قانهم انما يبيعون في المسلمين » (٧) .

عدم بيع الآلات الزراعية :

يحدث أن يطالب عمال الخراج القائلين على أرض الخراج من أهل الكتاب بالخراج المستحق عليهم ، فلا يؤدون ما عليهم من الخراج فيلجأ عمال الخراج إلى بيع بعض ممتلكاتهم لأداء الخراج المستحق لبيت المال .

وقد نهى عمر بن عبد العزيز أن تباع آلات أهل الذمة استدعاء للخراج المستحق عليهم لأن ذلك يعطل الانتاج العام ويؤدي إلى تناقص الخراج ، فقد كتب لعماله « أن لا يباع لأهل الذمة آلة » (٨) .

مبادئ عامة للعاملين بالخراج :

كان ميمون بن مهران قاضي الجزيرة وعلى خراجها في عهد عمر بن عبد العزيز فكتب إليه يشكو شدة الحكم والجباية ، فكتب إليه عمر :

« اني لم أكلفك ما يعنيك ، اجتن الطيب واقض بما استبان لك من الحق ، فإذا التبس عليك أمر فارفعه إلى ، فلو أن الناس اذا ثقل عليهم أمر تركوه ما قام دين ولا دنيا » (٩) .

فمما كتب عمر يمكن استخلاص المبادئ التالية بشأن واجبات القائلين على الخراج :

(٦) المرجع السابق ص ٨٤ ، ٨٥ .

(٧) المرجع السابق ص ١٢٢ .

(٨) المرجع السابق ص ١٢٢ .

(٩) الخراج لأبي يوسف ص ١١٤ - مرجع سابق .

- لا يكلف عمال الخراج بأعمال واختصاصات وأعباء فوق ما يستطيعون لأن في ذلك عناء لهم وعدم اتقان لأعمال الخراج .

- لا يجبى عمال الخراج الا الطيب من الأموال ، فيعدل في الجباية ويحسن في المعاملة ويبعد عن الجور والظلم .

وكان عمر بن الخطاب اذا اتاه خراج العراق يخرج اليه عشرة من أهل الكوفة وعشرة من أهل البصرة يشهدون أربع شهادات أنه من طيب ، ما فيه ظلم مسلم ولا معاهد (١٠) .

- اذا صادف عامل الخراج صعوبة في التطبيق بسبب غموض النص والتباس التفسير ، يطلب رأى المشرفين عليه ممن اقتصوا بالتفسير والافتاء .

- لا ينبغي أن يتصف عامل الخراج بالسلبية فيعالج الحالات السهلة ويترك تلك التي تتطلب جهدا .

عدم تعذيب أهل الخراج :

كتب عدي بن ارطاة وهو أحد عمال عمر بن عبد العزيز اليه ما يلي :
« أما بعد فان أناسا قبلنا لا يؤدون ما عليهم حتى يمسه شيء من العذاب » فكتب اليه عمر بن عبد العزيز ما يلي :

« أما بعد فالعجب كل العجب من استئذانك ايساى فى عذاب البشر كأنى جنة لله من عذاب الله وكان رضاي ينجيك من سخط الله ، اذا أتاك كتابى هذا فمن أعطاك ما قبله عفوا والا فاحلفه ، فوالله لأن يلقوا الله بجناياتهم أحب الى من أن ألقاه بعذابهم ، والسلام » .

وعمر بن عبد العزيز ينهي عن تعذيب أهل الذمة فى الخراج (نما يطبق نهى رسول الله عن تعذيب الناس ، فقد حدث هشام بن عروة عن أبيه عن سعيد بن زيد أنه مر على قوم قد أقيموا فى الشمس فى بعض أرض الشام ، فقال : ما شأن هؤلاء ؟ فقيل له : أقيموا فى الشمس فى الجزية ، فكره ذلك ودخل على أميرهم .

وقال : انى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « من عذب الناس عذبه الله » (*) .

(١٠) المرجع السابق ص ١٢٥ .

(*) المرجع السابق ص ١٢٥ .

احياء الأرض :

طبقا لحديث الرسول صلى الله عليه وسلم من يقوم باحياء أرض غير مملوكة لأحد وكانت هذه الأرض ميتة تؤول اليه ملكيتها .

فقد قال صلى الله عليه وسلم « من أحيا أرضا ميتة فهي له ، وما أكلت العافية منها فهي له صدقه » .

وسار الخلفاء الراشدون على تطبيق سنة الرسول ، وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يخطب على المنبر ويقول « يا أيها الناس من أحيا أرضا ميتة فهي له » .

وطبق عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه نفس المبدأ العام .

فعن حكيم بن زريق قال :

« قرأت كتاب عمر بن عبد العزيز الى أبي

« أن من أحيا أرضا ميتة ببنيان أو حرث مالم تكن من أموال قوم ابتاعوها من أموالهم أو أحيوا بعضها وتركوا بعضها فأجز للقوم احياءهم الذي أحيوا ببنيان أو حرث (١١) » .

وعن يحيى بن حمزة عن سليمان بن داود الحولاني :

« أن عمر بن عبد العزيز كان يقضى في الرجل اذا أخذ الأرض فعمرها وأصلحها ثم جاء صاحبها يطلبها : انه يقول لصاحب الأرض : ادفع الى هذا ما أصلح فيها فانما عمل لك » (١٢) .

وكان عمر بن عبد العزيز يقول أيضا :

« من غلب الماء على شيء فهو له » (١٣) .

فتكون سياسة عمر بن عبد العزيز بشأن احياء الأرض قامت على الأسس التالية :

— من أحيا أرضا ميتة ليست ملكا لأحد فهي له .

— الاحياء يكون بكافة الطرق بالزراعة أو باقامة المباني بعد تمهيد الأرض أو حسر الماء عنها كان كانت مستنقعا فجعلها حتى صارت صالحة .

(١١) الاموال لابن عبيد — مرجع سابق ص ٣٦٦ .

(١٢) المرجع السابق ص ٣٦٧ .

(١٣) المرجع السابق ص ٣٦١ ، ٣٦٢ .

— اذا احيا شخص أرضاً مملوكة للغير ، يمكن لصاحبها أن يستردها بعد أن يدفع تكاليف احياء الأرض لمن احياها ، أو يدفع من احياها للمالك ثمن أرضه وتؤول اليه .

حالة تطبيقية :

يورد أبو عبيد في كتابه الاموال حالة عملية أصدر فيها عمر بن عبد العزيز حكمه فكان رسول الله قد سلم بلالا أرضاً ، فباعوها بنو بلال الى الدولة في عهد عمر بن عبد العزيز ، فلما استثمرتها الدولة استخرجت منها معادن فطالب بنو بلال بزيادة في الثمن قائلين انهم باعوا الأرض على أنها أرضاً زراعية ولم يبيعوا ما استخرج منها من معادن .

فرد اليهم عمر بن عبد العزيز ما استخرج من معادن بعد أن خصم منها قيمة ما أنفق في استخراجها (١٤) .

سياسة حمى الأرض :

من بين أراضي الدولة الاسلامية نوع من الأرض ينبت فيها الكلابيتا طبيعياً بغير حرث أو غرس أو سقى من احد ، فتبيحها الدولة للناس جميعاً ليرعوا فيها أنعامهم ولا يجوز لأحد أن يحمي هذه الأرض أى يحيطها بسور يمنعها عن الناس ، الا أنه يجوز للدولة أن تحمي هذه الأرض في سبيل الله ، فقد حماها رسول الله صلى الله عليه وسلم لايواء الخيل الفازية في سبيل الله وحماها عمر بن الخطاب رضى الله عنه من بعده للخيل الفازية في سبيل الله ولايواء أنعام الصدقة بعد أخذها من المتصدقين تمهيداً لتوزيعها على مستحقيها من الفقراء والمساكين .

وقد قامت سياسة عمر بن عبد العزيز بشأن حمى الأرض على أن يطبق ما سنه الرسول صلى الله عليه وسلم ، وما فعله الخلفاء الراشدون من بعده وأباح للجميع بدون استثناء الانتفاع بها ولا يفضل في ذلك صاحب سطوة أو جاه أو سلطان على غيره من المسلمين ، فأذاع على ولاته وعماله تعليمات تقول :

« ونرى أن الحمى يباح للمسلمين عامة ، وقد كانت تحمي فتجعل فيها تقم الصدقات ، فيكون في ذلك قوة ونفع لأهل فرائض الصدقات »
« وإتباع الإمام كرجل من المسلمين ، إنما هو الفيث ينزله الله لعباده فهم فيه سواء » (١٥) .

(١٤) المرجع السابق ص ٤٢٣ ، ٤٢٤ .

(١٥) ابن الحكم وسيرة عمر بن عبد العزيز - تعليق : أحمد عبيد - الطبعة الثانية -

مكتبة وهبة بالقاهرة ص ٨١ .

الاصلاح المالى لعشور التجارة

أسس الاصلاح :

قام اصلاح عمر بن عبد العزيز لضريبة عشور التجارة على
الأسس التالية :

— توضيح مبادئها •

— الغاء ضرائب متداخلة معها •

— الافتاء فى ضريبة العشور على الخمر •

وهو اصلاح ينبع من تعاليم الدين خصوصا فى الضريبة على الخمر
لأن الله تعالى يقول : « انما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من
عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون » (المائدة/ من ٩٠) •

وفىما يلى تفاصيل أسس الاصلاح :

توضيح مبادئ عشور التجارة :

عشور التجارة هى الضرائب على أموال التجارة الصادرة من البلاد
الاسلامية والواردة لها ، وقد أوضحنا أن أول من وضعها فى الدولة
الاسلامية عمر بن الخطاب ، فقد كتب اليه أبو موسى الأشعري يذكر له
أن تجار المسلمين اذا أتوا أرض الحرب يأخذون منهم العشر ، فكتب اليه
عمر أن يأخذ من الحربيين اذا مروا ببلاد الاسلام كما يأخذون من تجار
المسلمين ، ومن أهل الذمة نصف العشر ومن المسلمين عن كل أربعين
درهما درهما أى ربع العشر وليس فيما دون المائتين من الدراهم شيء ،
فاذا كانت مائتين ففيها خمسة دراهم وما زاد بحسابه •

وتعتبر البلاد بلاد حرب اذا كانت الأحكام الظاهرة غير اسلامية
وتعتبر دار اسلام اذا كانت الأحكام المنفذة اسلامية (١٦) .

ويبدو أنه بمرور الوقت بعد عمر بن الخطاب وفي أيام خلفاء بني
أمية قبل عمر بن عبد العزيز لم يكن الأمر واضحاً في التطبيق فأصدر
بشأن هذه الضريبة عدة تعليمات وهي :

حدث يحيى بن سعيد عن ذريق بن حيان - وكان على مكس مصر -
فذكر أن عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه كتب ما يلي :

« انظر من مر عليك من المسلمين فخذ مما ظهر من أموالهم العين
ومما ظهر من التجارات من كل أربعين دينارا ، وما نقص فبحساب ذلك
حتى يبلغ عشرين دينارا ، فإن نقصت تلك الدنانير فدعها ولا تأخذ منها
شيئاً ، وإذا مر عليك أهل الذمة فخذ مما يدرون من تجارتهم من كل
عشرين دينارا دينارا فما نقص فبحساب ذلك حتى تبلغ عشرة دنانير ثم
دعها ولا تأخذ منها شيئاً وأكتب لهم كتاباً بما تأخذ منهم الى مثلها
من الحول » .

ويتضح من الكتابين السابقين أن عمر بن عبد العزيز طبق نفس
الفئات التي كان يطبقها عمر بن الخطاب على تجار المسلمين باعتبار أن
ما يحصل منهم زكاة وطبق كذلك نفس الفئات على تجار النصارى ، وأمر
بأن يعطوا ايضاً بما دفعوه .

ولم توضح تعليمات عمر بن عبد العزيز فئات من يمر من التجار
غير المسلمين وغير أهل الذمة وهم تجار البلاد التي لا تطبق الشريعة
الاسلامية ، ويبدو أن الأمر بشأنهم كان واضحاً لم يتطلب صدور
تعليمات .

القاء ضرائب متداخلة مع عشور التجارة :

يبدو أن خلفاء بني أمية قبل عمر بن عبد العزيز فرضوا ضرائب
إضافية تحت أسماء مختلفة ، فأمر عمر بن عبد العزيز برفعها عن الناس
وقد أشار كتابه الى تلك الضرائب وهي الغدية والمائدة والمكس .
فمن يعقوب بن عبد الرحمن القارى عن أبيه قال :

(١٦) انظر كتابنا النظم التالية في الاسلام - طبعة الثالثة ص ١٠٩ وما بعدها .

كتب عمر بن عبد العزيز الى عدى بن اوطاة : « أن ضح عن الناس الفدية وضع عن الناس المائدة وضع عن الناس المكس ، وليس بالمكس ولكنه البخس الذي قال الله تعالى فيه - ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تمثوا في الأرض مفسدين - فمن جاءك بصدقة فاقبلها منه . ومن لم يأتك فאלله حسيبه » .

ويعتبر ما أجراه عمر بشأن رفع ما كان يجبي من الناس بغير حق من الاصلاحات الهامة للنظام المالي في عهده ، لأن تلك الفرائض تثقل كاهل الناس وتخل بالعدالة المالية وتولد السخط على الحكم والحكام .

بنسف بيت المكس :

لم يكتف عمر بن عبد العزيز بإلغاء الضرائب الإضافية التي فرضت على الناس بغير حق ، بل أمر بنسف دار الدولة التي كانت تحصلها من الناس . فقد كتب الى عبد الله بن عوف الناري :

« أن اركب الى البيت الذي يرفع الذي يقال له « بيت المكس » فاحدمه ثم احمله الى البور فانسفه فيه نسفا »

ويعرف المكس بأنه ما يأخذه أعوان الدولة على أشياء معينة عند بيعها أو عند ادخالها المدن وجمعه مكوس والمكس والمكاس من يأخذ المكس ويقال له أيضا صاحب المكس .

وعن عقبة بن عامر أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « لا يدخل الجنة صاحب مكس » - رواه الامام أحمد وأبو داود وصححه على شرط مسلم .

ويبدو أن سبب تحريم رسول الله صلى الله عليه وسلم للمكس أنها تعتبر من الضرائب غير المباشرة وهي تقسم عادة بالظلم لأنها لا تقع على الدخل أو الثروة المباشرة لدافعيها ، بل تفرض على السلع فترفع أثمانها ، فلا يستطيع أصحاب الدخل المحدود الحصول عليها ، وإذا حصلوا عليها تكلفوا نظير ما يدفعونه كثرمن لها ما لا يطيقون .

ليس على الفخور عشود :

يقول الرسول صلى الله عليه وسلم « أن الله اذا حرم شيئا حرم ثمنه » ، فيحدث أن يمر على الموائى الاسلامية تجار من أهل الذمة يحملون خمرا ، وبناء على ذلك لا يحل في المالية العامة الاسلامية أن

يؤخذ عنها عشور التجارة لأنه لما كان ثمنها أو قيمتها محرمة أصلاً فاستقطاع جزء من قيمتها كعشور يعتبر بالتالي محرماً لأنه إذا كان مصدر العشور محرماً كانت العشور نفسها محرمة وذلك هو ما أشار به عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه :

فقد كتب الى عدي بن أرطاة : أن ابعت الى بفضل الأموال التي قبلك من أين دخلت ! فكتب اليه بذلك وصفه له : فكان مما كتب اليه « من عشر الخمر أربعة آلاف درهم » .

فكتب اليه عمر بن عبد العزيز : انك كتبت الى تذكر من عشور الخمر أربعة آلاف درهم ، وإن الخمر لا يعشرها مسلم ولا يشتريها ولا يبيعها ، فإذا أتاك كتابي هذا فاطلب الرجل فأرددها عليه فهو أولى بما كان فيها (١٧) .

فطلب عدي الرجل ورد عليه الأربعة آلاف درهم وقال أستغفر الله أني لم أعلم ، وعمر بن عبد العزيز يقتدى في ذلك بعمر بن الخطاب رضي الله عنه .

فقد بعث عمر بن فرقد الى عمر بن الخطاب بأربعة ألف درهم صدقة الخمر ، فكتب اليه عمر : « بعثت الى بصدقة الخمر ، وأنت أحق بها من المهاجرين وأخبر بذلك الناس (وفي هذا تقرير من عمر بن الخطاب لعامله لأنه أولى بهذا المال الخبيث من المهاجرين الذين يتعففون عن أكل المال الخبيث) (١٨) » .

ويثير ذلك نقاشاً في تطبيق ذلك في الضرر الحديث حيث تجبى الدولة ضرائب على إنتاج الخمر وتجاريتها تغذى بها مواردها العامة ، فهل تعفيها من الضرائب مع أن هذا الإعفاء يؤدي الى زيادة أرباح صنع الخمر وتجاريتها ؟ وللرد على ذلك نقول انه في الدول الإسلامية التي تطبق أحكام الشريعة الإسلامية ينبغي أن يمنع إنتاج الخمر فلا ترخص بإنشاء مصانعها وتصادر ما يقام بها من مصانع الخمر لأنها أقيمت بغیر ترخيص من الدولة وتمنع كذلك تجارتها لأن إنتاج الخمر وبيعها وشربها يخالف حكم الإسلام الذي اتخذته الدولة الإسلامية دستوراً لها .

الباب الخامس

اصلاح الانفاق العام ونماذج منه

اصلاح الانفاق العام

الأسس العامة لاصلاح الانفاق العام :

الاتفاق من الإيرادات العامة للجزية والخراج وعشور التجارة اتفاق عام غير مخصص لوجوه معينة كالانفاق من إيرادات الزكاة وخمس الغنائم . وعلى ذلك فهو اتفاق عام يوجه لجميع أوجه الانفاق التي يتطلبها نشاط الحكومة ومصالح الرعية ، كمخصصات رئيس الدولة وأجور العاملين بها ومرتباتهم ونفقات ادارة الدواوين والمصالح الحكومية ومستلزماتها وتكاليف الخدمات العامة للشعب من أمن داخلي وخارجي وتعليم وصحة وإقامة العدل بين الناس كما يمتد هذا النوع من الاتفاق العام ليشمل أية مشروعات عامة تقيها الدولة كتمهيد الطرق وشق القنوات وإقامة دور العبادة أو مد خطوط النقل والمواصلات وغيرها .

وقد قام اصلاح عمر بن عبد العزيز للاتفاق العام على الأسس التالية :

- زهد رئيس الدولة وعائلته في الأموال العامة .
- رفض رئيس الدولة الهدايا وتحريمها على عمال الدولة .
- اطلاق ابن الأموال العامة أموال الشعب .
- ترشيح الاتفاق العام وترتيبه طبقاً لأولويات تحقق المصلحة العامة .
- الاستمرار في أنواع الاتفاق المشروعة اللازمة للدولة .

والأسس السابقة للاصلاح نبعت من مشكاة الدين الاسلامي ، وبذلك يكون عمر بن عبد العزيز قد أقام أمر الدين في دائرة الاتفاق

العام ، فزهدته في المال العام كان اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم وعدم قبوله الهدايا وهو رئيس دولة كان لها اعتبار في حكم الاسلام غلول ومن غل أتى بما غل يوم القيامة وأسسها الأخرى لاصلاح الاتفاق العام تحركت في دائرة آيات القرآن المجيد التي طالبت المؤمنين بالاتفاق من طيبات ما كسبوا وأن يكون اتفاقهم مرشدا خاليا من الاسراف والاقتار وأنه كما يكون اتفاقهم علنيا يكون سريا وكما يكون في السراء يكون في الضراء الى غير ذلك من الأحكام التي تناولت الاتفاق بصفة عامة بحيث تسرى على الاتفاق الخاص والعام (١) .

وفيما يلي تفاصيل اصلاح الاتفاق العام في عهد عمر بن عبد العزيز :

زهد رئيس الدولة وعائلته

شعور زهد عمر بن عبد العزيز :

كان زهد عمر بن عبد العزيز عن الأموال زهدا شاملا كاملا ، وفي ذلك قال مالك بن دينار : « يقولون مالك زاهد ، أي زهد عندي - إنما الزاهد عمر بن عبد العزيز ، أتته الدنيا قاغرة قاغرا فلما فتركتها جملة » .
وتناظر أبو سليمان الورداني وأبو صفوان في عمر بن عبد العزيز وأويس القرني .

فقال أبو سليمان : كان عمر بن عبد العزيز زهدا من أويس -

فقال أبو صفوان : ولم ؟

قال أبو سليمان : لأن عمر ملك الدنيا فزهد فيها .

فقال أبو صفوان : وأويس لو ملكها لزهد فيها مثل ما فعل عمر -

فقال أبو سليمان : لا تجمل من جرب كمن لا يجرب ، إن من جرت الدنيا على يديه ليس لها في قلبه موقع أفضل ممن لم تجر على يديه وإن لم يكن لها في قلبه موضع (٢) .

(١) للمزيد انظر كتابنا « النظم المالية في الاسلام » طبعة الثالثة من ١٣٥ - ١٤٢
اصدار الهيئة المصرية العامة للكتاب .

(٢) عمر بن عبد العزيز - لابن كثير القرشي - تعليق فاسد الشريفي مرسج سابق

نماذج من زهد

— رد عمر بن عبد العزيز فذك الى بيت المال . فجمع رؤوس الناس وخطبهم فقال :

« ان فذك كانت بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم يضعها حيث اراه الله ثم وليها أبو بكر وعمر كذلك » — قال الأصمعي : وما أدري ماذا قال في عثمان — قال : ثم ان مروان أقطعها ، فحصل لى منها نصيب . وذهب لى الوليد وسليمان نصيبهما ، ولم يكن من مالى شىء أردته أغلى منها وقد رددتها فى بيت المال ، على ما كانت عليه فى زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم » .

وكانت فذك قرية بخيبر . وكانت فيثا لرسول الله صلى الله عليه وسلم . فكانت لابن السبيل فسألته ابنته اياها فأبى الرسول ، فولى أبو بكر فسلك مسلك النبى ثم عمر ثم عثمان كذلك ، فلما ولى معاوية طلبها منه مروان فأعطاه اياها . فكان يبيع ثمرها كل سنة بعشرة آلاف درهم . ثم نزعها من يده فكانت بيد وكيله بالمدينة ثم ولى مروان الحكم فألت اليه فأعطى ابنه عبد الملك نصفها فوهب عبد العزيز حقه لولده عمر ولما توفي عبد الملك طلب عمر الى الوليد حقه فوهبه له ، وطلب الى سليمان حقه فوهبه له ثم وهب له الباقيون حقوقهم ، فلما تولى عمر بن عبد العزيز الخلافة وأعلن التنازل عنها لبيت المال ، كتب الى ابن حزم يقول :

« انى نظرت فى أمر فذك فاذا هو لا يصلح » فرأيت أن أردنها على ما كانت عليه فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبى بكر وعمر وعثمان فأقبضها وولها رجلا يقوم فيها بالحق والسلام عليك » (٣) .

— وتخلى عمر بن عبد العزيز أيضا عن كل ما كان بيده من قطائع غير فذك وهى المكيدس وجبل الوردس باليمن وقطائع أخرى باليمامة (٤) .

— ويذكر المؤرخون أنه كان يعيش على قطعة أرض صغيرة بالسويداء كان اشتراها بكده . فكانت تأتية غلتها كل سنة بمائتى دينار وقيل بمائة وخمسين أو أكثر قليلا (٥) وتخلى عن مخصصاته من بيت المال .

(٣) سيرة عمر بن عبد العزيز — ابن الجوزى ص ١٠٩ . عمر بن عبد العزيز — سعد عبد السلام حبيب ص ١٠٦ .
(٤) سيرة عمر — لابن الجوزى ص ١١٠ وعمر بن عبد العزيز — سعد عبد السلام حبيب ص ١٠٦ .
(٥) المرجع السابق ص ١١١ .

ولما قيل لعمر بن عبد العزيز أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان يأخذ من بيت المال بالحق وأنه حدد نصيبه من بيت المال بعد أن استشار الصحابة ، أجاب بأن عمر بن الخطاب لم يكن له مال وأنا مالى يفني عن بيت المال ، وراح يردد قول الله جل وعلا :

« تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا فى الأرض ولا فسادا والعاقبة للمتقين » (القصص / ٨٣) .

— كان دخله كل سنة — قبل أن يلى الخلافة — ٠٠ أربعين ألف دينار فترك ذلك كله لبيت المال (٦) .

— رد فص خاتم فى يده الى بيت المال وقال :

« أعطانيه الوليد من غير حقه » (٧) .

— كان قبل الخلافة يؤتى له بالقميص الرفيع اللين جدا .

فيقول : ما أحسنه لولا خشونة فيه ، فلما ولى الخلافة كان يلبس القميص الغليظ المرقوع ويقول : ما أحسنه لولا لينه (٨) .

— وقد زهد عمر بعد الخلافة وكان قبلها مفرطا فى النعيم فقد قيل : « كان عمر بن عبد العزيز أعظم أموى ترفها وتمسكا » غذى بالملك ونشأ فيه ، لا يعرف الا وهو تعصف ريحه فتوجد رائحته فى المكان الذى يمر فيه ، ويمشى مشية تسمى العمرية ، فكان الجوارى يتعلمنها من حسننها وتبختره فيها ، وأنه ترك كل شئ كان فيه لما استخلف غير مشيته ، فانه لم يستطع تركها فربما قال لمزاحم : ذكرنى اذا رأيتنى أمشى فيذكره فيخلط ثم لا يستطيع الا أياها فيرجع اليها » (٩) .

— وقد بلغ من رغبة عمر فى الزهد انه كان يعتبر أن النعيم الذى كان فيه قبل الخلافة نبت من فى المسلمين وأن زهده بعد الخلافة عن المال العام بمثابة رد لما أخذه من فى ، فلم يؤثر نفسه بزيادة فى الفى ، ولم يرزق منه شيئا الا عطاءه مع المسلمين فقد حدث أن جرت بينه وبين ابن أبى زكريا المناقشة التالية :

(٦ ، ٧) عمر بن عبد العزيز — لابن كثير — تعليق أحمد الشرباصى ، مرجع سابق ص ٩٣ .

(٨) المرجع السابق ص ٩٤ .

(٩) سيرة عمر بن عبد العزيز — لابن عبد الحكم — تعليق أحمد عبيد — طبعة لالية ص ٢٢ .

قال ابن أبي زكريا : يا امير المؤمنين اني اريد أن اكلمك بشيء .

قال عمر : قل .

قال : قد بلغني أنك ترزق العامل من عمالك ثلاث مائة دينار .

قال عمر : نعم .

قال : ولم ذلك ؟

قال عمر : أردت أن أغنيهم عن الحيانة .

قال : فانت امير المؤمنين أولى بذلك .

فأخرج عمر ذراعه وقال : يا ابن أبي زكريا ان هذا نبت من الفى .

ولست معيدا إليه منه شيئا أبدا (١٠) .

— وكان زهده بعد الخلافة بالرغم من توفر الأموال العامة وبالرغم

من أن الأموال العامة التي زهد فيها كانت ستوجه لأداء الحج .

فقد قال عمر لمولاه مزاحم : اني قد اشتبهت الحج فهل عندك شيء ؟

قال مزاحم : بضعة عشر دينارا .

قال عمر : وما تقع منى .

فمكت مزاحم قليلا ثم قال : يا امير المؤمنين تجهز فقد جاءنا مال

سبقة عشر ألف دينار من بعض مال بنى مروان .

قال عمر : اجعلها في بيت المال ، فان تكن حلالا فقد أخذنا منها ما

يكيفنا وان تكن حراما فكفانا ما أصبنا منها (١١) .

وقبل عمر بن عبد العزيز حدث أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه

حاسب نفسه على نفقات الحج .

فقد قال يسار بن نمير : سألتى عمر كم أنفقنا في حجتنا هذه ؟

قلت : خمسة عشر دينارا (ويروى أنه أنفق ثمانين ومائة درهم) .

فقال عمر : قد أسرفنا في هذا المال .

قال هذا مع أن الرحلة كانت رحلة متقشفة لدرجة أنه كان يستظل

من شدة القىظ بالقاء ثوب على شجرة ويستظل تحتها .

(١٠) المرجع السابق - ص ٣٩ .

(١١) المرجع السابق - ص ٥٣ .

فقد قال عبد الله بن عامر بن ربيعة « صحبت عمر بن الخطاب رضي الله عنه الى مكة في الحج ثم رجعنا ، فما ضرب له فسطاطة ولا جفاء ولا كان له بناء يستظل به ، انما يلقي نطقا أو كساء على شجرة فيستظل تحته » (١٢) .

— ولم يبين لعمر بن عبد العزيز بناء في أيام خلافته وكان يخدم بنفسه .

ويقول : ما تركنا شيئا من الدنيا الا عوضنى الله ما هو خير منها (١٣) .

الزام عائلته بالزهد :

— أمر عمر بن عبد العزيز ببيع حله وحلل زوجته وأولاده . ومراكبه وعطوره ومناعه — ودفع ثمنها الى بيت المال (١٤) .

— بعثت ابنة عمر بن عبد العزيز اليه بلؤلؤتين جميلتين كانت صديقة لها تزين اذنيها بهما .

وقالت له : ان رايت أن تبعث الى باخت لها حتى أجعلها قرطاً في اذني .

فأرسل لها بجمرتين ملتهبتين .

وقال لها : ان استطعت أن تجعل هاتين الجمرتين في اذنيك جئتك بلؤلؤتين كهذه (١٥) .

وعمر بن عبد العزيز في ذلك يستشعر نفس المشاعر التي شعر بها علي بن أبي طالب رضي الله عنه وجعلته يشبه المال العام الذي يأخذه الأمراء بغير حق بقطعة من النار .

فقد حدث سعيد بن محمد عن هارون بن عنترة عن أبيه .

قال : أتيت عليا بالرحبة يوم نيسروز أو مهرجان وعنده دهاقين وهدايا .

(١٢) سيرة عمر بن الخطاب تأليف علي طنطاوى ولأبي طنطاوى ص ٢٦٠ . ٢٥٩ ورد في كتابنا السياسة المالية لعمر بن الخطاب ص ٦٥٣ .

(١٣) المرجع السابق — ص ٦٤ .

(١٤) سيرة عمر — ابن عبد الحكم ص ٣٣ ، ٣٤ ، عمر بن عبد العزيز — سعد عبد السلام حبيب ص ١٠٧ .

(١٥) عبقرية الاسلام — عمر بن عبد العزيز — مرجع سابق ص ٣٢ .

قال : فجاء قنبر فأخذ بيده فقال : يا أمير المؤمنين . انك رجل لا تليق شيئا (١٦) وان لأهل بيتك في هذا المال نصيبا . وقد خبات لك خبيثته .

قال علي : وما هي ؟

قال : اطلق فانظر ما هي .

قال : فادخله بيتا فيه باسنة (اى غرارة) مملوءة آنية ذهب وفضة موهة بالذهب .

فلما رآها علي قال : ثكلتك أمك ، لقد أردت أن تدخل بيتي ناراً عظيمة .

ثم جعل يزنها ويعطى كل عريف بحصته ثم قال :

هذا جنساي وخيارى فيه وكل جان يده الى فيه لا تغرينى وغرى غبرى (١٧) .

— طلب ابن لعمر بن عبد العزيز كان متزوجا أن يزوجه أخرى ويصدق عنه من بيت المال فغضب عمر ورفض أن يصدق من بيت مال المسلمين وأمره أن يبيع بعض الأمتعة الخاصة ويستمن بثمانها على ما بدا له (١٨) .

وفى ذلك ينهج عمر بن عبد العزيز نهج عمر بن الخطاب حينما وجد القائم على بيت المال فى عهد درهما فأعطاه لا بن لعمر بن الخطاب ، فلما علم عمر رده وقال للقائم على بيت المال « أردت أن تخاصمنى أمة محمد صلى الله عليه وسلم فى هذا الدرهم يوم القيامة » (١٩) .

ويروى عبد الله بن عمر بن الخطاب رضى الله عنهما كيف أن أباه حرمه من ربح تجارة له مشروعة فى الأبل وأمره أن يكتفى برأسماله ويودع الأرباح بيت مال المسلمين لمجرد استنتاج غير متيقن بأن ابله حظيت بمزيد من الرعاية فوق أرض الحمى .

فيقول عبد الله بن عمر : اشتريت ابلا وارفعتها الى الحمى (أرض عامة ينبت بها الزرع) .

فلما سمنت قدمتها بها ، فدخل عمر السوق فرأى ابلا سمنا .

(١٦) لا تليق يده شيئا : أى لا تليق ولا يستقر بها .

(١٧) الأموال لأبى عبيد — مرجع سابق ص ٣٤٥ .

(١٨) سيرة عمر لابن عبد الحكم — تعليق أحمد عبيد — طبعة ثانية ص ١٠٦ .

(١٩) ورد بكقاب عمر بن الخطاب لمحمد سبيع ص ١٨٨ وكتابنا السياسة المالية

لعمر بن الخطاب ص ١٥٥ .

فقال : لمن هذه الابل ؟

قلت : لعبد الله بن عمر .

فجعل يقول : يا عبد الله . بخ بخ . . . ابن أمير المؤمنين .

فجئته أسعى فقلت : مالك يا أمير المؤمنين .

قال : ما هذه الابل ؟

قلت : ابل أنضاء (أى مهزولة) اشتريتها وبعتت بها الى الحمى

ابتغى ما يبتغى المسلمون .

فقال : ارعوا ابل ابن أمير المؤمنين ! اسقوا ابل ابن أمير المؤمنين

(أى ان ابله خطيت برعاية زائلة لأنها ابل ابن أمير المؤمنين) يا عبد الله

ابن عمر ! أغد على رأسمالك ، واجعل باقية فى بيت مال المسلمين (٢٠) .

زهد عمر بن عبد العزيز القنده بزهد الرسول :

كان عمر فى زهده متأسيا برسول الله صلى الله عليه وسلم .

وصحابته :

فقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم نموذجا للزاهدين العاملين ،

فمن زهده ما يرويه ابن مسعود فيقول :

« دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد نام على رمال

حصير وقد أثر فى جنبه .

فقلت : يا رسول الله لو اتخذنا لك وطاء تجعله بينك وبين الحصير

يقيك منه .

فقال : ماى وللدنيا ما أنا والدنيا الا كراكب استظل تحت شجرة

ثم راح وتركها .

ويفصح حديث بين ام المؤمنين حفصة - زوجة رسول الله صلى الله

عليه وسلم وأبيها أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه حينما فتحت

عليه الفتوح عما كان عليه الرسول من زهد .

فقالت لأبيها : البس ألين الثياب اذا وفدت عليك الوفود من الآفاق

ومر بصنعة طعام تطعمه وتعلم من حضر .

فقال عمر : يا حفصة الست تعلمين أن أعلم الناس بحال أهل الرجل

أهل بيته ؟

(٢٠) ورد بكتاب عمر بن الخطاب لعبد صبيح ص ١٨٩ وكتابنا السياسة المالية لعمر

ابن الخطاب ص ١٥٧ .

فقلت : بلى .

قال : قد ناشدتك الله هل تعلمين أن رسول الله لبث في النبوة كذا وكذا سنة لم يشبع هو ولا أهل بيته غدوة الا جاعوا عشية ، ولا شبعوا عشية الا جاعوا غدوة .

وناشدتك الله هل تعلمين أن النبي صلى الله عليه وسلم لبث في النبوة كذا وكذا سنة لم يشبع من التمر هو وأهله حتى فتح الله عليه .
خيبر ؟

وناشدتك الله هل تعلمين أن رسول الله قريتم اليه يوما على مائدة فيها ارتفاع ، فشق ذلك عليه حتى تغير لونه ، ثم أمر بالمائدة فرفعت ، ووضع الطعام على دون ذلك أو وضع على الأرض ؟

وناشدتك الله هل تعلمين أن رسول الله كان ينام على عبادة مثنية له ليله أربع طاقات فنام عليها ، فلما استيقظ قال : منعموني قيام الليل بهذه العبادة ، اثنوها باثنتين كما كنتم تثنوها . فما زال يقول حتى أبكاه وبكى عمر وانتحب (٢١) .

واقتردى المسلمون الأولون برسول الله صلى الله عليه وسلم فزهدوا وعملوا وجاهدوا حتى رفعوا راية الاسلام عالية خفاقة .

فيقول عبادة بن الصامت للمقوقس أمير مصر وهو يفاوضه باسم المسلمين عند أسوار بابليون .

« وما يبالي أحدنا أكان له قناطر من ذهب أم كان لا يملك الا درهما ، لأن غاية أحدنا من الدنيا أكلة يأكلها يسد بها جوعته ليله ونهاره وشمله يلتحفها ، فان كان أحدنا لا يملك الا ذلك كفاء . . . وان كان له قنطار من ذهب أنفقه في طاعة الله تعالى واقتصر على هذا الذي بيده » .

فيقول المقوقس لمن حوله : « ان هذا واصحابه . . ما أظن ملكهم الا سيتغلب على الأرض كلها » (٢٢) .

(٢١) من اخلاق النبي - تأليف الدكتور أحمد محمد الحوفي ص ٢٤٢ نقلا عن الاحياء

١٩٢/٤

(٢٢) فتوح مصر وأخبارها - تأليف ابن القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم

ابن المرقش المصري - تقديم وتحقيق محمد صبيح ص ٢٤ .

ثقل المسئولية مع الزهد :

كان عمر بن عبد العزيز مع شدة زهده كثير البكاء خشية محاسبة الله له عن حقوق الناس قبله ومنها حقوقهم من بيت المال :

فقال له : ما يبكيك ؟

قال : تلوموني أن أبكى - ولو أن شاة هلكت على شاطئ الفرات لأخذ بها عمر يوم القيامة (٢٣) .

وسأله زوجته مرة - وقد اشتد عليه البكاء - ما يبكيك يا عمر ؟

قال : ويحك يا فاطمة اني نظرت - فوجدتني قدوليت أمر هذه الأمة صغيرها وكبيرها واسودها واحمرها ففكرت في الفقير الجائع والمريض الضائع والعاري المهدد واليتيم المكسور والمظلوم المقهور والغريب والأسير والشيخ الكبير والأرملة الوحيدة وذو العيال الكثير والرزق القليل وأشباهم في أقاصى البلاد وأطراف الأرض .

فعلمت أن الله سائل يوم القيامة عنهم وأن محمدا صلى الله عليه وسلم حجيبي فيهم وخصمي دونهم يومئذ . . فخشيت أن لا يتبت لي عند الله عذر ولا يقوم لي مع رسول الله عليه الصلاة والسلام حجة . . فخفت على نفسي خوفا ودمعت له عيني ووجل له قلبي « (٢٤) .

وسبق أن بكى عمر بن الخطاب رضى الله عنه من هول المسئولية حينما كثرت في عهده الأموال العامة وقد خشى أن يكون الله يختبره بهذه الأموال وينظر هل يعطى الناس حقوقهم منها ويعدل في العطاء من عنده .

فيقول ابن عباس : دعاني عمر فاذا حصير بين يديه عليه الذهب منثورا نثرا الحشا (الثبن) .

فقال : هلم فاقسم بين قومك فالله أعلم حيث حبس هذا عن نبيه صلى الله عليه وسلم وعن أبى بكر وأعطانيه ، الخير أراد بذلك أو الشر ؟ وقال ابن عباس : فأكببت أقسم فسمعت البكاء فاذا عمر يبكى .

ويقول فى بكائه : كلا والذي بعثه بالحق ، ما حبس هذا عن نبيه وعن أبى بكر إرادة الشر بهما وأعطاه عمر إرادة الخير به (٢٥) .

(٢٣) ميرة عمر - ابن الجوزى - مرجع سابق ص ١٩٢ .

(٢٤) ابن الجوزى - ميرة عمر ص ١٨٨ ، ١٨٩ .

(٢٥) الأموال لأبى عبيد - مرجع سابق ص ٣١٩ .

ويبكي أيضا أبو عبيدة بن الجراح خشية أن لا يقوم له حجة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم . بسبب السعة من الأموال العامة .

فقد دخل داخل على أبي عبيدة بن الجراح القائد العام لجيوش الشام ووجده يبكي فلما سئل .

قال : يبكينى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر يوما يفتح على المسلمين حتى ذكر الشام .

فقال : ان نسا الله في أجلك فحسبك من الخدم ثلاثة ، خادم يخدمك وخادم يسافر معك وخادم يخدم أهلك . وحسبك من النواب ثلاثة . دابة لرحلك ودابة لثقلك ودابة لعلامك .

ثم قال أبو عبيدة : ثم هاتذا أنظر الى بيتي قد امتلأ رقيقا وإلى مربطى قد امتلأ خيلا فكيف ألقى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدها . وقد أوصانا . ان أحبكم الى وأقربكم منى من لقينى على مثل الحال التى فارقتم عليها . (٢٦) .

رفض رئيس الدولة الهدايا

رفض عمر بن عبد العزيز الهدايا :

كان عمر بن عبد العزيز يرد الهدايا التى ترد له ولو كانت من أهل بيته .

فيروى أن رجلا من أهل بيته أهداه ثفاحا فاشتبه ثم رده مع الرسول الذى حضر بالهدية .

وقال له : قل له . للمهدى . قد بلغت محلها .

فقال له الرجل : يا أمير المؤمنين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقبل الهدايا ، وهذا رجل من أهل بيتك .

فقال : أن الهدية كانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم هدية . فاما نحن فهي لنا رشوة (٢٧) .

(٢٦) أحمد بن حنبل امام أهل السنة - للاستاذ عبد الحليم الجندى - طبعة . المجلس

الأعلى للشئون الإسلامية - ص ١٤٤ .

(٢٧) عمر بن عبد العزيز ، ابن الجوزى ص ١٦٠ وردت بكتاب عمر بن عبد العزيز -

سعد عبد السلام حبيب ص ٩٦ .

ورفض عمر أموال هدية لأولاده بعد وفاته :

- لما مرض عمر مرض الموت دخل عليه مسلمة بن عبد الملك .
- فقال له : أوص يا أمير المؤمنين .
- قال عمر : مالى من مال فأوصى به .
- قال مسلمة : هذه مائة ألف دينار فأوصى فيها بما أحببت .
- قال عمر : أو خير من ذلك يا مسلمة أن تردّها من حيث أخذتها
- قال مسلمة : جزاك الله عنا خيرا يا أمير المؤمنين ، والله لقد ألتفت لنا قلوبا قاسية وجعلت لنا ذكرا فى الصالحين (٢٨) .
- وبين من زهد عمر ورفضه قبول الهدايا أن زهده كان شاملا وتمغفه عن الأموال كان كاملا وكان فى ذلك يصون الأمانة التى حملها وينفذ ما نبه اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم من أخذ الامارة بحقها وخشى الفلول الذى حذر منه كما يتبين من الأحاديث النبوية التالية :
- فالرسول صلى الله عليه وسلم يوضح طبيعة الامارة ومسئوليتها فى حديث جرى بينه وبين أبى ذر :
- قال له : يا رسول الله أمرنى
- فقال : انها أمانة ، وانها حسرة وتدامة يوم القيامة الا من أخذها بحقها وأدى الذى فيها (٢٩) .
- ومن الأمانة أن يعف الأمير عن الأموال العامة ومنافعها بغير حق تعففا شاملا كاملا .
- ويعتبر الرسول صلى الله عليه وسلم ان تجاوز الأجور المحددة من الدولة الى غيرها من الأموال والمنافع العامة غلول وحرام يأثم به أخذه .
- فاذا حددت الدولة للأمراء مرتبات لقاء أعمالهم للدولة وتجاوزوها كان ما أخذوه زيادة عنها غلول .
- فيقول الرسول صلى الله عليه وسلم : من استعملنساء على عمل فزقنناه فما أخذ بعده فهو غلول ، (٣٠) .

(٢٨) سيرة عمر بن عبد العزيز لابن عبد الحكم - تعليق أحمد عبيد - طبعة ثانية ص ١٠٠ .

(٢٩) الأموال لأبى عبيد ص ١١ .

(٣٠) المنتخب من السيرة النبوية الفريفة عدد ٣٦ للمجلد الثانى ص ١٠٠٠ و ص ١٠٠١

هدية مجلة منبر الاسلام .

— يقول جل وعلا « ومن يغفل يات بما غل يوم القيامة » (آل عمران/ من ١٦١) .

وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يحذر من الغلول ويوضح أن الذين يغلولون يوم القيامة تحيط بهم الأموال التي غلوها وتصدر أصواتا تفضحهم فيستغيثون برسول الله صلى الله عليه وسلم فلا يغيثهم لأنه حذرهم في الدنيا .

فعن أبي هريرة رضى الله عنه — قال :

قام فينا النبي صلى الله عليه وسلم فذكر الغلول وعظم أمره ، قال لا الفين أحدكم يوم القيامة على رقبتك شاة لها نفاة (صوت الشاة) على رقبتك فرس لها حمحة (صوت الفرس اذا طلب علفه) .

يقول يا رسول الله أغثنى ، فأقول لا أملك لك شيئا قد أبلغتك ، وعلى رقبتك صامت (الذهب أو الفضة) فيقول يا رسول الله أغثنى فأقول لا أملك شيئا قد أبلغتك أو على رقبتك رقاع تخفق .

فيقول : يا رسول الله أغثنى فأقول لا أملك شيئا قد أبلغتك ، (٣١) .

ولا شك أن الأموال العامة التي وردت في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وردت على سبيل المثال وليس على سبيل الحصر فآية أموال عامة أخرى لم يشملها حديث الرسول صلى الله عليه وسلم وآية أموال عامة حديثة لم تكن موجودة أيام الرسول صلى الله عليه وسلم يسرى عليها نفس الحكم بالقياس ، ولو كانت الأموال التي غلت قليلة القيمة زهيدة المقدار .

— فقد حدث أن ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم بوادي القرى لما انصرف الجيش من خيبر وكان معه غلام ، فأتى الغلام سهم لا يدري رامية فأصابه فقتله .

فقال الصحابة : هنيئا له الجنة .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كلا والذي نفس محمد بيده ان شملته الآن لتحرق عليه في النار (وكان غلها من فيء المسلمين يوم خيبر) .

فسمع رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتاه .

فقال : يا رسول الله أصبت شركاين لتعلن لي .

(٣١) صحيح البخاري — جزء ٢ — إصدار المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ص ١٢٤ .

فقال : يقدر لها مثلها في النار (٣٢) .
 - كما أن الرسول صلى الله عليه وسلم منع الولاة من أخذ الهدايا .
 روى في الصحيحين عن أبي سعيد الساعدي قال :
 استعمل النبي صلى الله عليه وسلم رجلا من الأزد على الصدقة .
 فلما قدم قال : هذا لكم وهذا أهدي الى .
 فقال النبي صلى الله عليه وسلم : ما بال الرجل نستعمله على العمل
 مما ولانا الله فيقول هذا لكم وهذا أهدي الى ، فهلا جلس في بيت أبيه
 أو بيت أمه فينظر أيهدى إليه أم لا ؟ (٣٣) .

اعلان أن الأموال العامة أموال الشعب

الأموال العامة من الشعب وإليه :

صدر الأموال العامة هو الشعب ، فهو يقوم بسداد الإيرادات العامة للدولة . وفي المالية العامة الإسلامية تكون حصيلة الزكاة وهي من المسلمين والجزية والحراج من أهل الكتاب وعشور التجارة من المارين من أهل الحرب بمواني الدولة الإسلامية وهذه وأية ضرائب أخرى تفرضها الدولة يتحملها الأفراد ويستقطعونها من أموالهم ويؤدونها لخزائن بيت المال ، والوظيفة الأولى للحكومة وأجهزتها أن تؤدي الخدمات العامة من دفاع وأمن وعدالة وتعليم وصحة وغيرها للشعب . وتنفق عليها مما تجمع من أموال عامة .
 فالأموال العامة إذن هي أموال الشعب وتعود إليه في شكل تكاليف الخدمات العامة التي تؤدي إليه ، وحتى القروض العامة التي تقرضها الدول لتمويل العجز في النفقات العامة تعتبر أيضا من أموال الشعب لأن الأفراد من الأجيال الحاضرة والمستقبلية ينحملون تكاليف هذه القروض .

والواجب دائما أن تعلن هذه الحقيقة على المواطنين حتى تستقر في وجدانهم فيحافظوا على الأموال العامة ويصونوها من الاتلاف والضياع والاعتداء ، ويحاسبوا من يبدع هذه الأموال العامة إذا أساءوا استخدامها ولم يرشدوا عملياتها وخالفوا مسارها السليم المستقيم ، وتكون المحاسبة بمعرفتهم مباشرة أو بعرفة ممثلهم في المجالس النيابية المركزية منها والمحلية .

(٣٢) من أخلاق النسي - د. أحمد محمد الحوفي - نقلًا عن مسند أحمد ص ٣٤ .

(٣٣) المنتخب من السنة النبوية الشريفه عدد ٣٦ المجلد الثاني هدية مجلة منبر

الاسلام ص ١٠٠٧ .

أعلن عمر بن عبد العزيز أن الأموال العامة أموال الشعب في إحدى خطبه فأوضح أنه منع نفسه عن المال العامة لأنه ليس ماله وأنه لم يضمن به على الشعب لأن المال العام ماله فقال : « أيها الناس .. ألا واني منعت نفسي وأهل بيتي هذا المال ، فإن ضمنت به عنكم ، اني اذا لظنين » (٣٤) .

المال مال الله والشعب مستخلف عليه :

وتؤكد المالية العامة الإسلامية هذا المعنى ، فيعتبر الإسلام أن المال عموما ومنه المال العام مال الله وأن الناس مستخلفون عليه ، وفي ذلك يقول الله سبحانه وتعالى :

« وآتوهم من مال الله الذي آتاكم » (النور / من ٣٣) .

« آمنوا بالله ورسوله وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه ، فالذين آمنوا منكم وأنفقوا لم أجر كبير » (الحديد / ٧) .

فالشعب إذن مستخلف على الأموال ، فإذا أطاع الله وأولى الأمر وأدى ما عليه من فرائض لبیت المال ، كان على الحكومة وهي وكيلة من الشعب أن يستقر في يقينها أن المال مال الله وأن الشعب استخلفها عليه وأن عليها أن توجهه لتحقيق المصلحة العامة التي هي في النهاية مصلحة الشعب ، وعلى الشعب كذلك أن يعرف أن المال مال الله وأن الله استخلفه عليه وأنه مما يدخل في نطاق الاستخلاف أن يراقب الأموال العامة التي جنتها منه الحكومة ويتأكد من أنها تدار إدارة رشيدة .

ترشييد الانفاق العام

المقصود بترشييد الانفاق العام :

يقصد بترشييد الانفاق العام أن يكون خاليا من الاسراف والتقتير ، فالاسراف انفاق بغير عائد فهو مضیعة للأموال ، والتقتير حبس للمال عن تحقيق منفعة مشروعة ، ويدعو الله جل وعلا الى خلوا انفاق الأموال من النقيصتين فيقول :

« والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما » (الفرقان / ٦٧) .

(٣٤) سيرة عمر بن عبد العزيز - ابن عبد الحكم ص ٣٦ .

ومن عوامل ترشيده الاتفاق العام أن توجه الدولة طبقا لأولويات
تقوم على ترتيب أوجه انفاقه على أساس ما تحققه للمصلحة العامة ، فكلما
كان الاتفاق العام على وجه معين من وجوه الانفاق العام أكثر تحقيقا
للمصلحة العامة ، كلما كان له الأولوية في الترتيب ، وتبدو أهمية ترتيب
وجوه الاتفاق العام اذا كانت الماليات العامة للدول تسفر عن عجز مالى
تزيد فيه النفقات العامة عن الموارد العامة فيكون عليها أن تبدأ بالاتفاق
على الأهداف الأكثر أهمية .

ونوضح فيما يلى نماذج من ترشيده الاتفاق العام الذى أجراه عمر بن
عبد العزيز .

ترشيده اعتمادات انتقال رئيس الدولة :

لما رجع عمر بن عبد العزيز من جنازة سليمان بن عبد الملك أتوا له
بمراكب الخلافة ليركبها فامتنع عن ذلك وأنشأ يقول :

فلولا التقى ثم النهى خشية الردى لما صببت في حب الصبا كل زاجر
قضى ما قضى فيما مضى ثم لا ترى له صبوة أخرى الليالى الغواير

ثم قال : ما شاء الله ، لا قوة الا بالله ، قدموا الى بغلتى .

ثم أمر ببيع تلك المراكب الخليفة لمن يريد وكانت من الخيول الجياد
المثمرة ، فباعها وجعل أمانها فى بيت المال (٣٥) .

ترشيده اعتمادات حراسة رئيس الدولة :

منع عمر بن عبد العزيز حراسه من القيام له وقال له :

« لا تبدثنى بالسلام ، انما السلام علينا لكم .. وان بى عنكم
لغنى ، كفى بالقدر حاجزا ، وبالأجل حارسا ومع ذلك لا أخرجكم من
مراقبكم ولا أقطع أرزاقكم .. من أقام منكم فله عشرة دنانير ، ومن شاء
فايلحق بأهله وذويه (٣٦) .

القضاء نفقات البلاط :

فى أول عهد عمر عرضت عليه الجوارى والوصيفات من نازلات
البلاط . كى يختار منهن وصيفات قصره وسلطانه .

(٣٥) عمر بن عبد العزيز - ابن كثير ص ٦١ .

(٣٦) سيرة عمر - ابن الجوزى ص ٩٨ .

فجعل عمر يسألهن واحدة واحدة « من أنت وكيف أخذت ؟ » •
وينادى عمر « مزاحم » ويطلب منه أن يرسل كل واحدة منهن الى
بلدها وذويها (٣٧) •

ترشيده وتعفف عن المال العام :

— دخل عمر بن عبد العزيز يوما على امراته فسألها أن تقرضه درهما
أو فلوسا يشتري له بها عنبا فلم يجد عندها شيئا •
فقال له : أنت أمير المؤمنين وليس في خزائنك ما يشتري به عنبا •
فقال : هذا أيسر من معالجة الأغلال والأنكال غدا في نار جهنم (٣٨) •
— بعث يوما غلامه ليشوى له لحما فجاء بها سريعا مشويا •
فقال له : أين شويتها •

قال : في المطبخ

قال : في مطبخ المسلمين ؟

قال : نعم •

قال : كلها فاني لم أرزقها فهي رزقك •

— وسخنو له الماء في المطبخ العام فرد بدل ذلك بدرهم حطباً لببيت
المال (٣٩) •

— وكان له سراج يكتب عليه حوائجه وسراج لببيت المال يكتب عليه
مصالح المسلمين ، لا يكتب على ضوئه لنفسه حرفاً (٤٠) •

ترشيده اعتمادات الإضاعة :

وجد عمر فيما وجد من مخلفات سليمان بن عبد الملك رسائل من
عامله على المدينة محمد بن حزم يطلب حصة من الشمع كالتى كانت لأمرأه
من قبله ، وكان عمر لما ولى أمر المسلمين قد أبقاء لعلمه وفقهه وعدله
وحكمته وكما طلب محمد بن حزم كذلك من سليمان قراطيس (أوراق
لحوائج المسلمين) •

(٣٧) المرجع السابق ص ٥٠ •

(٣٨، ٣٩، ٤٠) عمر بن عبد العزيز لابن كثير القرشي - تقديم وتعليق احمد الشرباصي

ص ٧٦ ، ٧٧ •

فكتب عمر اليه :

أما بعد ، فقد قرأت كتابك الى سليمان تذكر فيه أنه كان يقطع
لن قبلك من أمراء المدينة من الشجع كذا وكذا يستضيئون به في
مخرجهم ، فابتليت بجوابك فيه ، ولعمري لقد عهدتكم يا ابن حزم وأنت
تخرج من بيتك في الليلة الشاتية المظلمة بغير مصباح ، ولعمري أنت
يومئذ خير منك اليوم ، وقد كان في قنديل أهلك ما يغنيك ، ثم قرأت
كتابك الى سليمان تذكر فيه أنه كان يجرى على من كان قبلك من أمراء
المدينة من القراطيس (الورق) لحوائج المسلمين كذا وكذا فابتليت
بجوابك فيه . فإذا جاءك كتابي هذا فادق القلم ، وأجمع الخط ، وأجمع
الحوائج الكثيرة في الصحيفة الواحدة . فإنه لا حاجة للمسلمين في فضل
قول أضر ببيت مالهم - والسلام عليك (٤١) .

ترشيده الانفاق العام على الأدوات الكتابية للولة :

مات ابن لعمري بن عبد العزيز فكتب له عامل يعزيه عن ابنه :

فقال عمر لكاتبه : أجبه عنى .

فاخذ الكاتب يبرى القلم .

فقال عمر للكاتب : أدق القلم فإنه أبقى للقرطاس وأوجز

للحروف (٤٢) .

ترشيده الانفاق العسكرى :

أوضحنا أن عمر بن عبد العزيز سحب جيشا للدولة كان مرابطا
حول أسوار القسطنطينية بعد ما تبين له سوء حالة الجيش وبذلك رشد
الانفاق العسكرى ما دام لم يكن هناك أمل في تحقيق أى نصر .

وحدثا يتوقف مدى الترشيده الممكن أن يتحقق فى الانفاق العسكرى
على عوامل عدة منها درجة التوتر العالمى والعنف السائد فى الدول المحيطة
ومدى الاستعداد العسكرى لتلك الدول والسوق التى تشتري منها
الأسلحة وأسعارها مع مراعاة أن خفض الانفاق العسكرى قد يؤدى الى
تأثر الأنشطة الاقتصادية الأخرى وحدث حالة من البطالة فى حالة

(٤١) خامس الراشدين عمر بن عبد العزيز - سلسلة مقالات بجريدة الأهرام بتاريخ

٨٥/٨/٢١ لعيد الرحمن القرقاوى .

(٤٢) الطبرى جزء ٦ - مرجع سابق ص ٥٧١ .

الاستغناء عن بعض القوات وقلة الطلب على السلع التي تستهلكها هذه القوات المسلحة .

ومع ذلك فيظل بعد مراعاة العوامل السابقة الباب مفتوحا لترشييد الاتفاق العسكري عن طريق ترشييد الكم والحجم العسكري بترشييد عدد القوات المسلحة وأنواع أسلحتها وتكلفة العناصر الادارية بها ومحو الاسراف والفاقد والتكاليف الضائعة نتيجة عدم اكتمال التنظيم والادارة .

منع عطاء الشعراء من مال الدولة :

لما استخلف عمر بن عبد العزيز وقف أحد الشعراء على بابه فقال عمر ليس لنا في شعرهم مارب ، (٤٣) .

وكان الشعراء يقفون ببابه شهرا لا يأذن لهم ويقول = ليس لهم في بيت المال حق = (٤٤) .

وكان يذكر لكل منهم ما قاله من شعر مخالفا الحق والفضيلة ومما ذكره عن الأخطل قوله :

فلمست بصائم رمضان عمري	ولست بأكل لحوم الأضاحي
ولست بقائم كالعير أدمو	قبيل الصبح حي على الفلاح
ولكني ساشربها شمولا	واسجد عند متبلج الصباح (٤٥)

ولما تشفع الفقيه الورع = عوف بن عبد الله بن عتبة بن مسعود الهذلي ، في دخول الشاعر جرير على عمر بن عبد العزيز فدخل جرير وهو يقول :

ان الذي بعث النبي محمدا	جعل الخلافة في امام عادل
وسم الخلائق عدله ووفاءه	حتى ارعوا واقام ميل المائل
والله انزل في القرآن فريضة	لابن السبيل وللفقير العائل
اني لأرجو منك خيرا عاجلا	والنفس مولعة بحب العاجل (٤٦)

فقال عمر : ويحك يا جرير اتق الله ولا تقل الا حقا ، فانشد جرير يقول :

كم باليمامة من شعشاء ارملة	ومن يتيم ضعيف الصوت والنظر
هذه الارامل قد قضيت حاجتها	فمن حاجة هذا الارمل الذكر (٤٧)

(٤٣، ٤٤، ٤٥، ٤٦) من كتاب عمر بن عبد العزيز - سعد عبد السلام حبيب - وردت في المخطوطات من ١٣٥ حتى ١٣٩ - طبعة دائرة الفكر العربي .

فقال عمر : يا جرير أمن أبناء المهاجرين انت فتعرف لهم حقهم ،
أم من أبناء الأنصار فيجب لك ما يجب لهم ، أم من فقراء المسلمين فنأمر
صاحب صدقات قومك ، فيصلك بمثل ما يصل به قومك ؟

فقال جرير : يا أمير المؤمنين ، ما أنا بواحد من هؤلاء ، واني لمن
أكثر قومي مالا ، وأحسنتهم حالا ولكني أسألك ما تعودت عليه من الخلفاء :
أربعة آلاف درهم وما يتبعها من كسوة وحملان .

فقال له عمر : كل امرئ يلقى فعله . . أما انا فما أرى لك في مال
الله حقا (٤٨) .

— هذا وتظهر في الموازنات العامة الحديثة لبعض الدول اعتمادات
تخصص للانفاق على نهضة الثقافة العامة وتشجيع فروعها ومنها الشعر ،
ولا تتريب على ذلك ما دام الشعر يرتبط بالحق والفضيلة ، فالشعر فن
والفنون الصالحة غير الهابطة أو المسفة تهذب النفس وتسمو بالمشاعر
وتجمل الحياة .

ولا يتعارض ذلك مع أصول الدين ولا يهدره قول الله تعالى مخبرا
عن نبيه محمد صلى الله عليه وسلم « وما علمناه الشعر وما ينبغي له
ان هو الا ذكر وقرآن مبين » (يس / ٦٩) .

وتفسير ذلك ان الله لم يعلم رسوله الشعر ولا هو في طبعه ولا
يحسنه . غير انه ثبت في الصحيح أنه صلى الله عليه وسلم تمثل يوم
حفر الخندق بأبيات عبد الله بن رواحة رضى الله عنه ولكن تبعا لقول
أصحابه رضى الله عنهم فانهم كانوا يرتجزون وهم يحفرون فيقولون :

اللهم لولا أنت ما اعتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا
فأنزلن سكينتنا علينا وثبت الأقدام ان لا قيـنا
ان أولاء قد بغوا علينا اذا أرادوا فتنة أبينا

فكان صلى الله عليه وسلم يرفع صوته ويقول « أبينا » ويمدها .

وقد ثبت كذلك أنه صلى الله عليه وسلم قال يوم حنين وهو راكب
البغلة يقدم بها نحو العدو :

انا النبى لا كـلب انا ابن عبد المطلب

ولكن ذلك وقع اتفاقا من غير قصد لوزن شعر بل جرى على اللسان
من غير قصد اليه فقد كانت مسجيتة صلى الله عليه وسلم تأبى صناعة
الشعر طبعا وشرعا (٤٩) .

وقد قال صلى الله عليه وسلم :

« لأن يمتلئ جوف أحدكم قبيحا خيرا له من أن يمتلئ شعرا » (٥٠) .

ولا يسرى ذلك على الشعر المشروع ، كهجاء المشركين وشعر الحكمة
وشعر الموعظ .

نرشيد الاتفاق العام بترتيب أولوياته :

أوضحنا أنه لا يتم الاتفاق العام على الشعب وخدماته بطريقة عشوائية
بل ينبغي أن يكون طبقا لأولويات واضحة يتم فيها المفاضلة بين أنواع
الاتفاق المختلفة وتفضيل أكثرها أهمية والأخذ بأعلاها عائد على الوطن
والمواطنين .

وقد أخذ عمر بن عبد العزيز بمبدأ المفاضلة بين وجوه الاتفاق
المختلفة . فقد استأذنه يوما واليه على الحجاز في صرف مبلغ كبير لكسوة
الكعبة ، فكان جواب عمر له :

انى أرى أن أجعل هذا المال فى أكباد جائعة فانها أولى بها من الكعبة .

فالانفاق العام على اطعام الفقراء وغذاء المساكين له أولوية تفضله
على الاتفاق على كسوة الكعبة (٥١) .

(٤٩) أخرجه الامام أحمد عن أبي هريرة مرفوعا .

(٥٠) مختصر تفسير ابن كثير - اختصار وتحقيق محمد على الصابوني - المجلد الثالث

ص ١٦٩ - ١٧٠ .

(٥١) عمر بن عبد العزيز - خالد محمد خالد ص ١٣٩ .

الفصل الثاني

نماذج من الانفاق العام في عهد عمر بن عبد العزيز

طبيعة الانفاق العام في عهد عمر بن عبد العزيز :

قامت المالية العامة الاسلامية في عهد عمر بن عبد العزيز بتمويل جميع النفقات العامة التي تطلبها ادارة الدولة واداء الخدمات العامة التي كانت تقوم بها الحكومات في ذلك الوقت ، فلم تكن الحكومات تؤدي جميع الخدمات العامة التي تقوم بها حاليا في ظل السياسات التدخلية ، بل اقتصر الأمر على الخدمات العامة الرئيسية التي تختص بها الحكومات ، كخدمات الدفاع والأمن الداخلي واقامة العدالة بين المواطنين بجانب الانفاق على المشروعات العامة التي كانت تتفق مع طبيعة ذلك العصر ، مع مراعاة انه في المالية العامة الاسلامية كما سبق أن أوضحنا تقوم موازنات الزكاة وخمس الغنائم بوجوه انفاق مخصصة تحقق خدمات عامة اجتماعية للطبقات الضعيفة في المجتمع .

وفيما يلي نماذج من الانفاق العام على ادارة الدولة والخدمات والمشروعات العامة في عهد عمر بن عبد العزيز :

الانفاق على أجور العاملين بالدولة :

تتضمن الاعتمادات العامة التي تنفقها الدولة جزءا هاما كأجور العاملين تدرجها بموازنتها العامة السنوية ، وقد اتجه عمر بن عبد العزيز في تحديد الاعتمادات اللازمة لأجور العاملين بالدولة الاسلامية في عهده على أساسين :

الأساس الأول : تحديد أجور عالية للعاملين :

يذكر ابن كثير أن عمر بن عبد العزيز كان يوسع على عماله في النفقة ، يعطى الرجل منهم في الشهر مائة دينار ومائتي دينار وأكثر وكان يبرر ذلك بأنهم إذا كانوا في كفاية تفرغوا لأشغال المسلمين (١) .

وعلاوة على اتقان الأعمال التي نوه عنها عمر بن عبد العزيز ، فإن جزالة اثابة العاملين تمصمهم من التطلع لآى اغراءات تعرض عليهم كقبول الهدايا من اصحاب الحاجات والرشاوى . ممن لهم أعمال متصلة بالدولة .

ولذلك فإن الدول حديثا تزيد مرتباتهم في فترات التضخم الاقتصادى عندما ترتفع الأسعار حتى لا تتناقص القوة الشرائية لما يحصلون عليه من مرتبات . كما أن موازنات الدول تتضمن ملحقات أخرى للمرتب الأساسى كالأجور نظير أى عمل اضافى يقومون به والمكافآت لاثابة المميزين منهم فى أداء الأعمال وتكاليف نظم للمعاشات تمنح لهم عند تقاعدهم ومبالغ لتمتعهم بنظام للعلاج حين مرضهم . كما تدرج الدول فى موازانتها كذلك اعتمادات لرد اية نفقات أنفقوها من أموالهم فى سبيل العمل .

وقد أشار أبو عبيدة الجراح على عمر بن الخطاب برفع أجور الولاة عندما اختار أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لتولى الولايات ، فجرى بينهما الحديث التالى :

قال أبو عبيدة : دنست أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال له عمر : يا أبا عبيدة اذا لم أستعن بأهل الدين على سلامة دينى فبمن أستعن ؟

فقال له عبيدة : أما اذا فعلت فاعنهم بالعمالة عن الخيانة . (أى اذا استعملتهم على شئ فاجزل لهم فى العطاء والأجر حتى لا يحتاجون) (٢) .

الأساس الثانى : عدم ازدواج الانفاق العام على العاملين :

أمر عمر بن عبد العزيز بعدم اعطاء العاملين الرزق من جهتين فليس لأحد أن يجمع بين عطاءين أو يحصل على أجرين وراثتين (٣) .

(١) عمر بن عبد العزيز - لابن كثير - مرجع سابق - ص ٩٠ - وقد سبق ان اشرنا لذلك عند التنويه من زهد عمر بن عبد العزيز .
(٢) الجراح لأبى يوسف - مرجع سابق ص ١١٣ .
(٣) عمر بن عبد العزيز - سمع عبد السلام ص ٨٠ لقلا عن ابن عبد الحكم وابن الجوزى .

ومن مزايا هذه السياسة أن تتيح الفرص لفتح باب العمالة لعدد أكثر من العاملين وترشد الاتفاق العام ، فلا تتحمل الموازنة العامة بأجور لا مبرر لها نظير أعمال لا ضرورة لها قد يؤهم من بيدهم الأمر لزومها لنشاط الدولة بغية الحصول على أجور زائدة فوق مرتباتهم الأساسية بغير حق .

اتفاق على مشتريات للدولة :

يوضح ما يلي انفساق الدولة على مشتريات لها في عهد عمر بن عبد العزيز .

كتب الوليد بن عبد الملك الى اسامة بن زيد التتوحي وكان واليا على خراج مصر أن يشتري له فللألف بعشرين ألف دينار ليهديه الى صاحب الروم فاشتراه من أحد تجار مصر وهو موسى بن وردان ولم يدفع الثمن ، فذهب الى عمر بن عبد العزيز ليطلب ما باعه فأمر له بها .

ويحدثنا موسى بن وردان عن ذلك فيقول :

« دخلت على عمر بن عبد العزيز فحدثته بأحاديث عن أدركته من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فكنت عنده بمنزله أدخل اذا شئت وأخرج اذا شئت فكنت أحدثه عن أدركت من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فسألته الكتابة الى حيان بن سريح في عشرين ألف دينار أستوفيها من ثمن فلل ألف ليكتب اليه بدفعها الى :

فقال لي : ولئن العشرون ألف دينار .

قلت : هي لي .

قال : ومن أين هي لك .

قلت له : كنت تاجرا .

فضرب بمخصرته ثم قال : التاجر فاجر والفاجر في النار .

ثم قال : اكتبوا الى حيان بن سريح .

فلم أدخل عليه بعدها وأمر حاجبه أن لا يدخلني عليه (٤) .

وكان البيت الذي خزن فيه الفلفل ملكا للدولة بناء قيس بن سعد ابن عباد ، حينما ولاه علي بن أبي طالب على مصر ثم عزله فكان الناس يقولون أن البيت بيته فلما ذكر له ذلك .

قال : أى دار لى بمصر ؟

فذكروها له . .

فقال : إنما تلك من مال المسلمين لا حق لى فيها .

ولما حضرته الوفاة أوصى فقال : انى كنت بنيت دارا بمصر وأنا
واليها واستعنت فيها بمعونة المسلمين فهى للمسلمين ينزلها ولا تهم (٤) .

وبذلك تنزه عن أخذ بيت بنى بمال الدولة ولم يميله عن الحق
اعتقاد الناس أن البيت بيته .

اتفاق على تعويضات من الدولة :

وفيما لى اتفاق على تعويض لمواطن لحقه ضرر من الدولة :

تدرج الدولة بموازنتها العامة السنوية اعتمادات لمقابلة أية
تعويضات تلزم بها بسبب أضرار تقع من العاديين بها على الناس وتكون
عادة بناء على حكم محكمة ، أو تنفيذا لبنود عقود بين الحكومة والغير بنص
فيها على تعويضات للغير على الدولة فى حالة وقوع أضرار ، وقد تدفع
هذه التعويضات بالتراضى بين الحكومة والغير ، فتدفع الدولة تعويضات
متى اقتضت بوقوع الضرر وهذا ما فعله عمر بن عبد العزيز .

فقد شكى اليه رجل .

فقال : زرعت زرعاً فمر به جيش من جند الشام فأفسده .

فعوضه عمر من بيت المال (٥) .

اتفاق على التعليم :

كان عمر بن عبد العزيز يهتم بالعلم والعلماء والتعليم ومن أقواله
فى هذا الشأن :

« ان استطعت فكن عالماً ، فان لم تستطع فكن متعلماً ، فان لم
تستطع فأحبهم - يعنى العلماء - فان لم تستطع فلا تبغضهم » .

(٤) فتوح مصر وأخبارها - تأليف أبى القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن الحكم بن

أعين القرشى - تقديم وتحقيق محمد صبيح ص ٧٣ . ٨٤ .

(٥) الخراج لأبى يوسف - مرجع سابق ص ١١٩ .

« تعلموا العلم فإنه زين للغنى وعون للفقير ، لا أقول انه يطلب به ولكنه يدعو الى القناعة » (٦) .

« ان للاسلام حدودا وفرائض وشرائع ومسنا ٠٠ فمن استكملها استكمل الايمان ومن لم يستكملها لم يستكمل الايمان - فان اعش بينكم ابينها لكم واعلمكموها واحملكم على العمل بها ٠٠٠ وان مت فما انا على صحبتكم بحريص » (٧) .

ولذلك كان ينفق من بيت المال على تعليم الشعب ومنهم أهل البدو .

فقد بعث يزيد بن أبى مالك المشقى والحارث بن يمجى الأشعرى يفقهان الناس فى البدو وأجرى عليهم رزقا من بيت المال ، فاما يزيد فقبلها واما الحارث فأبى أن يقبل .

فقال عمر : « انا لا نعلم بما صنع يزيد باسا وأكثر الله فينا مثل الحارث بن يمجى » (٨) .

وبذلك أقر عمر قبول يزيد للأجر لأنه عن عمل يقوم به للدولة ، وتبنى أن يكثر الله من أمثال الحارث بن يمجى لأنه قام بالتعليم متطوعا يبتغى الأجر من الله عز وجل .

وكان بعض العلماء يقومون بتعليم الناس مجانا دون أجر ومنهم أحمد ابن حنبل الذى لم يقبل عطاء من الحاكم ، ومنهم من كان يأخذ ما يتقرر له من بيت المال ولكن يفرقها فى الناس ومنهم ابراهيم بن طهمان فقد كان له جراية من بيت المال ولكن كان يفرقها تورعا فى العلم (٩) .

ومن الاتفاق على التعليم فى عهد عمر بن عبد العزيز انه كان يعطى من انقطع الى المسجد الجامع فى بلده وغيرها ونشر العلم وتلاوة القرآن فى كل عام من بيت المال مائة دينار .

ومما يتصل بالتعليم الاتفاق من بيت المال على النشاط الخاص بالترجمة ويعتبر عمر بن عبد العزيز من الأوائل فى نقل العلوم من اللغات

(٦) عمر بن عبد العزيز لابن كثير تعليق أحمد عبيد - مرجع سابق ص ١٤٦ .

(٧) عمر بن عبد العزيز - سعد عبد السلام حبيب ص ٨٧ . وابن كثير - تعليق

أحمد عبيد - مرجع سابق ص ٥٤ .

(٨) الأموال لأبى عبيد - مرجع سابق ص ٣٣٤ .

(٩) أحمد بن حنبل - امام أهل السنة - استاذ عبد الحليم الجندى - ص ١٥١ ،

الأخرى الى العربية ، فقد أمر بعض الروم فنقلوا كتابا في الطب الى العربية
واخرجوه للناس (١٠) .

واهتم عمر بن عبد العزيز كذلك باصلاح اللسان العربى لما وجد
اللحن يشيع فى الأمة وكان يشجع الموالى (أهل البلاد المفتوحة) على تعلم
اللغة العربية واتقانها ويفرق من بيت المال على من يتفوق فيها حتى أن
بعض الموالى أصبحوا بلسان عربى مبين أنصح بيانا من بعض العرب (١١) .

اتفاق عام عسكرى :

لم يكن عهد عمر بن عبد العزيز عهد فتوحات كما ذكرنا الا أنه
حدثت بعض المناوشات اضطرتة الى أن يسير لها الجيش ومنها ما يلى :
— فى سنة تسع وتسعين هجرية وبعد خلافة عمر بن عبد العزيز
اغارت الترك على اذربيجان فقتلوا من المسلمين جماعة ونالوا منهم ، فوجه
اليهم عمر بن عبد العزيز حاتم بن النعمان الباهلى فقتل أولئك الترك ،
فلم يفلت منهم الا اليسير فقدم منهم على عمر بخمسين أسيرا (١٢) .

— فى سنة مائة هجرية خرجت حرورية بالعراق ، فكتب عمر بن
عبد العزيز الى عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب عامل
العراق بأمره بأن يدعوهم الى العمل بكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه
وسلم فلما يستجيبوا بعث اليهم بجيش فهزمته الحرورية ، فبلغ عمر
ابن عبد العزيز فبعث اليهم مسلمة بن عبد الملك فى جيش من أهل الشام
فلقبهم فنصره الله عليهم (١٣) .

ويمثل الاتفاق على اعداد هذه الجيوش اتفاقا عاما تم تمويله من
بيت مال المسلمين .

اتفاق عسكرى لم يتم :

قد يتم الاتفاق العام ومنه الاتفاق العسكرى — لحفظ كرامة المواطنين
والمحافظة على معتقداتهم خصوصا اذا ما كانت ستهدر من دولة أخرى ،

(١٠) الامام الشافعى — استاذ عبد الحلوم الجندى — ص ١٧٠ اصدار المجلس الأعلى
للشئون الاسلامية .

(١١) مقال عن خامس الراشدين — لعبد الرحمن الشرفاوى — بجريدة الاهرام ص ١٢
فى ٨٥/٨/٢٨ .

(١٢) الطبرى جزء ٦ — المرجع السابق ص ٥٥٣ ، ٥٥٤ .

(١٣) الطبرى جزء ٦ — مرجع سابق ص ٥٥٥ .

فان لم ترعو هذه الدولة يتعين ارغامها على ذلك بجميع القوى الممكنة ومنها قوة الجيش مع ما يتكلفه ذلك من نفقات عامة تنفقها الدولة على اعداد الجيش وانتقاله وتمويله وغير ذلك من النفقات ، وهذا ما كاد يفعله عمر بن عبد العزيز .

فقد حدث أن أحد جنود الجيش الذي كان يحاصر القسطنطينية وقع أسيرا في أيدي الرومان وكان هذا الجندي معروفا بشجاعته وصلابته وقوة إيمانه .

وحاول امبراطور الروم أن يكرهه على ترك دين الاسلام واعتناق النصرانية ، فلما أبى أخذ يعذبه ويهدده بفقأ عينيه فتمسك الجندي بدينه .

فلما بلغ عمر كئيب الى امبراطور الروم مهددا :

« قد بلغنى ما صنعت بأسيرك فلان .. واني أقسم بالله لئن لم ترسله الى مجرد وصول رسالتى هذه اليك لأبعثن اليك بجيش أوله عندك وآخره عندي » .

فرضخ طاغية الروم وأعاد الأسير دون تردد أو إبطاء (١٤) .

انطلاق علم على الحج :

كان من عادة الدولة الاسلامية أن تؤدي سنويا بعثة رسمية للحج ويصحبها المسلمون باعتباره أحد أركان الاسلام الخمس ، ففي عهد عمر بن عبد العزيز في سنة تسع وتسعين وسنة مائة هجرية حج بالناس أبو بكر محمد بن عمرو بن حزم وكان عامل عمر على المدينة (١٥) وتحمل بيت المال النفقات العامة اللازمة في هذا الشأن .

اتفاق عام على تدوين احاديث الرسول صلى الله عليه وسلم :

من أهم الأعمال التي قام بها عمر بن عبد العزيز تدوين احاديث الرسول صلى الله عليه وسلم .

وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه قد فكر في تدوين الحديث واستشار الصحابة فأشار به عامتهم فلبث شهرا يستخير الله في ذلك ثم رأى العدول عن ذلك وترك كتابة السنن .

(١٤) سيرة عمر بن عبد الحكم ص ١٤٤ .

(١٥) الطبري جزء ٦ - مرجع سابق ص ٥٥٤ . ٥٦٣ .

وقال : « انى كنت ذكرت لكم من كتابة السنن ما قد علمتم ثم تذكرت فاذا اناس من اهل الكتاب من قبلكم قد كتبوا مع كتاب الله كتبوا فاكبوا عليها وتركوا كتاب الله وانى والله لا ألبس كتاب الله بشئ » .

وكانت سنة اربعين للهجرة سنة الفرقة ، فالامة كانت مع على الا معاوية واهل الشام وكانت اخوارج ضد على ومعاوية ومن والاها . وبدا التشيع لعلى وبنيه او لبنى امية يحدث اثره فى تاويل كل فرقة الأحاديث لمصلحتها وقد اتخذت عدم دقة بعض الأحاديث أوضاعا مختلفة .

فكان ينسب الى النبى صلى الله عليه وسلم ما لم يقله أصلا استخفافا وافسادا كالزنادقة واشبهائهم أو تغليب الأسانيد ويزاد فيها أو ينسب الى النبى صلى الله عليه وسلم بعض كلام الصحابة وغيرهم وحكمة الحكماء .

وكان الكذب قليلا فى عهد كبار التابعين ثم زاد فى عهد صفارهم وتفاقم من بعدهم وفى أواخر المائة الأولى من الهجرة كان الكذب أكثر .

فقرّر عمر بن عبد العزيز تجميع أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم وتنقيتها مما اندس فيها ، فاستشار العلماء فأيده معظمهم ، فكتب الى محمد بن حزم أمير المدينة :

« انظر ما كان من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم أو سنته أو نحو هذا فاكتبه فانى خفت دروس (ضياع) العلم وذهاب العلماء » .

وكتب الى عماله كتابا عاما « انظروا حديث الرسول صلى الله عليه وسلم فاجمعوه » . كما شجع آل البيت على تدوين ما لديهم من أحاديث وكان يرى أن من أوثق الأحاديث هي ما رواه زين العابدين على بن الحسين بن أبى طالب عن أبيه عن جدّه النبى عليه الصلاة والسلام ، ولما تم تدوين الأحاديث والسنن بعث عمر بن عبد العزيز الى كل بلد له عليها سلطان دفترا يحوى هذه الأحاديث ، وبذلك ساهم فى وقاية أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم من الاندثار والتحريف (١٦) وكان ما قام به عمر خطوة أولية فى التدوين ساهمت فى استكمال التدوين بعد ذلك .

ولا شك أن أية نفقات عامة تكون قد أنفقت على هذا العمل الجليل تم تمويلها من بيت مال المسلمين وان كان يرجح أن المساهمة فى هذا العمل العظيم كانت معظمها تطوعا ابتغاء مرضاة الله جلا وعلا .

(١٦) أحمد بن حنبل امام اهل السنة ... للاستاذ عبد الحليم الجندى - ص ٢٠١ - ٢١٠
المجلس الأعلى للفتوى الاسلامية .

اتفاق على اصلاح السجون :

ومن نماذج اصلاح المرافق العامة فى عهد عمر بن عبد العزيز اصلاح نظام السجون وايواء المسجونين وكانت اى نفقات لذلك من بيت المال وفيما يلى اجراءات الاصلاح التى تمت فى عهده :

- لا يجمع بين قوم حبسوا فى دين وبين اهل الدعارة والفساد فى سجن واحد وفى ذلك استجابة لقول الله جلا وعلا :

« ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن » (الانعام/ من ١٥١) .

- جعل للنساء حبسا على حده مستقلا عن الرجال ، وذلك تلبية لقول الله سبحانه وتعالى : « ولا تقربوا الزنى انه كان فاحشة وساء سبيلا » (الاسراء / ٣٢) .

- عهد بحراسة المساجين الى من يوقن بامانتهم ومن لا يرتشى فان من ارتشى صنع ما امر به » (١٧) .

وبذلك منع أن تحقيق لعنة الله بكل من الراشى والمرتشى والرائش .

فعن ثوبان أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال « لعن الله الراشى والمرتشى والرائش » الراشى أى الذى يسعى بينهما .

اقرار اتفاق عام على المسجد الاموى :

تعرض فى المالية العامة حالات تتطلب التوسع فى الاتفاق العام لتحقيق مصلحة عليا للدولة ، ويتعذر ضغط الاتفاق فيها ، فتقرها الدول خصوصا اذا كان هذا الاتفاق قد تم واصبح أمرا واقعا ، وقد صادف عمر ابن عبد العزيز حالة من هذه الحالات فأقرها لارتباطها بالمصلحة العليا للدولة .

فقد بنى فى عهد الوليد بن عبد الملك المسجد الاموى وبدأ فى بنائه سنة ٨٨ هجرية واستمر بنيانه تسع سنوات وقيل أن الوليد أنفق على عمارة المسجد خراج المملكة سبع سنين وأن حساب ما أنفق عليه حمل على ثمانية عشر بعير (١٨) وقيل كذلك أن الوليد أنفق أربعمئة ألف دينار وأنه اجتمع فى تركيب وخامة اثني عشر ألف مرخم .

(١٧) سيرة عمر - ابن عبد الحكم ص ١٤١ .

(١٨) معجم البلدان - شهاب الدين أبو عبد الله الحوى - مطبعة السعادة بالقاهرة

٧٦/٤ نقلا عن عمر بن عبد العزيز - سعد عبد السلام ص ٧٥ .

ويذكر الرواة أن المسجد قد بلغ من فن العمارة وعظمة البناء ما يجبر زائره يرى فيه كل يوم شيئا جديدا . . فالجامع بنى بالحجر والكلس . . وغصبت حوائطه بالفسيفساء . . وقرش بالمرمر ، وأقيمت أعمدته من أفخم أنواع الرخام ورصع بحرايه بالجواهر الثمينة وسفح بالرصاص . . وكان يضاء بقناديل من الذهب والفضة وزخرف بأنواع الزخرفة من الفصوص المذهبة والمرمر المصقول . . وتحت نسره عمودان مجزعان بالحجارة لم يشاهد مثلها - يقال أن الوليد اشتراها بألف وخمسمائة دينار . وفي المحراب عمودان صغيران يقال انهما كانا في عرش بلقيس وقيل أيضا أنه كان عند منارته الشرقية حجر يقال أنه قطعة من الحجر الذي ضربه موسى عليه السلام ، فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا (١٩) .

ولما غالى الوليد في تكاليف بناء المسجد وزخرفته .

قال الناس : محق بيسوت الأموال في نقش الحشيب ونزويو الحيطان (٢٠) .

فلما تولى عمر بن عبد العزيز اعادة المسلمين استقرار عزمه على قلع الفسيفساء والرخام ، ونزع السلاسل الذهبية وكانت ستمائة سلسلة كما قيل ليبيعهما ويرد ثمنها الى بيت مال المسلمين .

ولكن حدث أن زار أحد الروم المسجد في عهد عمر ، وكان المسجد يعجب كل من رآه من مشرق ومغرب ، فخر الرومي مقشيا عليه ، فلما أفاق سألوه عما عرض له .

فقال : « كنا معشر أهل رومية نتحدث أن بقاء العرب قليل فلما رايت ما بنوا علمت أن لهم مدة سيبلخوها ، فلذلك أصابني ما أصابني » . فلما علم عمر بذلك ، ترك ما كان عازما عليه (٢١) .

(١٩) صبح الأعشى ج ٤ ص ٩٦ نقلا عن المرجع السابق ص ٧٥ .

(٢٠) مسالك الأبحار : المعرى ج ١ ص ١٩١ نقلا عن المرجع السابق ص ٧٥ .

الباب السادس

اصلاح ادارة المالية العامة
في عهد عمر بن عبد العزيز

اصلاح سياسة عمالة الدولة فى عهد عمر بن عبد العزيز

عموميات عن النظام الادارى للدولة فى عهد عمر بن عبد العزيز :

- طبقا للمبادئ الاسلامية فان خليفة المسلمين هو رئيس الدولة وهو مسئول امام الله والامة عن مصالح المسلمين وحقوقهم وهو مستودع السلطة الاسلامية ويتلقاها عنه الولاة بتفويض منه وهو يراقب الوالى ويحاسبه بعد أن يحسن اختياره فنظام الحكم فى الاسلام أقرب الى الحكم الرئاسى المعروف فى الأنظمة المعاصرة .

- كانت الدولة الاسلامية فى عهد عمر بن عبد العزيز مقسمة الى ولايات كبيرة تسمى كور مفردا كورة .

- كان الأساس العام للحكم فى بدء الدولة الاسلامية يقوم على المركزية ، الا انه باتساع رقعة الدولة الاسلامية ، دعا الأمر بمرضى الوقت الى التخفيف تدريجيا من المركزية وتوزيع اختصاصات أوسع على العمال وتخويلهم سلطات أكبر للبت فى الأمور دون الرجوع للخليفة مما جعل الحكم يتسم ببعض سمات اللامركزية (١) .

- وفى عهد الأمويين وفى عهد عمر بن عبد العزيز خاصة سار الحكم على أساس منح الحرية للعمال فيما فوض فيه من اختصاصات ، لا يشاور الخليفة الا فيما يشكل عليه من مهام فكان الوالى يتحمل مسئوليات عمله ويتصرف فيما يعرض عليه من مشاكل حتى يستطيع تحقيق مصالح الرعية .

(١) مذكرات فى نظام الحكم والادارة فى الدولة الاسلامية - دراسة مقارنة - المستشار عمر الفريش من ٢٠٦ ، ٢١٣ .

— وكانت أنشطة الدولة تزاوُل بمعرفة دواوين وهو ما يقابل في الاصطلاح الحديث الوزارة أو المصلحة أو ما جرى مجراها من الأجهزة الإدارية في الدولة . وأول من أنشأ الدواوين عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقد أنشأ ديوانين أحدهما ديوان العطاء لتنظيم عطاء المسلمين بما فيهم الجند الإسلامي ، والثاني ديوان للخراج ، واستمر الديوانان في عهد عمر بن عبد العزيز ، وبجانبهما ديوان البريد وكان معاوية بن أبي سفيان أول من أنشأ نظاما للبريد في الدولة الإسلامية ، وديوان الخاتم لختام كتب الدولة وأنشأ كذلك معاوية بعد وقوع تزوير في أحد كتبه لواليه على العراق (٢) .

— وكان بالولايات دواوين مالية فرعية يثبت بسجلاتها الإيرادات العامة المحصلة من الولاية والنفقات العامة التي أنفقت في شئونها على العاملين بها والخدمات العامة التي تؤدي لأهل الولاية والمرافق التي تقام بها فإذا فاض فاضل أرسل إلى الديوان المركزي في العاصمة ، وفي عهد عمر بن عبد العزيز رأى أن يترك موارد بيت المال في كل ولاية لأهلها ولا تنقل معه أموال إلى العاصمة مكتفيا بموارد الديوان (٣) ، على أنه إذا قصرت موارد الولاية عن نفقاتها العامة كان الفرق يمول من الديوان المركزي .

الأسس العامة لاصلاح نظام عمالة الدولة :

كى يضمن عمر بن عبد العزيز تنفيذ سياساته بدرجة عالية من الأداء والكفاية راعى الأسس التالية في اصلاح نظام ولاية الدولة وعمالها .

— اجراء تحريات عن الولاية والعاملين قبل تعيينهم ضمانا لاختيار الشخص المناسب للولاية والعمل .

— اختيار الاصلح من بين المرشحين للولاية والعمل .

— تفضيل أهل القرآن في التعيين .

— فرض أجور عالية للعاملين بالدولة .

— امداد العاملين بالتعليمات العامة والرد على استفساراتهم .

— التيقن وعدم الأخذ بالشبهات عند مساءلة العاملين .

— عقاب أو عزل من ثبت تقصيره .

(٢) الطبرى - جزء ٦ - مرجع سابق .

(٣) مذكرات في نظام الحكم والادارة في الدولة الإسلامية - مرجع سابق ص ٢٢٨

وبذلك أقام عمر بن عبد العزيز أمر الدين في نظام عمالة الدولة .
لأن أسس إصلاحاته لهذا النظام تنبع من فلسفة العمالة في الإسلام التي
تقوم على الاحسان في أداء الأعمال فيقول جل وعلا « انا لا نضيع أجر من
أحسن عملا » (الكهف/ من ٣٠) . ومن الاحسان اختيار الأصلح وتفضيل
أهل القرآن للوظائف التي تتطلب مؤهلاتهم في الدولة الإسلامية ، وإذا تم
اختيار الأصلح للعمل منحه الدولة الأجر الملائم جزاء وفاقا والله جل وعلا
يقول « ولكل درجات مما عملوا وليوفهم أعمالهم وهو لا يظلمون »
(الأحقاف / ١٩) .

ونناقش فيما يلي أسس الإصلاح السابقة :

التحرى لاختيار الشخص المناسب للعمل :

— رأى عمر بن عبد العزيز أن يولى بلال بن أبي بردة بن أبي موسى
الأشعري على العراق وكان يلزم المسجد ويقرأ ليله ونهاره ، وكان رأى
عمر أن كان سر بلال كعلائته فهو أصلح رجل لتولى العراق ولكنه أراد أن
يستوثق ، فأرسل له العلاء بن المغيرة ليختبره ويتعرف على حقيقة سلوكه .

فذهب العلاء الى بلال فقال : انك تعرف يا بلال مدى صلتى بأمر
المؤمنين ، فان أشرت عليه بأن يؤمرك على ولاية العراق فما تجعل لي ؟

قال بلال : لك عمالتي سنة . وكان مقدارها عشرين ألف ألف درهم .

فقال العلاء : فاكتب لي بذلك .

فأسرع بلال الى منزله ، فأتى بدواة وصحيفة فكتب له بذلك .

فذهب العلاء الى عمر بما كتب بلال .

فقال عمر : ان بلالا غرنا بعبادته فكفدنا نفتر . . لقد وجدناه خبيثا
كله (٤) .

— وفد جماعة من أهل مصر على سليمان بن عبد الملك وفيهم — ابن
خداير الصافاني مولى سبأ فسألهم سليمان عن شيء من أهل المغرب
فأخبروه ، وأبى بن خداير أن يتكلم ، فلما خرجوا قال له عمر بن
عبد العزيز وكان حاضرا الاجتماع : ما منعك من الكلام يا أبا مسعود ؟

(٤) سيرة عمر - ابن الحوري ص ٩٣ .

قال : خفت الله ان اكذب .

فعرفها عمر ولما تولى الخلافة كتب الى ايوب بن شرحبيل بولاية ابن خدامر القضاء فبقى في القضاء من سنة ١٠٠ هجرية الى ١٠٥ هجرية (٥) .

— كان والى عمر على خراج العراق « ابو الزناد — عبد الله بن ذكوان » ومما يدل على حسن اختياره ما قاله فيه الامام أحمد بن حنبل فاعتبره « أمير المؤمنين في الفقه بالحديث » . ويقول فيه البخاري « أصبح الأسانيد أبو الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة » ، وراه الامام الليثي وخلفه ثلثمائة طالب .

— كان والى عمر على خراج الجزيرة « ميمون بن مهران التابعي » . يقول فيه أبو الملح « ما رأيت أفضل منه أخذ عن الصحابة وأخذ عنه جمع من كبار المحدثين » (٦) .

— لما أراد عمر بن عبد العزيز عاملاً للخراج على خراسان .

قال : ابغوني رجلاً صدوقاً أسأله عن خراسان .

ف قيل له : أبو مجلز لاحق بن حميد .

فلما قدم عليه قال له : أخبرني عن عبد الرحمن بن عبد الله القشيري .

قال أبو مجلز : يكافى الأكفاء ويمادى الأعداء وهو أمير يفعل ما يشاء ، ويقدم أن وجد من يساعده .

فولاه عمر الخراج وكتب الى أهل خراسان بذلك ، فان كان على ما يحبون فيحمدوا الله وان كان على غير ذلك فيستعينوا بالله ولا حول ولا قوة الا بالله (٧) .

اختيار الأصلح للعمل :

وكان عمر يختيار الأصلح للعمل لا يفضل عربى على اعجمى وبذلك خالف ما درج عليه امراء بنى أمية السابقين الذين كانوا يتعصبون في التعيين في الوظائف العامة لقريش ويفضلونهم على غيرهم وعلى الموالي من المسلمين ولو كانوا أكفاء منهم ، فقد عين عمر على المدينة أبو بكر محمد

(٥) عمر بن عبد العزيز — سعد عبد السلام ص ٦٧ .

(٦) المرجع السابق ص ٦٨ .

(٧) الطبرى جزء ٦ — مرجع سابق ص ٥٦١ .

ابن حزم وهو من الأنصار وليس من قريش ، وكان فقهاء المدينة يقولون عنه : « لم يكن عندنا أحد بالمدينة عنده من علم القضاء ما كان عند أبي بكر محمد بن حزم » .

وجعل عمر الفتيا في مصر لثلاثة فقهاء منهم عربي واحد واثنان من الموالى فلما خاطبه رؤوس بنى أمية في ذلك قال : « وما ذنبى اذا كانت الموالى تسمو صعدا وأنتم لا تسمون » (٨) .

والموالى هم القوم المنتسبون الى بيوت العرب بمقد ولاء ومنهم الأرقاء ومنهم غير الأرقاء وكانوا في الأغلب الأعم من أهل البلاد المفتوحة كمصر وفارس الروم . وكان العرب يستطيعون أن يتسلطوهم بحق الفتح لكنهم تركوهم أحرارا وجرت كلمة الموالى في إطلاقها على أن تشمل من ليسوا غرباء من أهل هذه البلدان لأنهم كانوا يسلمون على أيدي المسلمين ، فمن أسلم على أيدي مسلم كان مولاة ، وكثيرون منهم أسروا أطفالا رباهم المسلمون وعلموهم وغدوا مواليتهم ، ولم يك بدعا أن يظهر الفقه والعلم على يد أهل هذه البلدان المفتوحة فيقال أن الفقه بعد مسوت العبادلة الأربعة - أبناء عباس وعمر وعمر والزبير - قد انتقل الى الموالى اذ كان الموالى أهل حضارة رفيعة لم يمسحها الغزو لأنه لم يكن غزوا بربريا وإنما كان غزوا فكريا ، فتح الله به على المسلمين وعلى أهل البلاد المفتوحة . ففتح العرب الشعوب المغزوة دينهم قيما ولغتهم فصحي وقدم الموالى من جانبهم أسباب حضارات فاخرة وأصول تفكير عميقة (٩) .

وإذا كان عمر بن عبد العزيز يأخذ بمبدأ الكفاية في التعيين تحقيقا للمصلحة العامة وتطبيقا لحديث الرسول صلى الله عليه وسلم بأنه لا مفاضلة بين المسلمين الا بالتقوى :

وكان يقول :

« لا يجيثن الناس بالأعمال وتجيثوني بالأنساب » ان أكرمكم عند الله اتقاكم .

وكان يؤثر الموالى اذ كانوا هم الأصلح ، وقد أثبتت الأيام فيما بعد أنهم تبوءوا صدارة الفقه ، ويدل على ذلك حديث جرى بين هشام ابن عبد الملك أحد خلفاء بنى أمية في فاتحة القرن الثانى الهجرى وبين جايسه :

(٨) خامس خلفاء الراشدين - عبد الرحمن النوفلى - جريسة الاميرام في ١٩٨٥/٨/٢٨ .

(٩) أبو حنيفة - تاليف عبد الحليم الحندى - طبعة ١٩٧٠ وزارة التربية والتعليم ص ٢٦ ، ٢٥ .

فقد سأل هشام جليسه : هل لك علم بعلماء الأمصار -

- قال : بلى يا أمير المؤمنين .
- قال : فمن فقيه أهل المدينة .
- قال : نافع مولى ابن عمر .
- قال : فمن فقيه أهل مكة .
- قال : عطاء بن أبي رباح .
- قال : مولى أم عريبى .
- قال : مولى .
- قال : فمن فقيه أهل اليمامة .
- قال : مكحول .
- قال : مولى أم عريبى .
- قال : مولى .
- قال : فمن فقيه أهل الجزيرة .
- قال : ميمون بن مهران .
- قال : مولى أم عريبى .
- قال : مولى .
- قال : فمن فقيه أهل خراسان .
- قال : الضحاك بن مزاحم .
- قال : مولى أم عريبى .
- قال : مولى .
- قال : فمن فقيه أهل البصرة .
- قال : الحسن وابن سيرين .
- قال : موليان أم عريبان .
- قال : موليان .
- قال : فمن فقيه أهل الكوفة .
- قال : إبراهيم النخعي .
- قال : مولى أم عريبى .
- قال : لا بل عريبى .

قال : كادت نفسى تخرج ولا تقبل واحد عربى (١٠) .

قال ذلك هشام وقد طبع التعصب لأعراقه (جنوره وأصوله)
بالرغم ما سبق من عدل عمر بن عبد العزيز .

تفضيل أهل القرآن فى التعيين بالوظائف العامة :

كتب عمر بن عبد العزيز أن لا تستعمل على الأعمال إلا أهل القرآن ،
فإن لم يكن عندهم خير فخيرهم أولى أن لا يكون عندهم خير (١١) .

وقد تضمن القرآن التعاليم الكاملة ليؤدى الذين يعملون عملهم بكفاية
واقترار ، فالقرآن وضع نموذجاً للإدارة الحسنة وهى إدارة أموال اليتيم
فقال تعالى :

• وآتوا اليتامى أموالهم ولا تبدلوا الخبيث بالطيب ولا تاكلوا
أموالكم إلى أموالكم إنه كان حوباً كبيراً (النساء/ ٢) .

• وابتلوا اليتامى حتى إذا بلغوا النكاح فإن آنستم منهم رشداً
فادفعوا إليهم أموالهم ولا تاكلوها أسرافاً وبداراً أن يكبروا ومن كان غنياً
فليستغفف ، ومن كان فقيراً فلياكل بالمعروف ، فإذا دفعتم إليهم أموالهم
فأشهدوا عليهم وكفى بالله حسيباً (النساء/ ٦) .

ونهى عن سوء الإدارة فقال تعالى :

• ولا تؤثروا السفهاء أموالكم التى جعل الله لكم قياماً (النساء/ ٥) .

ونوه عن الاتقان بصفة عامة ومنها اتقان الأعمال ، فأشار جل وعلا
إلى أنه اتقن كل شئ فى آية :

• وترى الجبال تحسبها جامدة وهى تمر من السحاب صنع الله الذى
أنفك كل شئ أنه خير بما تفعلون (النمل/ ٨٨) .

ونهى عن الإسراف فى الأموال بقوله جل وعلا « ولا تسرفوا إنه
لا يحب المسرفين » (الأنعام/ ١٤١) .

وينوه القرآن الكريم عن كفاية العاملين طبقاً لدرجة اتقان أعمالهم
فيقول جل وعلا :

(١٠) أبو حنيفة - تأليف عبد الحليم الجندى - طبعه ١٩٧٠ وزارة التربية والتعليم
ص ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٨ .

(١١) عمر بن عبد العزيز - لابن كثير - ص ٩١ .

« ولكل درجات مما عملوا وما ربك بغافل عما يعملون »
(الأنعام / ١٣٢) .

وهكذا يجد أهل القرآن حينما يتولون أعمال الدولة أن به ما يحفزهم على حسن إدارة الأعمال واتقان أدائها لخير الرعية وازدهارها وانتظارا لثواب الله بجانب الاثابة المادية من الدولة .

وعن مكانة قارئ القرآن ما رواه عمرو بن سلمة « لما كانت وقعة الفتح بادر كل قوم باسلامهم وبادر أبى قومه باسلامه » .

فلما قدم قال : جئتمكم من عند النبي صلى الله عليه وسلم حقا فقال . .

« صلوا صلاة كذا في حين كذا وصلاة كذا في حين كذا فإذا حضرت الصلاة فليؤمكم أكثركم قرآنا » .

فلم يكن أحد أكثر قرآنا «بني لما كنت أتلقن من الركبان فقدموني بين أيديهم وأنا ابن ست سنين أو سبع سنين (١٢) » .

ويقول عليه الصلاة والسلام : ان لله أهلين من الناس .

قالوا : من هم يا رسول الله ؟

قال : أهل القرآن أهل الله وخاصته (١٣) .

ولعل ذلك ما جعل عمر بن عبد العزيز يرسل تعليماته لولاته بتفضيل أهل القرآن في وظائف الدولة .

عدم تعيين المشركين وعزلهم :

كان عمر بن عبد العزيز يرى عدم تعيين المشركين في وظائف الدولة وعزل من كان يعمل بها لأن الله اعتبرهم نجس وأن شركهم يمحى أعمالهم، فكتب الى ولاته يقول :

« أما بعد فإن المشركين نجس حين جعلهم الله جند الشيطان وجعلهم
(بالأخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا » (الكهف/ من ١٠٣ ، ١٠٤) .

(١٢) الامام الشافعي - ناصر السنة وواضح الأصول - تأليف الاستاذ عبد الحليم الجندى - ص ٤٢ .

(١٣) المرجع السابق ص ١٢٧ .

فأولئك لعمرى ممن تجب عليهم باجتهادهم لعنة الله ولعنة اللاعنين ،
ان المسلمين كانوا فيما مضى اذا قدموا بلدة فيها أهل الشرك يستمعون
بهم لعلمهم بالجباية والكتابة ، فكانت لهم فى ذلك مدة ، فقد قضاهما الله
بأمر المؤمنين ، فلا أعلم كاتباً ولا عاملاً فى شيء من عملك على غير دين
الاسلام الا عزلته واستبدلت مكانه رجلاً مسلماً ، فان محق أعمالهم
محقق أديانهم ، فان أولى بهم انزالهم منزلتهم التى أنزلهم الله بها من النذل
والصفار ، فافعل ذلك واكتب الى كيف فعلت » (١٤) -

فرض اجور عالية للعاملين بالدولة :

سبق أن اوضحنا أن سياسة عمر بن عبد العزيز كانت تقوم على
اساس منح العاملين بالدولة مرتبات عالية لما لذلك من مزايا تعود على
العمل والعاملين .

تعليمات للعاملين بالدولة :

مما تتضمنه قوانين العاملين بالدولة حديثاً مواداً توضح ما ينبغى
ان يتحلوا به من مواصفات تؤدى الى اتقان الأعمال وتيسيرها ومخطورات
ينبغى أن يتجنبوها لما لها من انعكاسات تسرقل انطلاق الأعمال وتهبط
بدرجة أدائها .

وقد اهتم عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه - بسلوكيات عمال
الدولة وتناولها فى خطبة وكتبه وتعليماته المتتابة الى ولاته وعماله
ومنها ما يلى :

خير سلوكيات العاملين التقوى :

قال عمر بن عبد العزيز لولاته وعماله :

« عليكم بتقوى الله فانها هى التى لا يقبل الله غيرها ولا يرحم
الا أهلها ولا يثاب الا عليها وان الواعظين بها كثير والعاملين بها
قليل » (١٥) .

(١٤) سيرة عمر بن عبد العزيز لابن عبد الحكم - طبعة ثانية - تعليق أحمد عبيد
س ١٣٥ ، ١٣٦ .
(١٥) سيرة عمر - لابن كثير - ص ٧٤ .

والواقع أن خير ما يتحل به العاملون التقوى لأنها تجعلهم يطيعون الله ورسوله في أعمالهم التي يؤدونها للدولة ، فهم يعلمون أن الله سيرى عملهم ورسوله استنادا لقوله جل وعلا :

« وسيرى الله عملكم ورسوله ثم تردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون » . (التوبة من / ٩٤) .

ويعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرهم أن يتقنوا الأعمال فقال :

« إن الله يحب من أحدكم إذا عمل عملا أن يتقنه » .

ويعلمون أن العمل العام المتقن يكون صالحا فيرفع إلى الله جل وعلا ، فقد قال جل وعلا :

« من كان يريد العزة فلله العزة جميعا إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه والذين يمكرون السيئات لهم عذاب شديد ومكر أولئك هو يبور » . (فاطر / ١٠) .

إصلاح العاملين لأساليب الأعمال وتطويرها :

تنعكس أعمال العاملين بالدولة على الشعب ، فإذا اتسمت بالافتقار وسهولة الأداء ارتاح الشعب واطمأن إلى حكومته والعاملين بها ، أما إذا تمعقت الأعمال العامة واتسمت بالفجور والظلم والمحاباة والتعقيد أدى ذلك إلى إرهاب الشعب وسخطه . وقد حذر عمر بن عبد العزيز عماله وولاته من ذلك فقال :

« كونوا في العدل والإصلاح والإحسان بقدر من كانوا قبلكم في الظلم والفجور والمندوان ولا حول ولا قوة إلا بالله .. إن الناس قد أصابهم بلاء شديد وجور في أحكام الله ، وسنن سيئة منها عليهم عمال السوء الذين قلما قصدوا الحق والرفق والإحسان » (١٦) .

لزوم العلم للعمل :

حاليا تعاون الجامعات والمعاهد الدولة في إمدادها بالعاملين في جميع التخصصات وتنشئ الحكومات إدارات ومصالح مختصة بالبحوث

(١٦) سيرة عمر - لابن عبد الحكم ص ١٠٢ .

المتعلقة بالعاملين وأنشطتهم العامة وتقيم الدورات التدريبية لرفع كفاياتهم الانتاجية وترسل منهم البعث للخارج ليزدادوا علما وكفاءة . وقد جاوز الأمر المجال الاقليمي الى المجال الدولي ، فكان الاهتمام بالكفاية الانتاجية للعاملين وتدريبهم المهني من المسائل التي نالت قسطا من عناية الأمم المتحدة .

يمر عن هذا عمر بن عبد العزيز منذ مئات السنين ، فيوصي العاملين بالدولة الاسلامية في عهده بالمبادئ العامة التالية :

« العلم والعمل قريبان ، فكونوا عالمين بالله عاملين له .. فان أقواما علموا ولم يعملوا فكان عملهم عليهم وبالا » (١٧) .
ويقول :

« من عبد الله بغير علم .. كان ما يفسده أكثر مما يصلحه » .

❖ طاعة لرئيس في مخالفة الحق :

يقوم نظام العاملين بالدولة على نظام للدرجات يعملوا بعضها بعضا حتى تصل الى الوزراء ورؤساء الدول ، ولانجاز الأعمال تصدر تعليمات بكيفية انجازها متدرجة من أعلى الى أسفل ، والمفروض أن تكون هذه التعليمات سليمة مدروسة خالية من الأخطاء والمخالفات والتجاوزات ولكن قد يحدث أن يصدر الرؤساء تعليمات غامضة غير واضحة بغير قصد نتيجة عدم الدقة في البحث أو عن قصد لاشباع هوى أو للحصول على نفع غير مشروع ، ويعالج عمر بن عبد العزيز ذلك بتعليمات عامة يديها على العاملين بالدولة فيقول :

« الزموا الحق ينزلكم الحق منازل أهل الحق يوم لا يقضى بين الناس الا بالحق وهم لا يظلمون » (١٨) . ويقول « اذا أرسلت اليكم أمرا يخالف الحق ، فاضربوا به الأرض واستمسكوا بالحق وحده » .

❖ اتباع الولاية والعاملين هواهم يفضلهم :

نبه عمر بن عبد العزيز الولاية والعمال الى ابعاد هواهم وشهواتهم عن أداء الأعمال فقال : « قاتلوا أهواءكم والانقياد لشهواتكم كما تقتاتلون أعداءكم » .

(١٧) عمر بن عبد العزيز - سعد عبد السلام حبيب - ص ٦٢ ونظرا عن الموسوعة

- عمر أبو النصر ص ٩٤ .

(١٨) سيرة عمر - ابن الجوزي ص ٩٤ .

وقال « اذا دعيتكم قدرتكم على الناس الى ظلمهم فاذكروا قدرة الله عليكم » .

رفق الولاة والعمال بالرعية ضرورى لصلاح الحكم :

رفق الولاة والعاملين بالدولة يؤدى الى صلاح الحكم ومصلحة الرعية وقد نصح عمر بن عبد العزيز ولائه بذلك فقال :

« أحب الأمور الى الله القصد فى الجد والعفو فى المقدرة والرفق فى الولاية » وما رفق عبد بعبد فى الدنيا الا رفق الله به يوم القيامة » (١٩) .

وأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم تدعو الى الرفق وترغب فى السخاة فقال صلى الله عليه وسلم :

- « ان الله يحب السهل الطلق الوجه » .
- « ان أبغض الرجال الى الله الألد الخصم » .
- « ان الله يحب الرفق فى الأمر كله » (٢٠) .

تسهيل سبل الاتصال لأصحاب الحاجات :

للشعوب حاجات لدى الدولة وعلى الدولة وعيالتها أن يقضوا هذه الحاجات ما دامت مشروعة ، لأن الأمير راع وهو مسئول عن رعيته ، ومن الرعاية توفير حاجات الرعية من خدمات عامة كالدفاع عن البلاد وحفظ أمنها الداخلى واقامة العدالة ونشر التعليم وأداء الرعاية الصحية وغيرها . وقد يحدث قصور فى حصول بعض الأفراد على الخدمات العامة ، أو يحرمون بغير حق منها فيتقدمون للعاملين بالدولة لازالة هذا القصور أو الحرمان ، فينبغى أن تكون طرق اتصالهم بالدولة ميسرة لعرض حاجياتهم وبحث شكواهم ، فلا يقيم الولاة والعاملون بالدولة حواجز تصعب طرق وصول الناس اليهم أو حجباً تحول بينهم وبين ذوى الحاجات ، وهو ما فيه اليه عمر بن عبد العزيز ولائه وعماله فقال ناصحاً لهم :

(١٩) عمر بن عبد العزيز - ابن كثير ص ٧٥ .
(٢٠) وردت فى كتاب من أخلاق النبى للدكتور أحمد محمد الخولى ص ٣٢٤ .

« لا تتخلوا على أبوابكم حجبا يحولون بينكم وبين ذوى الحاجات والمظلومين » (٢١) . وهو بذلك يطبق حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم « من ولاه الله من أمر المؤمنين شيئا ، فاحتجب عن حاجاتهم ، احتجب الله عن حاجته يوم القيامة » .

اتجار الولاة والعاملين محظور :

تحرم كثير من الدول على الحكام والعاملين بالدولة الاتجار ، ذلك ان الحاكم اذا اتجر يعقد صفقات لحسابه والحكومة كذلك تشتري لنفسها مواد ومهمات مختلفة لمزاولة نشاطها العام وتبيع أحيانا مواد بمخازنها العامة أو تتجر اذا كانت تزال بعض نواحي الانتاج ، وتنص عادة قوانين الدول ولوائحها على أن يكون الشراء بأقل الأسعار عن طرق المناقصات ويكون البيع بأعلى الأسعار ، فاذا اتجر الحكام والولاة والعاملين بالدولة معها بطريق مباشر أو غير مباشر آثروا مصلحتهم على مصلحة الدولة ، واذا اتجروا مع غير الدولة حباهم المتعاملون معهم انتظارا لمنفعة بغير حق تعود عليهم من الدولة أو كسب غير مشروع. ينالونه ويحصلون عليه بظلم يقع على الغير ، لذلك كان الفاروق عمر بن الخطاب رضى الله عنه يحرم على الولاة والعاملين بالدولة التجارة وصادر أموال الحارث بن وهبه من تجارته مدة ولايته ثم صعد المنبر وقال :

« يا مشر الأمراء ان هذا المال لو رأيناه أنه يحل لنا لأحللناه لكم ، فاما اذا لم يحل لنا وظلفنا (كففنا) أنفسنا عنه وأنفسكم ، فاني ما وجدت لكم الا عطشان ورد اللجة ولم ينظر الماء فلما روى غرق » (٢٢) .

وسار عمر بن عبد العزيز على نفس النهج فأذاع على ولاته تعليمات يحظر فيها قيامهم بالاتجار فقال :

« لا تتجروا وأنتم ولاة ، فان الأمير اذا اشتغل بالتجارة استأثر وأصاب ظلما وان هو حرص الا يفعل » .

لكل عمل أجره :

وضع عمر بن عبد العزيز لولاته مبدعا عاما يربط الأجر بالعمل

فقال :

(٢١) سيره عمر - ابن عبد الحكم ص ٨٣ . عمر بن عبد العزيز - سعد عبد السلام

حبيب ص ٦٣ .

(٢٢) انظر التفاصيل في كتابنا السياسة المالية لعمر بن الخطاب ص ١٦٥ .

• ليكن لكل عامل أجره فضعوا السخرة عن الناس •
وهو في هذا يطبق تعاليم الرسول صلى الله عليه وسلم وأحاديثه
ومنها قوله :

• أعطوا الأجير أجره قبل أن يجف عرقه • (٢٣)
وقوله صلى الله عليه وسلم :
• ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة ومن كنت خصمه خصمته • رجل
أعطى به ثم غدر ورجل باع جزافاً فأكل ثمنه ورجل استأجر أجيراً
فاستوفى منه ولم يعطه أجره • (٢٤)

متابعة أعمال الولاة والعاملين :

قال أبو يوسف : حدثني داوود بن هند عن رياح بن عبيد قال :
كنت مع عمر بن عبد العزيز فقلت له : ان لي بالعراق ضيعة وولدا
فأذن لي يا أمير المؤمنين أتعاقدهم •
قال : ليس علي ولدك بأس ولا على ضيعتك ضيعة •
فلم أزل به حتى أذن لي •
فلما كان يوم ودعته قلت : يا أمير المؤمنين حاجتك أوصى بها •
قال : حاجتي أن تسأل عن أهل العراق وكيف سيرة الولاة فيهم
ورضاهم عنهم •
فلما قدمت العراق سألت الرعية عنهم فأخبرت بكل خير عنهم •
فلما قدمت عليه سلمت عليه وأخبرته بحسن سيرتهم في العراق
وثناء الناس عليهم •
فقال : الحمد لله على ذلك لو أخبرتنى عنهم بشير هذا عزلتهم
ولم استعن بهم بسدها أبداً ان الراعي مسئول عن رعيته • فلا بد له من
أن يتعهد رعيته بكل ما ينفعهم الله به ويقربه اليه • فإن من ابتلى بالرعية
فقد ابتلى بأمر عظيم (٢٥)

(٢٣) من مقال عن « حقوق الانسان في صلة الفرد بالجماعة » للدكتور محمد البهي
مجلد مجمع البحوث الاسلامية المؤتمر السادس ص ٣٩ •
(٢٤) من قضايا العمل والمال - الشيخ أبو الوفاء الرازي - سلسلة مجمع البحوث
الاسلامية ص ٢٨ •
(٢٥) الخراج لأبي يوسف - مرجع سابق ص ١١٩ •

فما سبق يتضح أن متابعة عمر لعمال الدولة تتحرك في دائرة
المبادئ التالية :

- أن الأمير مسئول عن رعيته وذلك طبقا لحديث الرعاية عن
الرسول صلى الله عليه وسلم .
- كى يوفى بهذه المسئولية على الحاكم ان يتعهد رعيته
بكل ما ينفعهم الله به ويقربه اليه .
- تعهد الرعية يتم عن طريق ولاية الدولة وعمالها ما يتعين
معه متابعة أعمالهم وسيرتهم .
- اذا أسفرت المتابعة عن قيامهم بما ينفع الرعية وحسن سيرتهم
حمد الله والا عزلهم ولا يستعين بهم بعدها .

وكان عمر بن عبد العزيز يطلب من الولاة متابعة عمالهم لأن ذلك
من واجبات الرؤساء والمشرفين على الأعمال العامة حتى يراقبوا أعمال
معاونيهم ويتأكدوا من حسن قيامهم بالأعمال المتوقعة بهم ، وفى الأئمة
الحديثة يتم تقييم أعمال العاملين على مدار السنة وتقدم عنهم تقارير
سنوية تكون أساسا للحكم على مدى كفاءتهم واستحقاقهم للترقى الى
وظائف أعلى ، وانعدام متابعة العاملين تجعل المسئ والظالم منهم يتماذى
فى اساءته وظلمه مما يحمل أفراد الرعية عنتا ورحقا فيسخطون على
الحكم والحكام . وقد حذر عمر بن عبد العزيز ولاته من ذلك فقال
ناصحا ولاته :

• راقبوا حجابكم ورؤساء حرسكم وشرطكم والعاملين معكم ...
واكثروا من الاشراف عليهم حتى تتيقنوا من أنهم لا يرتكبون غشما
ولا ظلما . (٢٦) .

ومما كتبه الى امراء الأجناد :

تعاهد صاحب بابك وصاحب حرسك وعاملك المقيم عندك والذين
بعثت ، فلا يعملون فى شيء مما تحت يدك بغش ولا بظلم فمن كان
منهم محسنا نفقه ذلك ومن كان منهم مسيئا استبدلت به من هو
خير منه (٢٧) .

(٢٦) سيرة عمر - ابن عبد الحكم ص ٦ .

(٢٧) سيرة عمر بن عبد العزيز لابن عبد الحكم تعليق احمد عبيد - طبعة ثانية

ص ٦٩ .

وبجانب متابعة العمال كان عمر يتابع أعمال الدولة مما كان يأتية من شكاوى الناس .

من ذلك ما أرسلته إليه امرأة من الجيزة من أهل مصر اسمها فرتونة السوداء تشكو أن لها حائطا قصيرا جدا وأن جيرانها يتسلقونه في سر ليسرقوا دجاجها .

فكتب إليها : بلغني كتابك وما ذكرت من قصر حائطك ، وأنه يدخل عليك فيه فيسرق دجاجك فقد كتبت لك كتابا إلى أيوب بن شرحبيل - أمير مصر - أمره أن يبني لك ما يحصنك مما تخافين أن شاء الله والسلام عليك .

وكتب إلى عامله على مصر أيوب بن شرحبيل :

« أما بعد فإن فرتونة السوداء كتبت إلى تذكر قصر حائطها ، وأنه يسرق منه دجاجها ، وتسال تحصينه لها ، فإذا جاءك كتابي هذا فأركب أنت بنفسك إليه حتى تحصنه لها » .

فلما جاء الكتاب إلى ابن شرحبيل ركب بنفسه حتى أتى الجيزة وظل يسأل عن فرتونة حتى وجدها فإذا هي عجوز مسكينة ، فأعلمها بما كتب به أمير المؤمنين وحسن لها الحائط من بيت المال (٢٨) .

وكان عمر لا يكتفى بما يأتية من شكاوى الناس بل يتابع أعمال الولاية بنفسه وهل أدى حكمه وعملهم إلى تحسين أحوال الرعية من عدمه ، فكان يخرج من عاصمة الدولة ومعه غلامه مزاحم ، فيلقى الركبان قادمين من الأمصار إلى العاصمة ، فيتجسس أخبار الناس ويتحدث اليه الركبان وهم لا يعرفون أنه أمير المؤمنين وثيابه الخشن لا تدل عليه .

وقف هو ومزاحم على طريق المدينة فسالا ركبا قادمين منها عن أحوال الناس فيها وفي الحجاز . قال الركب الحجازي : تركنا المدينة والظالم مقهور والمظلوم بها منصور والغنى موفور والعامل مجبور .

فسر عمر بذلك وقال لمزاحم بعد أن مضى الركب ، والله لأن تكون البلاد على هذه الصفة أحب إلى مما طلعت عليه الشمس (٢٩) .

وبعد متابعة عمر بن عبد العزيز لعماله كان يندبهم بأن يستقيموا والا عزلهم ، فمن ذلك أنه قال مرة أمام جلسائه لعامل له :

(٢٨) سيرة عمر - لابن كثير ص ٥٦ .

(٢٩) عمر بن عبد العزيز - ابن الجوزي ص ٧٧ .

« استعملنا أقواما كنا نرى أنهم أبرار أخيار فلما استعملناهم
إذا هم يعملون عمل الفجار قاتلهم الله ، أما كانوا يتذكرون الموت ،
أما كانوا يمشون بين القبور » (٣٠) .

وكتب لآخر :

« أما بعد ، فإنه غرني بك مجالستك القراء وعمامتك السوداء
وارسالك أياها من وراء ظهرك . وأنت أحسنت العلانية وأحسننا بك
الظن ، وقد اطمعنا الله على كثير مما تعملون » (٣١) .

وكتب لعامل آخر :

« لقد كثر شاكوك وقل شاكوك فاما اعتدلت واما اعتزلت » .

التيقن من المخالفة قبل الجزاء :

وكان عمر بعد ذلك لا يوقع جزاء على العاملين الا بعد أن تقوم
عليهم البينة ، فحدث أن ظهرت خيانة بعض صغار الحكام والمستخدمين
في العراق ، فأرسل اليه عامله عليها يسأله الاذن في تعذيبهم على
خيانتهم .

فكتب اليه عمر « أما بعد فقد جاءني كتابك تذكر أن قبلك
(أي عندك) عمالا قد ظهرت خيانتهم وتسالني أن أذن لك في عذابهم ،
وكانك ترى أن لك جنة ، فإن جاءك كتابي هذا فإن قامت عليهم بينة فخذهم
بذلك ، والا فأحلفهم دبر (أي بعد) صلاة العصر بالله الذي لا اله الا هو
ما اختانوا من مال المسلمين شيئا ، فإن حلفوا بذلك فخل سبيلهم ،
فانما هو مال المسلمين ولعمري لأن يلقوا الله بخيانتهم أحب الى من ألقى
الله بدمائهم والسلام » (٣٢) .

عزل من تثبت عدم صلاحيته من العاملين :

كان عمر يعزل من تثبت عدم صلاحيته من العاملين حتى ولو كانوا
من ذوى قرباء .

(٣٠) عمر بن عبد العزيز - سعد عبد السلام حبيب - ص ٦٧ .

(٣١) عمر بن عبد العزيز ابن كثير - ص ١١٥ .

(٣٢) سيرة عمر - ابن الجوزي - ص ٨٥ .

فكتب الى « الجراح بن عبد الله » عامله في خراسان :

« بلغنى أنه استعملت (عبد الله بن الأهم) وأن الله لم يبارك
لعبد الله بن الأهم في العمل فاعزله ولا تهتم بقرابته لنا » (٣٣) .

« وبلغنى أنك استعملت (عمارة الطويل) ولا حاجة لى بعمارة
ولا بأذى عمارة للناس وضربهم ولا بشخص قد صسبغ يده فى دماء
المسلمين فاعزله » (٣٤) .

— وعزل أحد الولاة بسبب سوء ادارة المال العام :

فقد كتب عمر بن عبد العزيز الى الجراح بن عبد الله واليه على
خراسان .

انظر من صلى قبلك الى القبلة ، فضع عنه الجزية ، فسارع الناس
الى الاسلام .

ف قيل للجراح : ان الناس قد سارعوا الى الاسلام . وانما ذلك
نفورا من الجزية فامتنعهم بالحثان فكتب الجراح بذلك الى عمر .

فكتب اليه عمر : ان الله بعث محمدا صلى الله عليه وسلم داعيا
ولم يبعثه خائنا .

ثم كتب اليه : ان أقبل وخلف على حرب خراسان عبد الرحمن
ابن نعيم الغامدى وعلى الجزية عبيد الله بن حبيب .

ولما أراد الجراح الخروج من خراسان الى عمر بن عبد العزيز
أخذ عشرين ألفا من بيت المال . وقال « هى على سلفى حتى أؤديها
للخليفة » .

فلما ذهب للخليفة عزله وسدد عنه قومه من أعطياتهم الدين الذى
أخذه من بيت المال .

وكان من أسباب عزل الجراح شكوى وفد قدم لعمر بن عبد العزيز
من أنه يمنع عن الموالى عطاءهم واستثناء الجراح من أهل الذمة بالرغم
من اسلامهم وقد عمل بالظلم والعدوان كما كان يعمل الحجاج (٣٥) .

(٣٣) عمر بن عبد العزيز — سعد عبد السلام حبيب . ص ٦٨ .

(٣٤) سيرة عمر — ابن الجوزى . ص ٩٦ .

(٣٥) تاريخ الطبرى — جزء ٦ الطبعة الثانية — دار المعارف بمصر ص ٥٥٩ . ٥٦٠ .

الفصل الثاني

المبادئ أساس اصلاح ادارة المالية العامة في عهد عمر بن عبد العزيز

ادارة المالية العامة بالمبادئ : -

انعكست تقوى عمر بن عبد العزيز في ظلال من علمه وعدله وأخذه بالمشورة على ادارة المالية العامة فأدارها بالمبادئ وبذلك وفي المالية العامة في عهده من انحرافات وتجاوزات ومخالفات لحقت بها في عهود من كان قبله من الخلفاء الأمويين ، فبالمشورة منع الزلل عن قراراتها وبالحق أبعد الباطل عن عملياتها وبجباية الطيب من الأموال العامة عصم حصيلتها من الحرام وبالإيضاح أبعد عن تطبيقاتها اللبس والزلل وبالعزل أزال ما وقع على المولدين من ظلم ، وبإشاعة الإصلاح العام قاد المالية العامة نحو الاستقامة ، وبالتيسير المالي خفف أعباء الفرائض المالية عن الشعب ، وبالدعوة لزيادة الانتاج عوض احتمالات النقص في الحصيلة ، وبوحدة المال العام لتحقيق المصالح العامة للشعب في جميع الولايات طبق اللامركزية المالية وبتحمل المسئولية العامة تم تخصيص الأموال العامة للخدمات العامة ، وباستقامة العمالة العامة حسن الأداء المالي ، والاسلام قد اهتم بالعمل بهذه المبادئ ولذا فان العمل بها أقام أمر الدين في عهد عمر بن عبد العزيز .

ونوضح تفاصيل ماسبق فيما يلي :

ادارة المالية العامة بمبدأ المشورة :

قال عمر بن عبد العزيز عن أحد الفقهاء بمدينة الرسول صلى الله عليه وسلم وكان مؤدبه ومربيه وهو - عبيد الله بن عبد الله بن عتبة -

• انى والله لأشترى ليلة من ليلالى عبید الله بألف دينسار من بيت المال •

فقالوا : يا أمير المؤمنين تقول هذا مع شدة تحريك وتحفظك •
فقال : أين يذهب بكم والله انى لأعود برأيه وبتنصيحته على بيت المال بالوف والوف • (١)

ادارة المالية العامة بمبدأ الحق :

الار المبادئ المالية العامة الاسلاميه ، ان تؤخذ بالحق وتعطى بالحق وتمنع من الباطل ، فلما تولى عمر بن عبد العزيز الخلافة ووجد أن الجباية لا تتم فى إطار الحق الذى أمر به الاسلام ، كتب الى عماله :
« لا ناخذوا من أموال الناس الا بالحق الذى شرعه الله وما عدا ذلك فضعوه كله • لا أفرق بين مسلم وأهل كتاب » (٢) •

فالمالية العامة الاسلاميه لا تقر زيادات غير مشروعة فى الأعباء العامة ، فالمسلمون يؤدون الزكاة وأهل الكتاب يؤدون الجزية والخراج اذا كانوا على أرض الفتوح • ولا يجوز فرض أعباء اضافية على أهل الكتاب بوصفهم غير مسلمين لأن ذلك يخالف مبدأ الحق الذى هو دعامة أساسية من دعائم الاسلام وركيزة هامة من ركائزه ، كما لا يجوز التعسف معهم فى استثناء الجزية أو تحصيل الخراج فى أوقات غير ملائمة أو تطبيق أساليب التعذيب ووسائل الاكراه فى التحصيل •

ادارة المالية العامة بمبدأ جباية الحلال الطيب :

تختلط الأموال العامة أحيانا بأدوال حرام غير حلال فتأخذ بعض الدول الاسلامية ضرائب على مزاولة أنشطة يحرمها الدين الاسلامى كصناعة الخمر والاتجار فيها ، أو تتقاضى رسوما وأتاوات على المراهنات ولعب الميسر وما شابهها من أنواع ألعاب القمار أو تقرر على المواطنين قروضا طويلة الأجل أو قصيرة الأجل وتحصل على فوائد أو زيادات فوق مبالغ القروض فتدخل فى دائرة المعاملات الربوية التى حرمها الله ، أو تستعمر دولة أخرى ضعيفة فتسلبها خيراتها وثرواتها

(١) عمر بن عبد العزيز - سعد عبد السلام حبيب ص ٧٠ •

(٢) سيرة عمر - ابن عبد الحكم ص ٧٩ ونقلها عنه سعد عبد السلام حبيب - مرجع

سابق ص ٩١ •

وتمول بها خزائنها العامة ، والاسلام يحرم مثل هذه الأموال ، قاله تعالى لا يقبل الا الطيب من الأموال وهذا هو ما نبه عليه عمر بن عبد العزيز أحد ولاته اليه وهو ميمون بن مهران وكان قد استعمله على الجزيرة العربية وعلى قضاتها وعلى خراجها وكان شيخا كبيرا ، فكتب الى عمر يطلب اعفاءه ، فأرسل اليه يقول :

« أنا لم أكلفك بشيء في حكمك ولا في جبايتك فاجب ما جبيت من الحلال ولا تجمع للمسلمين الا الحلال الطيب » (٣) .

إدارة المالية العامة بمبدأ الجباية :

تفرض الدولة أعباء الأموال العامة على مواطنيها بقوانين ، وقد تتضمن القوانين نصا غامضا أو حكما ملتبسا فيكشف تطبيق هذه القوانين عن حالات عملية يستشكل فيها التفسير ، فواجب مثل بيت المال المناط به التطبيق أن لا يستقل فيها برأيه ، بل يسأل أهل الذكر من ذوي الخبرة حتى يطمئن الى الرأي السليم الذي يؤدي الى عدم ظلم الممول أو بيت المال . وهذا ما نبه اليه عمر بن عبد العزيز واليه الذي نوهنا عنه في الفقرة السابقة ، فكتب اليه يقول :

« أجب الخراج الطيب واقضى ما استبان لك ، وإذا التيس عليك أمر فارفعه إلينا ، فإن الناس لو كانوا اذ أكثر عليهم شوء تركوه ما قام لهم دين ولا دنيا » (٤) .

إدارة المالية العامة بمبدأ العدل :

من العدل المالي أن تراعى حالات الممولين عند تحصيل الضرائب المستحقة عليهم ، فهي تتأثر بالظروف الاقتصادية التي تمر بها البلاد من ازدهار أو كساد كما أن للظروف الجوية أثرها على المحاصيل الزراعية فتخصب الأرض اذا كانت الظروف الجوية مواتية ويقل إنتاجها اذا كانت العوامل الجوية وغيرها غير مستقرة .

وهذا ما نبه اليه عمر بن عبد العزيز ، فقد كتب اليه واليه على اليمن عروة بن محمد بن محمد يذكر انه قدم اليمن فوجد على أهلها ضريبة من الخراج ثابتة في أعناقهم كالجزية يؤدونها على كل حال فكتب اليه .

(٣ - ٤) سيرة عمر : ابن الجوزي ص ٩٥ ، ٩٦ .

« كتبت لي تقول أنك قدمت اليمن ، فوجدت على أهلها ضريبة من الخراج ثابتة في أعناقهم كالجزية يؤدونها على كل حال ان أخصبوا أو جددوا ٠٠ ان حيوا أو ماتوا ٠٠ فسبحان الله رب العالمين ثم سبحان الله رب العالمين ، اذا أتاك كتابي هذا ، فدع ما تنكره من الباطل الى ما تعرفه من الحق واعلم أنك ان لم ترفع الى من جميع اليمن الا جفنة من كتف (نبات يستعمل في تخضيب الشعر ومداد الكتابة) فقد علم الله اني ساكون به مسرورا مادام في ذلك ابقاء على الحق والعدل (٥) »

ومن العدل كذلك ان لا يؤخذ الخراج والضرائب على كل إيرادات المول ، بل يجب أن يعفى جزء من الإيراد لمقابلة ضرورات المول وأعبائه المالية ، وهذا ما أمر به عمر بن عبد العزيز عامله على خراج العراق ، فكتب اليه يقول :

« دع لأهل الخراج من أهل الفرات ما يختصون به من الذهب والفضة ويلبسون الطيالة ويركبون البرازيل ، وخذ ما يزيد عنهم (٦) ».

إدارة المالية العامة بمبدأ الترشيده :

من نصائح سالم بن عبد الله بن عمر لعمر بن عبد العزيز حين تولى الخلافة والتي تؤدي الى ترشيده اتفاق المال العام ما يلي :

« أما بعد يا عمر ، فانه قد ولي الخلافة والملك قبلك أقوام ، فماتوا على ما قد رأيت ولقوا الله فرادى بعد الجموع والحشم ، وعالجوا الموت الذي كانوا منه يفرون ٠٠٠٠٠ بعد اتفاق الأموال على حاجاتهم وأغراضهم من الطيب والطيب الفاخرة اللينة ا كانوا ينفقون الأموال اسرافا في أغراضهم وأهوائهم ويقترون في حق الله وأمره ، فان استطعت أن تلقاهم يوم القيامة وهم محبوسون مرتهنون بما عليهم ، وانت غير محبوس ولا مرتهن بشئ فافعل واستعن بالله ولا قسوة الا بالله سبحانه » (٧) »

إدارة المالية العامة بمبدأ الإصلاح :

كتب عمر بن عبد العزيز الى ولاته :

(٥) سيرة عمر : ابن عبد الحكم ص ٥٦ ، ١٠٤ .

(٦) عمر بن عبد العزيز - سعد عبد السلام حبيب عن موسوعة عمر أبو النصر

ص ١٠٩ .

(٧) عمر بن عبد العزيز - ابن كثير ١١٢ و١١٤ وسيرة عمر - ابن الجوزي ص ٢٧ .

« روضوا المخالفين وبصروهم وارفقوا بهم وعلوهم » فإن اعتدوا كانت نعمة من الله وفضلا .. وإن أبوا فتحروا الحق فيما تنزلون بهم من عقاب » (٨) .

ومن أنواع المخالفات المالية التي تقع على المال العام وهي كثيرة منها ما يتعلق بالاسراف والتبذير في الأموال العامة أو إساءة استخدامها ووضعها غير موضعها وقد تصل المخالفة المالية إلى الاعتداء على المال العام بسرقة أو اختلاس أو تضییع كالتهاون في استئذائه وتحصيله من الملتزمين بأدائه ، ولذلك تضع الدول حديثا نظاما لرقابة الدولة على أموالها العامة فتقيم أجهزة رقابية ذات اختصاصات تكشف المخالفات المالية وتعاقب مرتكبيها وتسترد ما تعرض للمضياع أو السرقة أو للاختلاس ، وتوقع ما يستحق على المخالفين من عقاب .

على أن عمر بن عبد العزيز في القرن الأول الهجري نبه إلى أنه لا يكفي في رقابة الأموال العامة إزالة العقاب ، بل إن الأهم هو إصلاح الخطأ أو تحري أسباب المخالفة وتدريب وتعليم مرتكبيها ، وعلايتهم إلى عدم تكرارها مستقبلا مع مراعاة العدل والحق في الجزاء والعقاب . وبذلك تبني عمر الرقابة العلاجية التي تضع العلاج لما يكتشف من مخالفات وعدم الاكتفاء بالرقابة السلبية التي تقتصر على كشف الأخطاء والمخالفات المالية .

فيقرر المبدأ التالي :

« إذا قدرت على دواء تشفى به صاحبك دون الكى ، فلا تكوينه أبدا » (٩) .

إدارة المالية العامة بمبدأ التيسر على الشعب :

من أنواع الإيرادات التي تحصلها الدولة من الشعب الرسوم ، وهي مبالغ نقدية تجبى من الأفراد جبرا لقاء خدمات عامة تقدمها لهم الدولة ، ومن الخدمات العامة التي تؤديها الدولة إنشاء القناطر والطرق كى يعبرون عليها ودوابهم وسياراتهم ، ولما كانت هذه القناطر والطرق تحتاج إلى صيانة مستمرة بسبب ما يعتريها من استهلاك نتيجة

(٨) معجزة الاسلام - عمر بن عبد العزيز - خالد محمد خالد - مرجع سابق ص ١٧٦ .

(٩) المرجع السابق - ص ١٧٦ .

الاستعمال ، فان الدول تفرض عادة رسوما على من يعبرون هذه الكبارى والطرق لتغطى نفقات الصيانة ، فلما تولى عمر بن عبد العزيز امانة دولة الاسلام امر عماله بالفاء ما يفرض على الناس مقابل اصلاح القناطر والطرق (١٠) ، وبذلك جعل خدمات الدولة فى هذا الشأن بدون مقابل .

ادارة المالية العامة بمبدأ تعويض نقص الحصيللة بزيادة الانتاج :

لا يمكن تعويض النقص فى حصيللة الموارد العامة بزيادتها ظلما أو باغفال تطبيق القوانين بالعدل أو بالتعسف فى الجباية ، وإنما يكون بزيادة الانتاج العام فتزيد دخول الأفراد وتزيد حصيللة ما يدفعونه للدولة وهذا ما نبه اليه عمر بن عبد العزيز أحد ولاته وهو عهدى بن اوطاة الفزارى واليه على العراق ، فقد بعث كتابا الى عمر يقول فيه :

« ان الناس قد كثروا فى الاسلام حتى خفت أن يقل الخراج » أى بسبب رفع الجزية عن أهل الكتاب بعد اسلامهم .

فكتب عمر اليه يقول :

« والله لوددت أن الناس كلهم اسلموا حتى نكون أنا وأنت حرائين تأكل من كسب أيدينا » (١١) .

ادارة المالية العامة بمبدأ وحدة المال العام :

تأخذ بعض الدول حديثا بنظام الحكم المحلى ، فتعتمد للحكومة المركزية موازنة عامة خاصة بها ، وتعتمد لكل وحدة محلية موازنة عامة خاصة بها ، وتغطى الموازنة المركزية الموازنة المحلية اذا زادت نفقاتها العامة عن مواردها العامة ، وهذا ما قرره عمر بن عبد العزيز لعقبة بن زرعة الطائى وكان قد ولاء خراج خراسان فقال له :

« استوعب الخراج وأحرزه فى غير ظلم ، فان يك كافيا لأعطياتهم فحسنا والا فاكذب الى حتى أحمل لك الأموال فتوفر لهم أعطياتهم » (١٢)

(١٠) عمر بن عبد العزيز - سعد عبد السلام حبيب ص ٩٣ .

(١١) سيرة عمر - ابن الجوزى ص ٩٩ .

(١٢) عمر بن عبد العزيز - سعد عبد السلام حبيب ص ٩٥ نقلا عن الطبرى تاريخ الأمم والملوك .

ادارة المالية العامة بمبدأ تحمل المسئولية العامة :

كان عمر بن عبد العزيز يطلب النصيح من الأئمة ، فكانوا يوضحون له مسئوليته العامة وانها تتطلب القيام بخدمات معينة للشعب . ومن الطبيعي أن أداء هذه الخدمات يتطلب توجيه شطر من الأموال العامة للاتفاق عليها ، وفيما يلي نموذج من نصائح العالم الجليل حسن البصري لعمر بن عبد العزيز :

فمن خدمات إقامة العدل قال :

« اعلم يا أمير المؤمنين أن الله جعل الامام العادل قوام كل مائل وقصد كل جائر وصلاح كل فاسد وقوة كل ضعيف ونصفة كل مظلوم ومفزع كل ملهوف » .

وعن الخدمات التموينية وخدمات الأمن والدفاع عن الاوطان يشبه حسن البصري الأمير بالراعى الشفيق الذى يقوم بهذه الخدمات فيقول :

« والامام العدل يا أمير المؤمنين كالراعى الشفيق على ابله ، الذى يرتاد لها أطيب المراعى ويردها عن مواقع التهلكة ويحميها من السباع ويكنفها من أذى الحر والقر » .

وعن خدمات التعليم وإقامة المدارس والمساعد والجامعات وتعيين القائلين على التعليم يقول حسن البصري :

« والامام العدل يا أمير المؤمنين كالأب الحانى على ولده يسعى لهم صفارا ويعلمهم كبارا » (١٣) .

ادارة المالية العامة بمبدأ الرفق :

لما قدم الجراح الى خراسان بعد أن عينه عمر بن عبد العزيز عليها وجد الناس يميلون الى منع حق الله عليهم ومنها الحقوق المالية فكتب الى الخليفة قائلا :

« انى قلعت خراسان فوجدت قوما قد أبطرتهم الفتنة فهم يتزولون فيها نزوا ، أحب الأمور اليهم أن تعود الفتنة ليمنعوا حق الله عليهم ، فليس يكفهم الا السيف والسوط ، وكرهت الاقدام على ذلك الا بأذنك » .

(١٣) المرجع السابق ص ٥٩ ، ٦٠ ، ٦١ سيره عمر - ابن الجوزى ص ١٢١ -

فكتب اليه عمر :

« يا بن أم الجراح ، أنت احرص على الفتنه منهم ، لا تضربن مؤمنا ولا معاهدا سوطا الا في حق ، واحذر القصاص فانك صائر الى من يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور . وتقرأ كتابا لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها » (١٤) .

ادارة المالية العامة بمبدأ استقامة العمالة :

كتب عمر بن عبد العزيز الى ولاته :

« اتركوا أعمالكم عند حضور الصلاة . فان من أضاع الصلاة كان لما سواها أضييع » (١٥) .

وتبدو أهمية هذا المبدأ في المالية الاسلامية حيث ترتبط الإيرادات العامة بتعاليم الاسلام فاذا ضيع العاملون بالمالية العامة الصلاة وهي ركن من أركان الاسلام . تهاونوا في استثناء حق الفقراء والمساكين من الزكاة وهي ركن أيضا من أركان الاسلام . كما قد يمتد الضياع الى تعاليم أخرى مرتبطة بالمالية العامة الاسلامية كامر الرسول صلى الله عليه وسلم بأخذ صدقات الناس من أوسط أموالهم وعلى مياهم وعدم الغلول في الغنائم وحسن معاملة وعدم تعذيب أهل الكتاب عند استثناء الجزية منهم . فضلا عن أن الله جل وعلا يصف الذين مكنهم في الأرض ومنهم المملئين على الأموال العامة فيقول :

« الذين ان مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور » (الحج / ٤١) .

(١٤) الطبري - جزء ٦ - مرجع سابق ص ٥٦٠ .

(١٥) سيرة عمر - ابن الجوزي ص ١٠٢ .

الباب السابع

اصلاح نظام العطاء وتطبيق سياسته لرد المظالم

في عهد عمر بن عبد العزيز

الفصل الأول

اصلاح نظام العطاء

تحقيق فائض كبير في عهد عمر بن عبد العزيز :

أدت اصلاحات عمر بن عبد العزيز الى توازن المالية العامة للدولة وتحقيق فائض كبير وبلوغ الدولة الاسلامية من الفنى ما توضحه الكتب التالية المتبادلة بين الخليفة وأحد ولاته وهو عبد الحميد بن عبد الرحمن وكان واليا على العراق .

فقد كتب اليه عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه « ان أخرج للناس أعطياتهم » فكتب اليه عبد الحميد « أنى قد أخرجت للناس أعطياتهم وقد بقى في بيت المال مال » فكتب عمر بن عبد العزيز اليه « أن انظر كل من أدان (استدان) في غير سفه ولا سرف فاقض عنه » ، فكتب اليه عبد الحميد « انى قد قضيت عنهم وبقى في بيت مال المسلمين مال » فكتب عمر بن عبد العزيز اليه « انظر كل بكر (الفتى الذى لم يتزوج) ليس له مال فزوجه أو أصدق عنه (ادفع له الصداق) » فكتب اليه عبد الحميد « انى قد زوجت كل من وجدت وقد بقى في بيت المسلمين مال » فكتب اليه عمر بن عبد العزيز « أن انظر من كانت عليه جزية فضعف عن أرضه فأسلفه (أى أعطه سلفة) ما يقوى به على عمل أرضه فاننا لا نريد لهم لام أو لعامين » (١) .

فيتضح من الكتب السابقة أن الرخاء عم الدولة الاسلامية في عهد عمر بن عبد العزيز وعظمت ثروتها وفاضت الأموال حتى بعد حصول

(١) الأموال لأبي عبيد - مرجع سابق ص ٣١٩ ، ٣٢٠ .

كل فرد على نصيبه من الأموال العامة طبقا لنظام العطاء السارى ،
فاستخدمت الدولة المال العام فى سداد ديون المديتين وفى صفاق من
لم ينزوج من الشباب ، وفى اقراض أهل الذمة لرفع خصوبة الأرض
وزيادة انتاجها .

اصلاح نظام العطاء :

امتدت سياسة الاصلاح المالى التى انتهجها عمر بن عبد العزيز الى
نظام العطاء الذى بدأ كما قلنا فى عهد الخليفة أبو بكر الصديق رضى الله
عنه واستمر فى عهد الخلفاء بعده ولكنه حاد عن عدالة التوزيع فى عهد
الأمويين السابقين على عمر بن عبد العزيز وأراد عمر بن عبد العزيز
حين ولايته على المدينة وقبل تولية الخلافة أن يعمل العدل فى العطاء فكتب
الى يزيد بن عبد الملك لاعطاء بنى هاشم نصيبهم منه ولكنه رفض فكان
من الطبيعى حين ولى خلافة الدولة الاسلامية أن يرد عليهم عطاءهم ، وأن
يصلح ما طرأ على النظام من مخالفات فقام بالاصلاحات التالية التى تبعت
من دائرة العدل العام وهو سمة من سمات الرؤساء الذين يقيمون أمر
الدين الاسلامى على وجهه الصحيح .

اعلان بطلان عطاء الأمراء السابقين :

أعلن عمر بن عبد العزيز بطلان عطاء الأمراء السابقين من بنى أمية
وأنه سيبدأ برد ما نالوه من هذا العطاء الى بيت المال ، فصعد المنبر
وحمد الله وأثنى عليه ثم قال : « أما بعد فإن هؤلاء القوم (يقصد بنى
أمية) قد أعطونا عطايا ماكان ينبغى لنا أن نأخذها ، وما كان يتبغى
لهم أن يعطوها . . . وأن ذلك قد صار الى ما ليس عليه فيه دون الله
محاسب ، ألا وانى الآن قد رددتها وبدأت بنفسى وأهل بيتى » (٢) .

المساواة بين الأمراء وسائر الشعب فى العطاء :

ساوى عمر بن عبد العزيز بين أمراء بنى أمية وغيرهم من الناس
فى العطاء ، فاشتكوا من ذلك وأبلغ عتبه بن سعيد شكواهم لعمر بن
عبد العزيز وكان قد أرسل لكل واحد منهم عشرة دنانير اضافية فقال له
عمر : قل لهم ان عمرا يقرأ عليكم السلام ويقول لكل « أقسم بالله الذى

(٢) سيرة عمر لابن الجوزى ص ١٠٦ .

لا اله الا هو ما زلت هذه الليلة الماضية ساهرا اناجي الله واستغفره .
مما اعطيته لكم دون المسلمين فلا والله العظيم لا اعطيكم بعد ذلك درهما
الا ان ياخذ جميع المسلمين ، . فقال عتبه لامراء بني أمية انتم فعلتم
بانفسكم تزوجتم الى عمر بن الخطاب - بنت عاصم ، فجئتم
بمثل عمر (٣) .

عدم تميز اولاد عمر بن عبد العزيز في العطاء :

قيل لعمر بن عبد العزيز قبيل وفاته : « هؤلاء بنوك - وكانوا
اثني عشر - الا توصى لهم بشيء » فانهم فقرء ، فقال : ان ولي الله الذي
نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين ، والله لا اعطيهم حق أحد وهم بين
رجلين : اما صالح فالله يتولى الصالحين واما غير صالح فما كنت اعينه
على فسقه . ثم استدعى اولاده فودعهم وعزاهم بهذا الكلام .

وقال : انصرفوا عصمكم الله واحسن الخلافة عليكم

ويقول ابن كثير :

« وكان بعض اولاد سليمان بن عبد الملك . مع كثرة ما ترك لهم
من الاموال يتعاطى ويسال من اولاد عمر بن عبد العزيز لان عمر وكل
ولده الى الله عز وجل ، وسليمان وغيره انما يكلون اولادهم الى ما يدتون
لهم ، فيضيعون وتذهب اموالهم في شهوات اولادهم (٤) .

عطاء يكشف بيت الامر الزاهد :

أتت الى عمر بن عبد العزيز في دمشق امرأة من العراق يبدو عليها
العناء بسبب جهد السفر ووعثائه ، ودخلت دار عمر ، وأجالت فيه
بصرها وذملت لقلة وخشونة ما بداخله فقالت : أهذه هي دار أمير
المؤمنين ؟ أجبت عمر بيتي من هذا البيت الخراب !

فقال لها فاطمة زوجة عمر : انما خرب هذا البيت عمارة بيوت

أمثالك .

ثم أقبل عمر فكتب الى والي العراق كي يقرض للمرأة وبناتها (٥)

(٣) سيرة عمر - ابن عبد الحكم ص ١٤٠ . ١٤١ وردت في كتاب عمر بن

عبد العزيز لسمك عبد السلام حبيب ص ١٢٧ .

(٤) عمر بن عبد العزيز لابن كثير ، تقديم وتعليق أحمد الشرباصي ص ٩٩ .

(٥) سيرة عمر لابن عبد الحكم ص ١٤٠ وردت في كتاب عمر بن عبد العزيز لسمك

عبد السلام ص ١٠٨ .

استرداد عطفه سابق لبيت المال من زوجة الخليفة :

كانت فاطمة زوجة عمر بن عبد العزيز بنت الخليفة عبد الملك بن مروان وحفيدة الخليفة مروان وأخت الخليفة الوليد بن عبد الملك والخليفة سليمان بن عبد الملك فهي كما قال فيها الشاعر :

بنت الخليفة والخليفة حدها أخت الخلائف والخليفة زوجها

وقد أدى ذلك الى أن يؤول اليها في مناسبات مختلفة أموالا من بيت مال المسلمين في ظل سياسة الخلفاء السابقين لعمر من عدم الفصل بين أموال بيت المال وأموالهم الخاصة فمن ذلك ما أمر لها به أبوها في يوم عرسها وزفافها فتجمع لديها الكثير النادر من الجواهر والمؤلؤ الذي لم ير مثله .

فقال لها عمر : اختارى اما أن تردى حليك الى بيت مال المسلمين واما ان تاذنى لى فى فراقك فانى أكره أن أكون أنا وأنت فى بيت واحد .

قالت : لا بل أختارك يا أمير المؤمنين عليه وعلى أضعافه لو كان لى .

فأمر بمالها فحمل الى بيت المال (٦) وراحت فاطمة تشارك عمر اخشوشان المعيشة وتقشفها وهي من نسل الخلفاء قبل عمر المنعمين المترفين ، وتاصل فيها زهد عمر وتقشفه فلما مات عمر واستخلف أخوها يزيد بن عبد الملك .

قال لأخته فاطمة : ان شئت رددت عليك جوهرك وحليك .

قالت : انى لا أشاؤه ، طببت عنه نفسا فى حياة عمر ، وأرجع فيه وأخذه بعد موته لا والله أبدا . فلما رأى ذلك قسمه بين أهله وولده (٧) واغتصب بعد عمر حقوقا لبيت المال المسلمين أخذت منه أيام عمر ، وفى ذلك اقتدت فاطمة زوجة عمر بن عبد العزيز بسمة من سمات زوجات الرسول صلى الله عليه وسلم وهي سمة التقشف حينما اخترن الله ورسوله والدار الآخرة فى الخيار الذى عرضه عليهم الله ورسوله ونزل به القرآن الكريم فى آية .

« يا أيها النبى قل لأزواجك ان كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها ، فتعالين أمتعن وأسرحكن سراحا جميلا ، وان كنتن تردن الله ورسوله

(٦) سيرة عمر - ابن الجوزى ص ١١٠ وابن عبد الحكم ص ٥٢ .

(٧) سيرة عمر - ابن عبد الحكم ص ٥٣ وابن الجوزى ص ١٠٧ .

والدار الآخرة فإن الله أعد للمحسنات منكم أجرا عظيما » (الأحزاب - ٢٨ ، ٢٩) .

وفى العصور الحديثة نسمح عن أن بعض زوجات الحكام يغالين فى التزين والتنعيم والترفيه بما يأخذنه من الأموال العامة فى عهد أزواجهن ، يحدث هذا وقد يكون الشعب فى ضيق وعنت وعناء والمالية العامة فى عجز واستئدانة واملاق ، ومن أمثلة ترف زوجات الحكام ما فعلته زبيدة زوجة هارون الرشيد أحد خلفاء العباسيين الذين أتوا بعد الأمويين فيذكر التاريخ أنه كان لها ثوب من الوشى الرفيع يزيد ثمنه على خمسين ألف دينار وبساط من الديباج من صنع يدها فيه صور من الذهب أعينها يواقيت ، أنفقت عليه مليون دينار ، وهذا ثوب وبساط من بين العديد من الأثواب والبسط (٨) .

وقد وصل زهد زوجة عمر الى الخلافة نفسها فكانت تقول :

« ياليت كان بيننا وبين الخلافة بعد المشرقين ، فوالله ما رأينا سرورا مذ دخلت علينا » (٩) .

اجتماع ودعوة لبنى أمية لرد ما اخلوه من عطاه سابق واموال بن بيت المال :

فى الدعاوى العامة الجديدة التى يتبناها الزعماء والأمراء ورؤساء الدول لتحريك مجتمعاتهم من الضلالات الى الفضائل والهدايات يبدؤون بأنفسهم فيحولوها الى المذهب الجديد ثم يتبعون ذلك بدعوة ذوى قرباهم الى الانضمام الى الدعوة الجديدة وبذلك يتبلور نموذج عملى يقتدى به المواطنون تباعا للتداعى الجديد ، وهذا ما فعله عمر فبدأ بنفسه ثم بزوجه ثم عشيرته الأقربين من بنى أمية ، فاقتدى بذلك بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم حينما أمره جل وعلا بأن ينذر عشيرته الأقربين أى الأدينين اليه وأنه لا يخلص أحد منهم الا ايمانه بربه عز وجل .

فمن ابن عباس قال : لما أنزل الله عز وجل « وأنذر عشيرتكم الأقربين » (الشعراء / ٢١٤) أتى النبى صلى الله عليه وسلم الصفا

(٨) أحمد بن حنبل - امام أهل السنة - للاستاذ عبد الحليم الجندى - طبعة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ص ٨٥ .

(٩) معجزة الاسلام - عمر بن عبد العزيز - مرجع سابق ص ١١١ .

فصعد عليه ثم نادى : يا صباحاه . فاجتمع الناس اليه بين رجل يجي*
اليه وبين رجل يبعث رسوله .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا بنى عبد المطلب ، يا بنى
فهر ، يا بنى لؤى أرايتم لو أخبرتكم أن خيلا بسفح هذا الجبل تريد أن
تغير عليكم صدقتموني ؟

قالوا : نعم .

قال : فاني نذير لكم بين يدي عذاب شديد .

فقال أبو لهب : تبا لك سائر اليوم أما دعوتنا الا لهذا .

وانزل الله : ثبت يدا ابي لهب وتب « (١٠)

وكذلك جمع عمر بن عبد العزيز بنى أمية وقال لهم : يا بنى أمية
انكم قد أعطيتكم حظا وشرفا وأموالا واني لأحسب شطر أموال هذه الأمة
أو ثلثيها في أيديكم ، فادوا ما في أيديكم من حقوق الناس ، ولا تلجثوني
الى ما أكره وأحملكم على ما لا تكرهون .

فلم يجبه أحد منهم .

فقال : اجيبوني .

فقال عمر بن عبد العزيز : والله لولا أن تستعينوا على بمن أطلب
هذا الحق له لاخضعتكم عاجلا . . ولكني أخاف الفتنة . . ولئن أبقاني الله
لأردن الى كل ذي حق حقه ان شاء الله « (١١) .

وبعد ذلك أصدر عمر قراراته بإلغاء كافة مخصصات بنى أمية
ومخصصات حرسهم وخدامهم ونزع ما في أيديهم من اقطاعيات وأرض
زراعية وردها الى بيت المال .

عمر يرفض الوساطة في استرداده للعطاء :

أصر عمر على سياسة استرداد عطاء وأموال بيت المال من بنى أمية
التي أخذوها من بيت المال بغير حق بالرغم من كثرة الشفاعات والوساطات
التي أتت عليه ليحيد عن سياسته بكلمات مائعة وحاسمة .

(١٠) أخرجه الامام أحمد ورواه البخارى والترمذى والنسائي .

(١١) سيرة عمر - ابن الجوزى ص ١١٥ .

فقد اجتمع امراء بنى أمية الى عمر فقالوا : انك قد أفقرت بنى أبيك فيما ترد من هذه الأموال ، وهذا أمر قد وليه غيرك من قبلك ، فدع من وليه وما كان منه يحاسبه الله على فعلته . . . واشتغل أنت وشأنك واعمل بما رأيت .

قال عمر : أهذا رأيكم ؟

قالوا : نعم .

قال : والله لوددت أن لا تبقى مظلمة في الأرض الا رددتها . . . والله لو لم يدهض الحق ويندحض الباطل الا بتقطيع أوصالي وأعضائي لأمضيت ذلك وأنا سعيد والله لو لبثت فيكم خمسين عاما ، ما أقست الا ما أريد من العدل (١٢) .

فلما يأسوا منه أتوا عمتهم فاطمة بنت مروان وكانت لها مكانة عند عمر فهي أخت أبيه فشكوا اليها فأتت اليه وناقشته .

فقالت : « ان عمك عبد الملك كان يجرى على ما تعلم . . . ثم كان الوليد فزادني ثم توليت أنت فمنعتني ومنعت قرابتك ما كان يجرى علينا من أرزاق . . . لقد قطعت عنا خيرا كان يجرى به غيرك علينا . . . أنهان في زمانك يا عمر » .

فقال لها عمر : « يا عمه . . . ان عبد الملك والوليد وسليمان كانوا يسلطوا من أموال المسلمين ، وهي ليست لي حتى أعطى قومي وأصل بها رحي . . . لقد كان الرسول عليه الصلاة والسلام يتحدث عن أمانة الحكم باهتمام عظيم ويلقى تعليماته الرشيدة وتوجيهاته الهادية الى الحكام والولاة والقضاة والى كل من يحمل مسئولية في الأمة . . . فالحكم بكل الوان أمانة عظمى ومسئولية كبرى . . . ترتعد من هول حساب الله عليها أفئدة الأبرار ، يقول محمد صلى الله عليه وسلم عن الولاية :

انها أمانة وانها يوم القيامة خزي وندامة الا من أخفها بحقها وأدى الذى عليه فيها ، لقد سمع « عبادة بن الصامت » الصحابي الجليل وأحد زعماء الانصار رسول الله صلى الله عليه وسلم يتحدث عن مسئولية الولاية وعن مصير من يفرط منهم في حق أو تعبت ذمته بمال . . . فأقسم بالله ألا يكون أميرا على اثنين أبدا ، والصحابي الكبير « سلمان الفارسي » تعرض عليه الامارة فرفضها ويهرب منها .

(١٢) سيرة عمر - ابن عبد الحكم ص ١٢٥ .

قائلا : « ان استطلعت ان تاكل التراب ولا تكون اميرا على اثنين
خافعل » .

فقالت له عمته : يا عمر ان قرابتك يشكونك ، ويزعمون انهم يسبون
عندك فلا تنكر . وانك اخذت منهم خير غيرك واعطيته للناس .

قال عمر : يا عمة ما منعتهم حقا أو شيئا كان لهم .

قالت عمته : اني رايتهم يتكلمون ، وانى اخاف ان يهيجوا عليك يوما
عصيبا » .

فاذا بعمر ينتفض غضبا ويقول « انى لا اخاف سوى حساب الله يوم
القيامة » . وكل يوم اخافه دون هذا اليوم ، فلا وقانى الله شره » .

ثم دعا لقطعة من الحديد ومجمره . . ووضع قطعة الحديد على النار
حتى احمرت وتوهجت .

فقال لعمته : « ألا تخافين على ابن اخيك من مثل هذا » .

فتركته عمته وانصرفت لتجد افراد بنى أمية فى انتظارها ، فأخبرتهم
بما حدث وبما آياسهم من الطمع عنده .

وقالت لهم : ذوقوا مغبه أمركم . ولا تلومون الا أنفسكم يا معشر
بنى أمية . . من قال لكم زوجوا حفيدة عمر بن الخطاب لعبد العزيز بن
مروان ؟ انها جاءكم بعمر ثمان (١٣) .

ومن الحديث السابق نستنتج المبادئ التالية التى قررها عمر بن
عبد العزيز بشأن عطاء أقاربه الأمراء من بيت مال المسلمين .

★ الحكم والولاية أمانة .

★ المال العام مال المسلمين وهو مستقل عن مال الحكام والولة .

★ من الأمانة أن لا يأخذ الحكام والولة وأقاربهم من المال العام
الا بالحق .

★ ومن الأمانة كذلك أن يسترد ما أخلوه بالباطل ولو كان بموافقة
الحكام والولة السابقين .

★ تكون أمانة الحكام والولة مستمرة طيلة مدة حكمهم وولايتهم .

(١٣) سيرة عمر - ابن الجوزى ص ١١٧ .

★ لا يخشى الولاة والحكام معارضة من استردت منهم الأموال التي حصلوا عليها من بيت المال ظلما وبدون وجه حق .

★ اذا قصر الحكام والولاة في استرداد الأموال العامة من مفتصبيها فאלله محاسبهم على ذلك يوم القيامة ، كما أن للشعب الحق في محاسبتهم في الدنيا .

رفض عمر لمعارضة مفرضة لاسترداد عطاء وأموال بيت المال :

حاول امرأ بنى أمية بكافة الوسائل استرجاع الأموال العامة التي استردت منهم تارة بالمناقشة مع عمر بن عبد العزيز مباشرة وتارة بإرسال الوسطاء والشفعاء ليتوسطوا لديه وليتشفعوا عنده ، فلما يتسوا اعلنوا معارضتهم ونقدتهم لسياسته بكتاب أرسلوه الى عمر على لسان كبيرهم وشيخهم الذي شاركهم تلك الأموال العامة ظلما وهو عمر بن الوليد بن عبيد الملك فكتب اليه بكتاب جاء فيه :

« انك أزريت بمن كان قبلك من الخلفاء وعبت عليهم وسرت بغير سيرتهم بغضا لهم وشتانا لمن بعدهم من أولادهم .. وقطعت ما أمر الله به أن يوصل ، اذ عمدت الى أموال قريش ومواريتهم فأدخلتها بيت المال جورا وعدوانا .. يا ابن عبد العزيز اتق الله وراقبه ، فانك لم تكذ تطمئن على منبرك حتى خصصت قرابتك بالظلم والجور (١٤) .. »

ورد عليه عمر بكتاب أوضح فيه ان المال مال المسلمين وفيه حقوق الفقراء والمرضى واليتامى والأسرى وأن عمال الأمراء السابقين جيبوا الأموال العامة ظلما من الشعب وأنفقوها في الترف والمحرمات ، وفيما يلي بعض فقرات من كتاب عمر بن عبد العزيز لعمر بن الوليد .

« تزعم أنى من الظالمين ، لأنى حرمتك وأهل بيتك من مال المسلمين الذى هو حق الفقير الجائع .. والمريض الضائع .. والمظلوم المقهور .. واليتيم والأرملة والأسير وان شئت اخبرتك بمن هو أظلم منى وأترك لعهد الله .

انه أبوك الوليد ، الذى استعملك صبيا سفيها على جند المسلمين تحكم برأيك . فويل لك وويل لأبيك ، وما أكثر خصمائكما يوم القيامة .. وكيف تنجو وينجو أبيك من خصمائكما !

(١٤) سيرة عمر - ابن عبد الحكم - ص ١٢٦ .

وان أظلم منى وأترك لعهد الله من استعمل « الحجاج بن يوسف على خمس العرب » . يسفك الدم الحرام . يأخذ المال الحرام . وان أظلم منى وأترك لعهد الله من استعمل « قرّة بن شريك » الفاسق المتهتك على مصر وأذن له فى اللهو والشراب » . وان أظلم منى وأترك لعهد الله من استعمل « يزيد بن أبى مسلم » على جميع المغرب يسفك الدم الحرام . ويجبى المال الحرام » . فرويدا يا ابن بنانة (١٥) فلو طالت بى الحياة لاتفرغن لك ولاهل بيتك حتى أقيمكم على المحجة البيضاء (١٦) .

العطاء لجميع المسلمين :

لما ولى عمر بن عبد العزيز كان من ضمن ما كتبه آيات من القرآن اختارها ليعلم أن الفقه ومنه العطاء لجميع المسلمين فقال :

« . . . ثم أفاء الله على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم أموال قرى لم يوجف عليها خيل ولا ركاب فقال فيها لتكون سنة فيما يفتتح الله من القرى بعدها » .

« وما أفاء الله على رسوله منهم فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب ولكن الله يسلط رسله على من يشاء والله على كل شيء قدير » (الحشر/٦) -

وقال : « ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذئى القربى واليتامى والمساكين وإبن السبيل كى لا يكون دولة بين الاغنياء منكم وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله ان الله شديد العقاب » (الحشر / ٧) .

ثم سمى فى هؤلاء الآيات الذى للمسلمين . فليس لأحد منهم قسم الا وهو فى هذه الآيات فقال « للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون » (الحشر / ٨) .

وأهل هذه الآية من خرج من بلده مهاجرا الى المدينة وليس فيهم. الانتصار .

ثم قال : « والذين تبوءوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم .

(١٥) بنانة من أم عمر بن الوليد بن عبد الملك .

(١٦) سيرة عمر - ابن الجوزى ص ١١٢ .

«ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون»
(الحشر / ٩) .

وأهل هذه الآية من كان بالمدينة من الأنصار . فإن هجرة رسول
الله صلى الله عليه وسلم كانت اليهم .

ثم قال في الآية الثالثة وهي التي جمعت حظ من بقي من المسلمين
بعد هذين الصنفين الأولين في الاسلام وقسم المال «والذين جاءوا من
بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل
في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا انك رؤوف رحيم» (الحشر / ١٠)

فهم جماعة من بقي من أهل الاسلام ومن هو داخل فيه بعد الهجرة
الأولى حتى تنقضي الدنيا (١٧) .

ومما يلاحظ أن ما أورده عمر بن عبد العزيز من آيات هي نفسها التي
أوردها قبله عمر بن الخطاب رضي الله عنه لتأييد وجهة نظره في عدم
تقسيم أرض الفنائم وكانت حجة ان توالى الآيات والتنويه عن الغنيمة في
الآية السادسة من سورة الحشر وأنها للقرى كلها في الآية السابعة
وللمهاجرين في الآية الثامنة وللأنصار في الآية التاسعة ولمن جاء من بعدهم
في الآية العاشرة - يؤيد وجهة نظره بعدم التقسيم ويؤيد جعل أرض
الفنائم لصالح جماعة المسلمين حاضرا ومستقبلا (١٨) .

تنفيذ وعد سابق بشمول العطاء :

وشمول العطاء جميع المسلمين وعدم إظهار الخليفة نفسه بالأدوال كان
أيضا تنفيذا لوعد كان عمر بن عبد العزيز وعد به في عهد سليمان بن
عبد الملك .

فقد حمل بعض وجهاء خراسان لسليمان هدايا ثمينة من الذهب
والجواهر والآلئ والدر والزبرجد والياقوت والتحف النادرة وكان عنده
وزير عمر بن عبد العزيز ففرح سليمان بالهدايا فرحا شديدا وأمر
أصحابها أن يمروا بها على عمر ليراها ، فكان كلما مر بعمر صنف منها
سأله سليمان : كيف ترى هذا ؟ .

(١٧) سيرة عمر بن عبد العزيز - لابن عبد الحكم - تعليق أحمد عبيد - جامعة لاس
ص ٦٢ ، ٦٣ .

(١٨) السياسة المالكية لسر بن الخطاب تأليف قطب إبراهيم محمد طبعة أولى ص ٧٢ .

فيقول عمر : يا أمير المؤمنين ، انما هو متاع الحياة الدنيا .
 قال سليمان : يا ابن عبد العزيز فوالله لو وليته ما أنت صانع فيه
 قال عمر : أوزعه حتى لا يبقى منه شيء .
 قال سليمان : اللهم اشهد
 ولكن سليمان قبل الهدية .
 وقال : النبي عليه الصلاة والسلام قبل الهدية
 قال عمر : كانت له هدية وهي لمن بعده رشوة وقد نهى عمر بن
 الخطاب عن قبول الهدية (١٩) .

تنظيم العطاء في عهد عمر بن عبد العزيز :

ثم راح عمر بن عبد العزيز يضع التنظيمات اللازمة لنظام العطاء حتى
 يقوم على أساس من العدل فيقتدى بسنة الرسول صلى الله عليه وسلم
 ويستشير في قواعد التطبيق ويجتهد استناداً لما ورد في القرآن الكريم
 وينشئ حقوقاً للورثة في العطاء ويبسط إجراءاته بتطبيق اللامركزية
 ويعالج بعد ذلك ثغرات التطبيق ، وذلك على التفصيل التالي :

استلزام سنة الرسول في عطاء القصر :

عن نافع عن ابن عمر قال : « عرضني رسول الله صلى الله عليه وسلم
 للقتال يوم أحد فاستصغرني فردني وكنت ابن أربع عشرة سنة وعرضني
 يوم الخندق وأنا ابن خمس عشرة سنة وأجازني » .

فلما سمع عمر بن عبد العزيز من نافع بذلك كتب الى عماله :
 « من بلغ خمس عشرة سنة فافرضوا له في المقاتلة ومن كان دون
 ذلك فافرضوا له في الذرية فالأصل أن الغلام يعتبر في المقاتلة اذا بلغ
 الحلم فيأخذ عطاء المقاتلة فان شك فيه فلا يعطى عطاء المقاتلة حتى يبلغ
 خمس عشرة سنة اقتداءً بما فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم حينما
 أجاز لابن عمر أن يجاهد يوم الخندق حينما بلغ خمس عشرة سنة ولم يجز
 له ذلك حينما كان سنه دون ذلك » (٢٠) ومما يدعم رأى عمر أن ذلك
 مطبق أيضاً في الحدود والشهادة .

فمن مكحول قال « اذا بلغ الغلام خمس عشرة سنة جازت شهادته .
 ووجبت عليه الحدود » (٢١) .

(١٩) خامس الراشدين - سلسلة مقالات بقلم عبد الرحمن الشرقاوي - بجريدته

الامرام عدد ١٩٨٥/٧/٢٤ .

(٢٠ ، ٢١) الخراج لأبي يوسف - مرجع سابق ص ١٧٥ .

استشاره في مبدأ العطاء :

حدث سليمان بن حبيب :

« ان عمر بن الخطاب فرض لعيال المقاتلة ولذريتهم العشرات يرثها ممن ليس في العطاء والعشرة ، حتى كان عمر بن عبد العزيز فسألني عمر عن ذلك فأخبرته فأنكر الوراثة وقال (أي عمر) : أقطع الوراثة وأعمم الفريضة .

فقلت : مهلا يا أمير المؤمنين فاني أخاف ان يستن بك من بعدك في قطع الوراثة ولا يستن بك في عموم الفريضة .

قال : صدقت أتركهم (٢٢) .

فعمر بن عبد العزيز استطلع الرأي فيما كان في عهد عمر بن الخطاب ، وأراد أن يعدل ما كان يطبقه من باب الاجتهاد ، فلما أشير عليه بأن ذلك قد يؤدي الى خلل في نظام العطاء بعده ، عدل عن رأيه .

اجتهاد في العطاء استنادا للقرآن :

حدث مروان بن شجاع الجزري قال : أثبتني عمر بن عبد العزيز وأنا فطيم في عشرة دنانير (٢٣) وحدث محمد بن كثير عن أمية بن يزيد قال : سألت عمر بن عبد العزيز لابن لي (يعني لم يبلغ الفطام) فقال : لو كنت افرض لابن لي مثله فرضت لهذا (أي لو كنت افرض لابني الذي لم يتم رضاعة فرضت لابنك) (٢٤) .

وكان عمر بن الخطاب يفرض للطفل حين يفطم ثم عدل عنه وفرض للطفل حين ولادته فاجتهد عمر بن عبد العزيز ورأى أن يتقرر عطاء الأطفال حين يفطمون ، وفي القرآن ما يؤيد اجتهاده ، فالقرآن يقرر أن رضاع الطفل نفقة على أبيه فان لم يكن له أب فعلى الوارث اذا لم يكن للصبي مال فان كان له مال فمن ماله (٢٥) .

وما دامت تكلفة رضاع الطفل على أبيه وأبوه يأخذ عطاء بيت المال ، فلا يكون الطفل قبل الفطام وفي فترة الرضاع في حاجة للمعطاء .

(٢٢) الأموال لابن عبيد ص ٣٠٥ .

(٢٣) المرجع السابق ص ٣٠٤ .

(٢٤) المرجع السابق ص ٣٠٦ .

(٢٥) الأموال لأبي عبيد - مرجع سابق ص ٣٠٤ .

تنظيم ميراث العطاء :

كان عمر بن عبد العزيز اذا وجب للرجل عطاء ثم مات أعطاه ورثته .
وقد كتب للقائمين على العطاء يأمرهم بذلك فقال :

أن انظر في أهل الدواوين فمن كان عمل على عطائه سنة كاملة
ثم يقبض (أى يموت) بعد ما يؤمر للناس بأعطياتهم ، فأمر لأهله بمعطائه
حقا واجبا ، (٢٦) .

لا مركزية العطاء :

قال أبو مجلز لعمر : انك وضعتنا بمنقطع التراب ، فأحمل الينا
الأموال .

قال عمر : يا مجلز قلبت الأمر .

قال أبو مجلز : يا أمير المؤمنين أهو لنا أم لك .

قال عمر : بل هو لكم اذا قصر خراجكم عن أعطياتكم .

قال أبو مجلز : فلا أنت تحمله الينا ولا نحمله اليك وقد وضعت
بعضه على بعض .

قال عمر : أحمله اليكم ان شاء الله .

ومن المناقشة السابقة يمكن استنتاج المبادئ التالية بشأن الخراج
والاعطيات : (٢٧)

الأصل أن يكون العطاء لأهل بلدة من مواردها وأنه اذا قصر خراج
بلدة عن عطائها يتم تعويضها عن النقص من فائض بيت المال المركزى .
وبذلك يكون توزيع العطاء قام على سياسة اللامركزية . ويؤيد ذلك نصيح
عمر بن عبد العزيز لعقبة بن زرعة الطائى وقد ولاء على الخراج فى خراسان
فقال : فاستوعب الخراج واحرزه فى غير ظلم . فان يك كافيا لاعطياتهم
فحسنا . . والا فاكتب الى حتى أكمل لك الأموال فتوفر لهم أعطياتهم .

فلما قدم عقبه وجد خراجهم يفضل عن أعطياتهم .

فأمر عمر بتقسيم الفضل فى أهل الحاجة (٢٨) .

(٢٦) الأموال لأبى عبيد - مرجع سابق ص ٣١٢ .

(٢٧) الطبرى جزء ٦ - مرجع سابق ص ٥٧٠ .

(٢٨) سيرة عمر - ابن عبد الحكم ص ١٤٠ ، ١٤١ .

عطاء وولاء للرسول صلى الله عليه وسلم :

دخل على عمر بن عبد العزيز رجل غريب يلتمس عنده مالا ، وكان يعطى الغريب مائتي درهم .

فسأله عمر : ممن أنت ؟

قال : من أهل الحجاز

قال : من أى أهل الحجاز ؟

قال : من أهل المدينة يا أمير المؤمنين

قال : من أيهم ؟

قال : من قریش

قال : من أى قریش ؟

قال : من بنى هاشم يا أمير المؤمنين

قال : من أى بنى هاشم

قال : مولى على

قال : من على ؟

قال : على بن أبى طالب يا أمير المؤمنين .

فجلس عمر ووضع يده على صدره .

وقال : وأنا والله مولى على : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم .

من كنت مولا فعلى مولا .

ثم سأل مزاحم : كم يعطى مثله من الغريب

قال مزاحم : مائتي درهم

قال : أعطوه خمسين دينارا (خمسمائة درهم) لولائه من على .

ثم سأله : ان كان له عطاء

فقال الغريب : لا

فقرض له عطاء

وقال له : الحق ببلاك ، فانه سيأتيك ان شاء الله ما يأتى غيرك (٢٩)

(٢٩) خامس الخلفاء الراشدين وسلسلة مقالات - عبد الرحمن الشرقاوى - الاحرام

عطاء وكلمة طيبة :

وكثيرا ما كان عمر بن عبد العزيز يحيط عطاء بيت المال بكلمة طيبة ورفق في المعاملة اذا ما اتوه ارباب الحاجات يسألونه العطاء أو يعفو عن اساءة من اساء فيمنح المستحقين العفو والعطاء معا وذلك كما يتبين مما يلي :

★ دخل اعرابي على عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه

فقال : يا أمير المؤمنين ، جاءت بى اليك الحاجة وانتهدت اليك الغاية والله سائلك عنى .

فبكى عمر

فقال : كم أنتم .

فقال : أنا وثلاث بنات .

ففرض له عمر بن عبد العزيز ثلاثمائة وفرض لبناته مائة وأعطاه مائة درهم من ماله .

وقال له : اذهب واستنفقها حتى تخرج اعطيات المسلمين فتأخذ معهم (٣٠) .

★ خرج ابن لعمر بن عبد العزيز وهو صغير ، يلعب مع الغلمان فشججه صبي منهم ، فاحتملوا الصبي الذى شجج ابنه وجاءوا به الى عمر فسمع الجلبه فخرج اليهم

فاذا امرأة تقول : انه ابنى ، وانه يتيم .

فقال لها عمر : هونى عليك ، آله عطاء فى الديوان

قالت : لا

قال : فاكتبوه فى الدرية

فقالت فاطمة زوجة عمر : أتفعل هذا به وقد شجج ابنك ، فعل الله به وفعل ، المرة الأخرى يشجج ابنك ثانية .

فقال عمر : آله يتيم وقد أفزعتموه (٣١) .

(٣٠) عمر بن عبد العزيز - لابن كثير - مرجع سابق ص ١٦٨ .

(٣١) المرجع السابق ص ٧٥ .

نصيحة بدل العطاء :

وكان عمر ينصح أولئك الذين يأتونه يطلبون العطاء ولا حق لهم فيه فقد جاءه رجل من قريش كان بنو مروان يعطونه اذا سألهم ، فطلب من عمر فرفض ، فذكر أن عبد الملك بن مروان والوليد وسليمان ابنا عبد الملك كانوا يعطونه كل عام آلاف الدنانير ، فقال له عمر « هذا لا يجوز » .

فخرج الرجل غاضبا ، فناداه عمر ، فعاد الرجل مبتهجا ، فقد خيل اليه أن عمر سيعطيه حتى يرضى . ولكن عمر أعطاه نصيحة جاء فيها :

« اذا رأيت شيئا من الدنيا فأعجبك فاذكر الموت فإنه يقلله من نفسك ، واذا كنت في شيء من أمر الدنيا قد غمك ونزل بك فاذكر الموت فإنه يسهله عليك ، وهذا أفضل من الذي طلبت » (٣٢) .

(٣٢) خامس الراشدين - بقلم عبد الرحمن الشرقاوي - عدد الاحرام ١٩٨٥/٨/٧ .

الفصل الثاني

تطبيق سياسة رد المظالم في عهد عمر بن عبد العزيز

تعريف سياسة رد المظالم :

تقع أحيانا مظالم من ذوى النفوذ والسلطان في الدولة من حكام وولاة وغيرهم ، ويسبب القضاء العادى عن اىصال الحق الى صاحبه لاقتصار وظيفته على القضاء وافتقاره لسلطة التنفيذ ، ولرد هذه المظالم وجدت في الاسلام وظيفة « والى المظالم » أو « صاحب المظالم » كما كان يطلق عليها في بعض العهود .

ويمرف أحد علماء المسلمين ولاية المظالم فيقول :

« ان ولاية المظالم كولاية القضاء وكولاية الحرب وكولاية الحسبة جزء مما يتولاه ولى الامر الأعظم ويقيم فيه نائباً عنه ، من تكون فيه الكفاية والهمة لأدائه ، ويسمى المتولى لأمر المظالم ناظراً ولا يسمى قاضياً وإن كان له مثل سلطان القضاء ومثل إجراءاته في كثير من الأحوال ، ولكن عمله ليس قاضياً خالصاً ، بل هو قضائى وتنفيذى ، فقد يعالج الأمور الواضحة بالتنفيذ أو بالصلح أو بالعمل الخيرى بأن يرد لصاحبه الحق حقه فهو قضاء أحيانا وتنفيذى إدارى أحيانا » .

ويوضح المارودى الغرض من قضاء المظالم بأنه هو :

« قود المتظالمين الى التناصف بالرهبة وزجر المتنازعين عن التجاحد بالهيبة » .

كما يوضح مواصفات ناظر المظالم بأنها :

« أن يكون جليل القدر ، نافذ الأمر ، عظيم الهيبة ، ظاهر العفة ، قليل الطمع ، كثير الورع » لأنه يحتاج في نظره الى سطوة الحماية وثبت

القضاء ، فيحتاج الى الجمع بين صفات الفريقين ، وان يكون بجلال القدر نافذ الامر في الجهتين » .

ربط سياسة رد المظالم بالاصلاح المالى :

ولا يكفى لتحقيق الاصلاح المالى فى أى دولة أن تنقى المالية العامة ايرادا وانفاقا وادارة مما شاب مسارها من مخالفات وتجاوزات ، بل ينبغى أن يمتد الاصلاح المالى الى معاملات المال الخاص فتمنع اية مظالم وقعت عليه سواء من بدء تنفيذ سياسة الاصلاح أو قبلها ، لأن المال الخاص هو المنبع والمصدر للأموال العامة ، ويتم ذلك الاصلاح بوضع نظام بجانب القضاء يلجج المظلومون لطلب النصفة من الظالمين خصوصا اذا كانوا أولى قوة وبأس شديد وذوى قربى من الرؤساء والحكام ، وبغير ذلك يظل المقتصبون للأموال الخاصة معتزين بظلمهم والمظلومون مقهورين لاغتصاب أموالهم .

أدرك عمر بن عبد العزيز ذلك فربط سياسته للاصلاح المالى بسياسة عامة لرد المظالم وبذلك أقام نشاطا للدولة الاسلامية أساسه العدل فأحيا مبدءا من مبادئ الاسلام .

وفيما يل المبادئ التى أقام عليها عمر بن عبد العزيز سياسته لرد المظالم :

أسس سياسة رد المظالم :

قامت سياسة عمر بن عبد العزيز لرد المظالم على الأسس التالية :

- عزل الولاة الذين ظلموا الرعية واستباحوا حقها .
- التعجيل برد المظالم والاعلان عنها .
- الاعلان عن مكافآت لمن يرشد عن مظلمة .
- رفض طلبات لولاته تحمل شبهة الظلم .
- تطبيق اللامركزية فى رد المظالم وتبسيط وتسهيل اجراءاته .
- منع المظالم عن بيت المال قبل وقوعها .
- مراجعة الدواوين ورد المظالم للورثة .
- عدم التردد والحزم فى تنفيذ سياسة رد المظالم .
- مساندة سياسة رد المظالم بنظام عادل للقضاء .

ونناقش فيما يلي سياسة رد المظالم مع تعزيزها بحالات تمت في عهد
عمر بن عبد العزيز رد فيها المظالم .

عزل الولاة الظلمة :

ما أن ولي عمر بن عبد العزيز خلافة الدولة الإسلامية حتى بادر
بالعمل على إيقاف المظالم وكانت أولى خطواته في ذلك عزل الولاة الظلمة
الذين أذلوا الناس وأوقعوا بهم الجور ، فقد كان يعرفهم قبل توليه الخلافة
ونوه عنهم فقال :

« الوليد بالشام والحجاج بالعراق ومحمد بن يوسف باليمن وعثمان
ابن حيان بالحجاز وقرّة بن شريك بمصر ويزيد بن أبي مسلم بالمغرب ،
امتلات الأرض والله جورا » (١) .

وقد شمل العزل بعد ولايته مباشرة كلا من :

— أسامة بن زيد التنوخي صاحب خراج مصر وكان سليمان بن
عبد الله قد ولاء على الخراج وكان أمير مصر إذ ذاك هو ابن رفاعة وكان
صالحا عفيفا حسن السيرة يقيم العدل في الرعية ، فلما وجد أن صاحب
الخراج يشق على أهل مصر في الخراج فكان يقطع الأيدي في خلاف ما أمر
الله به ويشق أجواف الدواب فيدخل فيها من لم يدفع الضريبة ومن يخالفه
واللصوص وقطاع الطرق ثم يلقي بهم إلى التماسيح لتلتهمهم التهاما ،
شكاه الناس إلى سليمان بن عبد الملك ولكن سليمان كان يحتضنه بعد
أن رسم له سياسته في الخراج وقد أوضحنا أنه كان يقول له .

« احلب الدر حتى ينقطع » والدر هو اللبن « واحلب الدم حتى
ينصرم » .

وقد حاول عمر اقناع سليمان بعزل هذا الجبار الظلوم .

ولكن سليمان قال له في إعجاب بأسامة التنوخي « أسامة لا يرتقى
دينارا ولا درهما » .

قال عمر : أنا أدلك على من هو أشد من أسامة ولا يرتقى دينارا
ولا درهما .

قال سليمان : من هو ؟

(١) سيرة عمر بن عبد العزيز — ابن عبد الحكم — تصحيح وتعليق أحمد عبيد —
طبعة ثانية ص ١٤١ .

قال عمر : عدو الله إبليس *

من أجل ذلك كان أول ما أمر به أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز هو عزل أسامة التتوخي وحبسه بما اقترف من جرائم وأمر به أن يقيد في الأصفاة ، ولا ترفع عنه الا وقت الصلاة (٢) *

— وعزل عمر بن عبد العزيز كذلك أمير أفريقية يزيد بن مسلم وأمره بأن يقدم حسابه فقد كان يأمر مخالفيه أن يعذبوا بين يديه ويشهد عذابهم سمعيدا مثلنذا به وهو يسبح ويكبر ويقول :

« سبحان الله والحمد لله ، عذبوه في موضع كذا من جسمه ، لا اله الا الله والله أكبر ، شد يا غلام موضع كذا ... » (٣) *

— كما عزل عمر بن عبد العزيز خالد بن الريان سياف الوليد وصاحبه ، فقد حدث في عهد سليمان بن عبد الملك أن أرسل في طلب عمر بن عبد العزيز فدخل عليه فاذا هو عابس فأشار إليه أن اجلس فجلس *

فقال سليمان : ما تقول فيمن يسب الخلفاء أ يقتل ؟

فسكت عمر ثم عاد الوليد فسكت ثم عاد *

فقال عمر : أقتل يا أمير المؤمنين ؟

قال سليمان : لا ولكن سب *

فقال عمر : يتكل به *

فغضب سليمان وخرج *

وكان عند سليمان بن عبد الملك صاحب حرسه وسيافه خالد بن الريان ، فأمره بضرب عنق الرجل *

فلما خرج سليمان *

قال خالد بن الريان لعمر : تقول لأمر المؤمنين ما أرى عليه الا أن تشتمه كما شتمك ؟ والله لقد كنت متوقعا أن يأمرني بضرب عنقك *

قال عمر يسأله : لو أمرت لفعلت ؟

قال خالد بن الريان : انى والله لو أمرت لفعلت *

(٢) سيرة عمر — ابن عبد الحكم ص ٣٢ *

(٣) المرجع السابق ص ١٠٢ *

فلما تولى عمر الخلافة استدعى بن الريان وعزله عن الحرس .
وقال له : يا خالد ضح سيف عنك ، اللهم انى قد وضعت لك
خالد بن الريان ، اللهم لا ترفعه أبدا .

وولى عمر على الحرس عمر بن مهاجر الانصارى (٤) .
ولم يكتف عمر بن عبد العزيز بعزل الظالمين من ولايته وعماله بل
أعلن فى احدى خطبه أن الامام الظالم عاصى فقال :
« لا طاعة لمخلوق فى معصية الله ، الا وانكم تعدون الهارب من ظلم
امامه عاصيا ، الا وان أولاهما بالمعصية الامام الظالم » (٥) .

التعجيل فى رد المظالم والاعلان عنها :

وكان عمر حينما عزل الظلمة من ولايته قد بدأ بإزالة سبب هام من
الاسباب التى تؤدى لوقوع المظالم وكان أحد أبنائه قد استعجله فى تطبيق
سياسة رد المظالم فبعد أن بويج بالخلافة ذهب عمر يوما يتبوا مقبلا فأتاه
ابنه عبد الملك .

قال : يا أمير المؤمنين ماذا تريد أن تصنع ؟

قال يا بنى : اقبل .

قال : تقبل ولا ترد المظالم الى أهلها .

قال : انى سهرت البارحة فى أمر سليمان ، فإن صليت الظهر رددت
المظالم .

فقال الابن : ومن لك أن تعيش الى الظهر .

قال : ادن منى أى بنى .

فدنا فقبله بين يديه .

وقال : الحمد لله الذى أخرج من صلبى من يعيننى على دينى (٦) .

— ولجأ عمر الى جميع وسائل الاعلام التى كانت فى عهده للاعلان
وابلاغ الشعب بأن يتقدم كل صاحب مظلمة للدولة لرد مظلمته فأعلن

(٤) فى رواية أخرى أن الذى استدعى عمر هو الوليد — انظر عمر بن عبد العزيز
لابى كثير القرشى ص ٥٢ .

(٥) سيرة عمر بن عبد العزيز — لابن عبد الحكم — تصحيح وتعليق أحمد عبيد
طبعة ثانية — ص ٣٧ .

(٦) عمر بن عبد العزيز لابن كثير مرجع سابق ص ١٠٧ .

ذلك على الناس سواء عن طريق مناد ينادى فى الناس بذلك أو بما ألقاه من خطب أو بما وزعه من منشورات مكتوبة على الشعب ، وفيما يلى نماذج لذلك :

★ ما ان نزل عمر من على المنبر يوم آتته الخلافة حتى أرسل قبل صلاة الظهر مناديا ينادى فى الناس « من كانت له مظلمة فليرفعها » (٧) .

★ ووقف عمر فى الناس خطيبا فقال :

« وما منكم من أحد تبلفنا حاجته يتسع له ما عندنا الا حرصنا أن نسد حاجته ما استطعنا وما منكم من أحد تبلفنا حاجته لا يتسع له ما عندنا، الا تمنيت ان يبدأ بى وبخاصتى حتى يكون عيشنا وعيشه سوء » .

★ وأمر عمر ان يذاع منشور له عن رد المظالم فى جميع الاقطار وحيث تجمعات الناس فى المواسم والمساجد والأسواق وورد فيه :

« من ظلمه حاكمه مظلمة فلا اذن له على » (٨) .

اعلان عن مكافأة لمن يرشد عن مظلمة :

أمر عمر بن عبد العزيز أن يعلن فى موسم الحج على الناس الاعلان التالى :

« ايما فرد قدم علينا فى رد مظلمة فى أمر يصلح له به خاصا أو عاما من أمر الدين فله ما بين مائة دينار الى ثلثمائة بقدر ما يرى من الحسبة وبعد الشقة وطول السفر ويقدر ما يحق الله به حقا أو يميت به باطلا أو يفتح به من ورائه خيرا ، ولولا أن أطيل عليكم فيشغلكم ذلك عن مناسكتكم لسميت أمورا من الحق أظهرها الله وأمورا من الباطل أماتها الله » (٩) .

تعليمات عمر لعماله بتجنب المظالم :

بدأ عمر بن عبد العزيز بولاته فنصحهم وأوصاهم بعدم ارتكاب المظالم وحذرهم من السير على شاكلة من سبقهم فى ظلم الرعية وإيقاع الجور والحيف بها فأرسل لهم الكتب بذلك وأشهد الناس عليهم وطلب منهم مراقبة هؤلاء الولاة وعدم الاستجابة لأى ظلم يحاولون إيقاعه بهم .

(٧) سيرة عمر : ابن الجوزى ص ١٠٤ .

(٨) سيرة عمر : ابن الجوزى ص ٥٥ .

(٩) المرجع السابق ص ٧٣ .

ومن ثمنايح عمر لولائه عن تجنب الظلم :

« كونوا فى العدل والاصلاح والاحسان بقدر ما كان قبلكم فى الظلم والجور والعدوان ولا حول ولا قوة الا بالله . » ان الناس قد أصابهم بلاء وشدة وجور فى أحكام الله وسنن سيئة سنها عليهم عمال السوء الذين قلما قصدوا الحق والرفق والاحسان (١٠) .

ومنها أيضا :

« ادبروا الحدود بالشبهات » استطعتم فى كل شبهة . فان الوالى اذا أخطأ فى العفو خير من أن يتعمد فى العقوبة » (١١) .

ويدعو الناس لمراقبة عماله فيقول :

« انى قد استعملت عليكم عمالا ٠٠٠ لا أقول أنهم خيركم ٠٠٠ ولكن أقول أنهم خير ممن هم شر منهم » (١٢) .

ويأمر عمر الناس بعدم طاعة الحاكم اذا هو انصرف عن الحق فيقول :

« أى عامل من عمالى رغب عن الحق ، ولم يعمل بالكتاب والسنة فلا طاعة له عليكم وقد صيرت امره اليكم حتى يراجع الحق وهو ذميم » (١٣) .

رفض عمر طلبات لولائه تحمل شبهة الظلم :

يحاول بعض الولاة أن يتخلوا من الظلم وعدم تطبيق القوانين . وانزال العقاب بالناس وسيلة للاصلاح وهؤلاء ان أصابوا مرة أخطأوا مرات ، وتكون اصلاحاتهم ان تحققت قد قامت على أسس متنافية للعدل وهو عماد أى اصلاح دائم شامل وركيزة رضا الشعب عن هذه الاصلاحات وتقبله لها . لذلك رفض عمر بن عبد العزيز طلبات الاصلاح التى تقدم بها ولاته بوسائل تحيد عن الحق والعدل فمن ذلك :

(١٠) سيرة عمر - ابن الجوزى ص ١٠١ .

(١١) سيرة عمر بن عبد العزيز - سعد عبد السلام ص ٦٤ .

(١٢) سيرة عمر - ابن الجوزى ص ٧٢ .

(١٣) المرجع السابق ص ٧٢ .

★ ولي عمر بن عبد العزيز « يحيى الفسائى » على الموصل فلما قدمها وجدها من أكثر البلاد فسادا ، تنتشر فيها السرقة والجريمة ، فكتب الى عمر يعلمه بحال البلد ويسأله هل يأخذ الناس بالظنة ويضرب على مجرد التهمة أو يأخذهم بالدليل والبينة .

فكتب اليه عمر :

« خذ الناس بالبينة وما جرت عليه السنة .. فان لم يصلحهم الحق فلا أصلحهم الله .. » (١٤) .

★ وحدث أن تلقى عمر كتابا من واليه على خراسان يطلب منه فيه أن يأذن له باستخدام القوة والعنف مع أهلها قائلا : انهم لا يصلحهم الا السيف والسوط ...

فكتب اليه عمر :

« كذبت . بل يصلحهم العدل والحق . قابسط ذلك فيهم ، واعلم ان الله لا يصلح عمل المفسدين ان قلوب الأمم لا تملك بالقسر والقسوة » (١٥) .

بل ذهب عمر الى أكثر من ذلك فسلب الولاة حق الحكم يقتل الناس بعد أن أسبى استعمال هذا الحق في العهود السابقة وقرر عدم قتل أحد الا بعد عرض قضيته عليه شخصيا وأخذ رأيه حتى يتحقق قول الله جل وعلا :

« ولا تقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق » (الأنعام/ من ١٥١) .

تطبيق اللامركزية في رد المظالم :

ولسرعة رد المظالم وتبسيط اجراءاتها أمر عمر بن عبد العزيز ولاته بذلك على النحو الذى أوضحنا كما أمر عماله بعدم مراجعته فيما يأمر به من رد للمظالم ، كما أجاز نقل الأموال لرد المظالم من بيت مال إحدى الولايات الى بيت مال ولاية أخرى اذا كانت هذه الولاية ليس بها أموال ، فلما نفذ بيت مال العراق فى رد المظالم حمل اليها من الشام (١٧) وكتب الى عامله على اليمن بعدم التردد فى رد المظالم فقال -

(١٤) المرجع السابق ص ٩٧ .

(١٥) المرجع السابق ص ٩٣ .

(١٦) عمر بن عبد العزيز - سعد عبد السلام حبيب ص ٧٧ .

(١٧) سيرة عمر - ابن عبد الحكم ص ١٠٧ .

« أما بعد فاني أكتب اليك أن ترد على المسلمين مظالمهم فتراجعني
.. ولا تقدر المسافة بيني وبينك ولا تعرف أحداث الموت - حتى لو كتبت
اليك أن أردد على مسلم شاة .. لأرسلت تسألني أن أرددها عفراء
أو سوداء .. فانظر أن ترد على المسلمين مظالمهم ولا تراجعني .. وتبين
وجه الحق فيه ثم امضه » .

وكتب الى عامله على الكوفة (١٨)

« يخيل الى أني لو كتبت اليك أن تعطي رجلا شاة ، لكتبت الى
أضأن أم ماعز . فان كتبت بأحدهما كتبت الى أصغيرة أم كبيرة فان كتبت
اليك كتبت الى أذكر أم أنثى فان أتاك كتابي في مظلمة فاعمل بها
ولا تراجعني » (١٩) .

وكتب الى آخر :

« انك تراجعني .. فنقد ما أكتب به اليك من الحق فانه ليس
للموت ميقات نعرفه » (٢٠) . وشبهة بكثرة أسئلة ولاية عمر في رد
المظالم وأمثالهم من عمال الدولة المترددين ما فعله بنو اسرائيل مع موسى
حينما أمرهم بذبح بقرة وضرب القتيل ببعضهما فتعود اليه الحياة ويرشد
عمن قتله ، فقد أكثروا من الأسئلة وما كادوا يفعلون ما أمرهم به موسى
عليه السلام ويشير القرآن الكريم الى ذلك ، فيقول الله جل وعلاء :

« واذ قال موسى لقومه ان الله يأمركم أن تذبحوا بقرة قالوا أتناخذنا
هزوا قال أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين ، قالوا ادع لنا ربك يبين لنا
ما هي قال انه يقول انها بقرة لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك فافعلوا
ما تؤمرون ، قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها ، قال انه يقول انها
بقرة صفراء فاقح لونها تسر الناظرين ، قالوا ادع لنا ربك يبين لنا
ما هي ان البقر تشابه علينا وانا ان شاء الله لمهتدون ، قال انه يقول انها
بقرة لا ذلول تثير الأرض ولا تسقى الحرث مسلمة لا شية فيها ، قالوا
الآن جئت بالحق فذبحوها وما كادوا يفعلون » (البقرة / ٦٧ - ٧١) .

(١٨ ، ١٩) سيرة عمر - ابن الجوزي ص ٩٧ .

(٢٠) الموسوعة - عمر أبو النصر ص ١١٢ .

تسهيل اجراءات رد المظالم :

وتبسيطا وتسهيلا لرد المظالم كان عمر بن عبد العزيز يكتفى
لاثبات حق المظلوم باليسير من البينة ويفسر الشك لصالحه .

— فقد قال أبو الزناد : كان عمر بن عبد العزيز يرد المظالم الى
أهلها بغير البينة القاطعة وكان يكتفى باليسير اذا عرف وجه مظلمة الرجل
ردها عليه ، ولم يكلفه تحقيق البينة لما يعرف من غشهم الولاة قبله
على الناس (٢١) .

— وكتب عمر بن عبد العزيز كتابا الى عماله بتفسير الشك
لصالح المظلوم هذا نصه :

من عبد الله عمر أمير المؤمنين الى العمال :

أما بعد فاني كنت قد كتبت اليكم برد المظالم ، ثم كتبت اليكم
أن تحبسوها ، ثم كتبت اليكم بردها ، فاطلعت من بعض أهلها على
خيانات وشهود زور حتى قبضت أموالا قد كنت رددتها ، ثم رأيت أن
أردها على سوء ظن بأهلها أحب الى من أن أحبسها حتى ينجلي الأمر من
غد على ما ينجلي عنه ، فاذا جاءك كتابي هذا فاردها على أهلها والسلام
عليك ، (٢٢) .

منع المظالم عن بيت المال قبل وقوعها :

لم تكتف سياسة عمر بن عبد العزيز برد مظالم وقعت بل كانت
تمنع نشوء ظلمات جديدة ، فكان يرفض طلبات الطامعين في الأموال
العامة ولو كان من قرابته أو من أصدقائه وكان بذلك يضرب المثل لولاته
وعماله ويقدم القدوة لهم ليحذوا حذوه وحتى يسيروا على منواله .

— فقد جاء عمر أحد أصدقائه من بنى عمه وسأله مالا .

فقال له : ان كان مالك الذي أصبح عندك حلالا فهو كافيك وان
كان حراما فلا تزيدن اليه حراما .

الا تخبرني أمحتاج أنت ؟

قال : لا .

قال : فعليك دين ؟

قال : لا .

(٢١) سيرة عمر بن عبد العزيز - ابن عبد الحكم - تصحيح وتعليق أحمد عبيد .
ص ١٠٦ طبعة ثانية .
(٢٢) المرجع السابق ص ٧٧ .

قال : افتأمرني أن أعمد الى مال الله فأعطيكه من غير حاجة بك
اليه ، وأدع فقراء المسلمين ، لو كنت غارما (مدينا) أدبت غرمك
(دينك) أو محتاجا أمرت لك بما يصلحك ، فعليك بمالك الذي عندك
فكله (أنفقه) واتق الله وانظر أولا من أين جمعته ، وانظر لنفسك قبل
أن ينظر اليك من ليس عنده هواة ولا مراجعة (٢٣) .

— أتى عمر بن عبد العزيز عنبة بن سعيد أحد شيوخ بني أمية
وقد أوتي قدرا كبيرا من الحلم والحكمة وكان عنبة صديقا حميما
لعمسر .

فقال له : يا أمير المؤمنين ان سليمان بن عبد الملك رحمه الله قد
كان أمر لي بعشرين ألف دينار ، حتى انتهيت الى ديوان الختم ولم يبق
الا قبضها فتوفى على ذلك ، وأمر المؤمنين أولى باستتمام الضيعة عندي ،
وما بيني وبينه أعظم مما كان بيني وبين أمير المؤمنين سليمان .
قال عمر : كم ذلك ؟

قال : عشرون ألف دينار يا أمير المؤمنين .

قال : عشرون ألف دينار تغني أربعة آلاف بيت من المسلمين
وأدفعها الى رجل واحد مالى الى ذلك من سبيل ، فرمى عنبة بالكتاب
الذي فيه أمر سليمان .

فقال له عمر : لا عليك أن يكون معك فاحتفظ به فلم يأتى بعدى
من هو أجرا على هذا المال متى قيام لك به .

فقال : يا أمير المؤمنين ، ان قومك يسألونك أن تجرى عليهم ما كان
قبلك يجرى عليهم .

قال عمر : والله ما هذا المال مالى وما الى ذلك من سبيل (٢٤) .

مراجعة النواوين ورد المظالم للورثة :

وكتب عمر الى عماله بجرد النواوين والنظر في كل جور فعله من
قبله في حق مسلم أو معاهد فيرده اليه ، فان كان أهل تلك المظلمة قد
ماتوا يدفعه الى ورثته (٢٥) .

(٢٣) خامس الخلفاء الراشدين — عبد الرحمن الشراوى — جريدة الاحرام — عدد

١٩٨٥/٨/٢١ ص ١٢ .

(٢٤) مقتبسة من سيرة عمر — لابن عبد الحكم ص ٤٩ .

(٢٥) الموسوعة — عمر أبو النصر ص ١٩٩ .

حزم في سياسة رد المظالم :

استجاب المظلومون لسياسة عمر في رد المظالم وتقدموا اليه والى ولاته وعماله يطلبون رد ظلاماتهم التي وقع معظمها قبل عهده سواء كان ذلك من اقرباء الخليفة أو من أمراء بنى أمية أو من الولاة وعمال الدولة ولم يتردد عمر في رد المظالم .

فحين جرد أمراء بنى أمية من ثرواتهم وممتلكاتهم وردها الى بيت المال والى أربابها قال له بعض أصفياه : يا أمير المؤمنين ، ألا تخاف غوائل قومك ؟

فقال : أبيعوم سوى يوم القيامة تخوفونني ؟ فكل خوف اتقيسه دون يوم القيامة لا وقته (٢٦) .

وكان يقول : والله لو لم ينهض الحق ويدحض الباطل الا بتقطيع أوصالي وأعضائي لأمضيت ذلك وأنا سعيد والله لو لبثت فيكم خمسين عاما ، ما أقمت فيكم الا ما أريد من العدل (٢٧) .

قضاء عدل يساند سياسة رد المظالم :

تتساند سياسة رد المظالم والقضاء العادل في اشاعة العدل في ارجاء المجتمع ونصفة المظلومين ، لذا عني عمر بن عبد العزيز بمرفق القضاء ، فكان يشترط في القاضى قبل تعيينه مواصفات معينة فقال : « لا ينبغي للرجل أن يكون قاضيا حتى تكون فيه خمس خصال : يكون عالما قبل أن يستعمل ، مستشيرا لأهل العلم ، ملقيا للطمع ، ومنصفا للنصم ، ومقتديا بالائمة » .

وكانت وظيفة القضاء قبل عصر عمر وقفا على العرب لا يتسامى اليها الموالي ، ولكن عمر بن عبد العزيز لا يفرق بين العربى والموالى ، بل جعل الأساس هو التقوى والصلاح وتوفر المواصفات التى حددتها ، فشد أزر الولاة بقضاء عدول فمثلا جعل :

الحسن البصرى على قضاء البصرة .

وعامر الشعبي على قضاء الكوفة (٢٨) .

(٢٦ ، ٢٧) عبقرية الاسلام - عمر بن عبد العزيز - مرجع سابق ص ١١٦ ، ١١٧ .

(٢٨) عمر بن عبد العزيز - سيد عبد السلام حبيب ص ٦٦ ، ٦٨ .

نماذج من حالات رد المظالم :

وفيما يلي نماذج لبعض المظالم التي ردها عمر بن عبد العزيز :

عمر بن عبد العزيز يرد دارا آلت لأخيه بمصر :

بنى خارجة بن حذافة دارا غربي مسجد عمرو بن العاص فلما مات آلت الدار الى ابنه الربيع وكان يتيما في حجر عبد العزيز بن مروان والد عمر ، فلما بلغ الربيع اشترى عبد العزيز بن مروان منه داره بعشرة آلاف دينار وملكها لابنه الأصمغ بن عبد العزيز ، فلما ولي عمر بن عبد العزيز ذهب الربيع اليه طالبا رد الدار فردها عليه بعد أن يدفع اليه الثمن ، فسأله الربيع أن يعطيه كرامها (ايجارها) .

فقال عمر : أما الكراء فلا ، الكراء بالضمان .

وبذلك لم يأمر بالكراء (٢٩) .

ويبدو أن حيثيات عمر في رد الدار أنه لا يجوز لولي اليتيم الشراء ممن يلى أمره استنادا لقول الله جل وعلا :

« وماتوا اليتامى أموالهم ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب ولا تاكلوا أموالهم الى أموالكم انه كان حوبا كبيرا » . (النساء - ٢) .

وقوله سبحانه وتعالى :

« وابتلوا اليتامى حتى اذا بلغوا النكاح فان آنستم منهم رشدا فادفعوا اليهم أموالهم ولا تاكلوها أسرافا وبدارا أن يكبروا ومن كان غنيا فليستغفف ومن كان فقيرا فلياكل بالمعروف ، فاذا دفعتم اليهم أموالهم فأشهدوا عليهم وكفى بالله حسيبا » . (النساء - ٦) .

أما حيثياته في عدم دفع الكراء هو أن سساكن البيت يضمن سلامتها بما ينفقه عليها من صيانة وتجديد وهي نفقات تقابل قيمة الكراء .

استرداد الأهالي لحوائثهم المقتصبة :

أوضحنا أن عمر بن عبد العزيز استرد لبیت المال حقوقه من الأمراء الأمويين فرد اليه ما نالوه من عطاء بالباطل وأموال عامة اغتصبوها بغير حق ولم تقف ما استرد منهم على ذلك فقط ، بل امتدت اجراءاته لاسترداد ما كانوا اغتصبوه ظلما من الناس ، فقد أتى عمر بن عبد العزيز

(٢٩) فتوح مصر وأخبارها - مرجع سابق ص ٢٧ .

جماعة من أهل حمص ، فشكوا أن روح بن الوليد قد اغتصب منهم حوائيتهم ، فدعاه عمر والمظلومون حاضرون وأمره أن يرد الحوائيت عليهم .

قال روح : هي لي بسجل الوليد .

قال عمر في حسم قاطع : وما يغني عنك سجل الوليد يا ابن الوليد ، ولحوائيت حوائيتهم قد قامت لهم البينة عليها ؟ خل لهم حوائيتهم .

تظاهر روح بالموافقة وقام ، وقام معه القوم المتظلمون ، فلما خرجوا من عند الخليفة توعدهم روح ، فرجع شيخهم مسرعا وقال : يا أمير المؤمنين هو والله يتوعدنا .

فأمر عمر صاحب شرطته أن يخرج إلى روح فينذره أن يسلم ما اغتصب والا أنزل به عقاب المفسدين في الأرض ، فرد حوائيت حمص على أصحابها (٣٠) .

استرداد أرض للدمى من الأمراء الأمويين :

أثناء جلوس عمر بن عبد العزيز لرد المظالم قام إليه رجل من أهل حمص .

فقال : يا أمير المؤمنين أسالك كتاب الله .

فقال عمر : ما ذاك ؟

قال : العباس بن الوليد بن عبد الملك اغتصبني أرضي

وكان عدد من رؤوس الناس وفيهم العباس بمجلس عمر .

فسأله عمر : يا عباس ماذا تقول ؟

قال : نعم أقطعنيها أبي أمير المؤمنين الوليد وكتب لي بها سجلا .

فقال عمر : ما تقول يا ذمي ؟

قال : يا أمير المؤمنين أسالك كتاب الله تعالى .

فقال عمر : نعم كتاب الله أحق أن يتبع من كتاب الوليد ، قم

فأردد عليه ضيعته يا عباس (٣٠) .

(٣٠) سيرة عمر بن عبد العزيز - ابن عبد الحكم - علق عليها أحمد عبيد - دبعة

فردما عليه صاغرا (٣١) .

رد حقوق أهل دير من ذوى قريبي الخليفة :

- خاصم مسلمة بن عبد الملك أهل دير اسحاق فشكوه الى عمر .
- فجاء مسلمة وجلس وهم وقوف ٠٠٠ فانتفض عمر غضبا .
- فقال لمسلمة وهو ابن عمه وصهره : لا تجلس وخصماؤك بين يدي .

- وقضى عمر لأهل دير اسحاق بحقهم (٣٢) .
- وبذلك عدل عمر بن عبد العزيز ومنع الظلم الذي نهى عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم .
- فقال « من ظلم معايدا أو كلفه فوق طاقته فأنا حجيجه » (٣٣) .

رد مظالم الحجاج :

وكان مما سرت عليه سياسة رد المظالم ، رد المظالم المالية للحجاج الثقفي فقد أخرج عمر أهل بيت الحجاج من العراق ، ونزع منهم ما اغتصبوه من غيرهم فرد الأموال المختصبة الى أصحابها ، أما ما أغدقه عليهم الحجاج من أموال فردته الى بيت مال العراق ، وقد سمع أن عامله على العراق لم يتخلص بعد من تقاليد وأوضاع سيئة ومنها الأوضاع المالية ، فكتب اليه :

« بلغني أنك تستن بسنن الحجاج ، فلا تستن بسننه ، فإنه كان يصلي الصلاة بغير وقتها ، ويأخذ الزكاة من غير حقها ، وكان لا سوى ذلك أضيع (٣٤) » .

رد أموال المختصبها والى :

خرج عمر من مكة بعد أن حج وخرج معه عامله على مكة وبعض أعيانها ليودعوه ، وفي الطريق أتاه رجل .

-
- (٣١) خامس الراشدين - عبد الرحمن الشراوى - عدد الأهرام ١٩٨٥/٨/٢١ .
 - (٣٢) سيرة عمر - ابن الجوزى - ص ٧٤ .
 - (٣٣) الخراج لأبي يوسف - ص ١٢٥ .
 - (٣٤) خامس الخلفاء الراشدين - مقال للاستاذ / عبد الرحمن الشراوى - عدد الأهرام في ١٩٨٥/٨/٢٨ ص ١٢ .

فقال : يا أمير المؤمنين ، ظلمت ولا أستطيع أن أتكلم .

فقال عمر للرجل : ان كنت صادقاً فتكلم ولا تخشى غير الله .

قال الرجل : أصلحك الله يا أمير المؤمنين ، ان هذا - وأشار الى عامل تمر على مكة - سامني بما أملك وأعطاني به ستة آلاف درهم فأبيت أن أبيعها . فاستعداه على غريم لي فحبسني فلم يخرجني حتى بعته بنصف ما فرض على أنفسا ، بثلاثة آلاف بدلا من ستة آلاف واستحلقتني بالطلاق أن خاصمته أبدا .

فنظر عمر الى عامله على مكة ثم مس بالخيزان علامة ظهرت من كثرة السجود ما بين عينيه . وصاح مؤنبا : هذه غررتني منك .

ثم قال للرجل : اذهب فقد رددت عليك مالك ولا حنت عليك (٣٥) .

رد اموال من بيت المال لرفع ظلم :

وكانت المظالم ترد من كل من ظلم حتى من بيت المال نفسه .

فقد جاء رجل من أهل ازربيجان وقام بين يدي عمر بن عبد العزيز .

وقال : يا أمير المؤمنين أذكر بمقامي هذا بين يديك مقامك غدا بين يدي الله ، حيث لا يشغل الله عنك فيه كثرة من يخاصم من الخلاق من يوم تلقاه بلا ثقة من العمل ، ولا براءة من الذنب .

فبكى عمر بكاء شديدا .

ثم قال له : ما حاجتك ؟

فقال : ان عاملك بأذربيجان عدا علي فأخذ مني اثنتي عشر ألف درهم فجعلها في بيت المال .

فقال عمر : اكتبوا له الساعة الى عاملها فليردها عليه ، ثم أرسله مع البريد (٣٦) .

رد أرضي اغتصبها عامل بالثولة :

وجاء عمر رجل يشكو عادلا له انتزع منه أرضا فأمر عمر بالتحقيق في الأمر ، فلما تبين له أن عامله ظلم الرجل ، عزل عامله ورد

(٣٥) خامس الخلفاء الراشدين - مقال للاستاذ / عبد الرحمن الشرفاوي -

عدد الأهرام في ١٩٨٥/٨/٢٨ ص ١٢ .

(٣٦) عمر بن عبد العزيز - لابن كثير - مرجع سابق ص ٧٠ .

الأرض الى صاحبها ، وقبل أن يرحل الرجل . سأل عمر : كم أنفقت .
في مجيئك الى ؟

قال الرجل : يا أمير المؤمنين ، تسألني عن نفقتي وأنت قد رددت .
على أرضي وهي خير من مائة ألف .

قال عمر : إنما رددت عليك حَقَّك فأخبرني كم أنفقت ؟

قال الرجل : ما أدرى يا أمير المؤمنين .

قال عمر : احْرزْه .

قال الرجل : ستون درهما .

فأمر عمر له بها من بيت المال فأخذها الرجل واتصرف شاكرًا .
فناداه عمر فرجع .

فقال له : خذ هذه خمسة دراهم من مالي ، فكل بها لحماً حتى
ترجع الى أهلِكَ (٣٧) .

رد الكنائس لأهل اللمة :

ولم يقتصر رد عمر للمظالم على المسلمين وحدهم ، بل امتدت مظلة
عدالته وسماحته لغيرهم من أهل الكتاب ذلك أن عمر يعرف أنه إذا أدى
أهل الكتاب الجزية أصبحوا في ذمة الدولة الإسلامية تمكنهم من إقامة
شعائيرهم ولا تعتدى على معابدهم وترعاهم برعاية عدالة الإسلام . ومن
نماذج عدالة عمر ما أوردناه عن عزمه على هدم جزء من المسجد الأموي
أقيم على أرض كان لأهل الكتاب عليها كنيسة لولا قبولهم بالاتفاق مع
علماء المسلمين التنازل عن ملامتهم مقابل تسليمهم جميع كنائس
القسوة التي أخذت منهم وصارت في أيدي المسلمين .

ومن ذلك أيضاً ما قاله البلاذري .

قال ضمرة عن « علي بن أبي حمزة » أنه قال :

خاصمنا عجم أهل دمشق في كنيسة كان فلان قد قطعها لبني نصر
فأخرجنا عمر منها وردّها الى النصارى (٣٨) .

(٣٧) سيرة عمر - ابن عبد الحكم ص ١٢٥ .

(٣٨) عمر بن عبد العزيز - سعد عبد السلام حبيب - ص ٧٦ نقلاً عن عمر أبو العسر
عن البلاذري .

رد ظلامة عامل من والى :

ولم يكتف عمر برد الظلمات المالية بل امتدت ازالته للمظالم ورفع الظلم عن وقع عليهم الى مظلمات عماله فقد عزل واليه مسلمة بن عبد الملك عامله العريان بن الهيثم وكان على شرطة الكوفة .

فتقدم العريان الى عمر رافعا ظلامته وشكواه .

فكتب عمر الى مسلمة :

« ان من حفظ انعم الله رعاية كبار السن .. ومن اظهر شكر الموهوب صفح القادر عن الذنوب .. ومن تمام السؤدد حفظ الودائع واستتمام الصنائع .. وقد كنت اودعت (العريان) نعمة من انعمك فسلبتها عجلة سخطك .. لقد غصبت عليه حتى وليته .. ثم عزلته انت وخليته .. واني شفيعه ، فاحب أن تجعل له من قلبك نصيبا ولا تخرجه من حسن رأيك » (٣٩) .

رد المظالم عن الحيوان :

وكان من رحمة عمر بن عبد العزيز أن رد المظالم عن الحيوانات نفسها فأمر أن لا تحمل ما لا تطيق وأن لا تنخس الدواب حتى تسرع في المسير .

فقد كتب يوما كتابا الى « حيان بن شريح » عامله على مصر يقول فيه :

« بلغني أن الجمالين يحملون الابل ما لا تطيق .. فاذا اناك كتابي هذا فامنح الناس من أن يحملوا البعير أكثر من ستمائة رطل » (٤٠) .

ورأى في بعض جولاته اناسا يحملون مقارع (عصيا) وركبت في أسفلها مسامير (لنخس) الدواب حتى تسرع في المسير فأصدر أوامره فورا بتحريم استخدام مثل هذه العصي . (٤١)

وارسل اليه واليه على الأردن بسلتين كبيرتين من رطب الأردن كهدية فلم يقبلها .

وسأل : علام جيء بهما ؟

قيل : على دواب البريد .

(٣٩) المرجع السابق من ٦٦ ، ٦٨ .

(٤٠ ، ٤١) سيرة عمر - ابن عبد الحكم - من ١٣٦ .

قال : لقد حملتموها فوق ما تطيق . . اخرجوا السلتين فبيعوهما
واجعلواهما ثمنها في علف دواب البريد . (٤٢)

وان كانت هذه نماذج تفصح عن رحمة عمر ، الا انها من ناحية
اخرى تحافظ على الثروة الحيوانية للبلاد وتصونها من الاستهلاك
السريع نتيجة سوء الاستعمال .

وعمر بن عبد العزيز في ذلك كان مقتديا بالرسول صلى الله وسلم
الذي ارسله الله رحمة للعالمين (وما ارسلناك الا رحمة للعالمين) (الانبياء
- ١٠٧) ، فمن نماذج رحمته بالحيوان انه نهى عن وسم الحيوان في
وجهه . وامر عائشة بالرفق بالحيوان وكانت معه في سفر على بعير
صعب فجعلت تصرفه يمينا وشمالا ، كما امر ان تعطى الدواب حقها
في المنازل حين ركوبها ولعن من مثل بالحيوان ونهى عن التحريش بين
البهائم ، وفي مسيرة من المدينة الى مكة عام الفتح رأى على ماء في الطريق
كلبة تهر على اولادها وهن حولها يرضعن منها فأمر رجلا من أصحابه
ان يقوم حذاءها حتى لا يعرض أحد من الجيش لها ولا لجرائها (٤٣) .

سياسة ود المظالم اشاعت الاستقرار :

يسجل التاريخ ان الخوارج كانوا قوما يلحون في الخصومة وكان
لبعضهم آراء وعقائد لا يزيها قرآن ولا سنة واستخدموا السلاح في
فرض آرائهم ، ولم يغمضوا سيوفهم يوما واحدا منذ عهد معاوية فأغمدوها
في عهد عمر بن عبد العزيز وقرروا ألا يثربوا تمردا ولا شغباً ما دام عمر
خليفة ، وكان ذلك من عوامل استقرار المجتمع ، فقد أثر عمر أسلوب
المناقشة والاقناع فكان يجتمع بهم ويناقش آراءهم بمنطق سليم وحجج
قوية ورزق من رضى منهم وكساهم من بيت المال ، وأمر لهم بمطاء . وقد
كان من عوامل اعماد الخوارج للسلاح سيرة عمر ورده للمظالم .

فقد قيل :

• فلما بلغت الخوارج سيرة عمر ما رد من المظالم . . اجتمعوا
وقالوا : ما ينبغي أن نقاتل مثل هذا الرجل ، (٤٤) .

(٤٢) سيرة عمر - ابن الجوزي - ص ١٦٠ .

(٤٣) من أخلاق النبي - نايف د / أحمد محمد الحوقى ص ١٩٧ - ٢٠٠ وبطل

الاسطال - بقلم عبد الرحمن عزام - ص ٧٠ ، ٧١ .

(٤٤) سيرة عمر - ابن الجوزي - ص ٥٤ ، سيرة عمر لابن عبد الحكم - ص ١٠٨ -

ومما ساهم في الاستقرار أيضا ما أمر به عمر من الاقلاع عن
المظالم التي كانت تقع على أتباع علي بن أبي طالب رضي الله عنه ومنع
سب علي على المنابر واعطائهم المعطاء المستحق لهم وكان مما أمر به عندما
ولى الخلافة الاقلاع عن لمن وسب علي وجعل مكانه :

« ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل في
قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا انك رؤوف رحيم » .

« ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتساء ذى القربى وينهى عن
الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون » . (٤٥)

وبذلك تفادى عمر بن عبد العزيز نقد أم سلمة رضي الله عنهما
للمن خلفاء الأمويين لعل بن أبي طالب . حينما كتبت الى معاوية
ابن أبي سفيان تقول :

« انكم تلعنون الله ورسوله على منابركم . وذلك انكم تلعنون عليا
ابن أبي طالب ومن أحبه » . وأنى أشهد ان الله أحبه ورسوله » (٤٦) .

(٤٥) عمر بن عبد العزيز - سجد عيد السلام ص ١٤٩ .

(٤٦) المرجع السابق ص ١٤٦ - نقلا عن عمر بن عبد العزيز - أحمد زكي «مفوت» .

الباب الثامن

التكاس السياسة المالية لعمر بن عبد العزيز
بعد وفاته
وشهادات له ولسياساته

الفصل الأول

وفاة عمر بن عبد العزيز وانتكاس سياسته المالية

وفاة عمر بن عبد العزيز وانتكاس الإصلاح المالي بعده :

كانت خلافة عمر بن عبد العزيز سنتين وخمسة أشهر وأربعة أيام، فقد توفي خمس ليالٍ بقين من رجب سنة إحدى ومائة هجرية وهو ابن تسع وثلاثين وخمسة أشهر (١) ، وقيل أن مسبب وفاته السيل ، وقيل أن السبب هو شدة خوفه من الله ، وقيل أنه مات مسموماً بسم حسه مولى له نظير ألف دينار من معارضي سياسته من أمراء بني أمية ، ولما اكتشف عمر بن عبد العزيز ذلك أمر بوضع الألف دينار ببیت مال المسلمين وترك الجاني ، ومات الخليفة بدير سمعان ودفن بها (٢) .

وبموت عمر بن عبد العزيز ، انتكست سياسة الإصلاح المالي التي قادها ، وعادت تجاوزات ومخالفات المال العام تعتري عناصر السياسة المالية للدولة في عهود بعض من تولى بعده .

أسباب انتكاس سياسة عمر بن عبد العزيز للإصلاح المالي :

رأينا أن عمر بن عبد العزيز طلب سياسة عمر بن الخطاب ليقتدى بها وأنه طبق هذه السياسة في النواحي الخاصة بالمال العام على النحو الذي أوضحناه بعد أن استقاهما من مصدرها الأساسيين وهما القرآن والسنة وظلت هذه السياسة منفذة في حياته ، ولكنه لما مات انتكست للأسباب التالية .

(١) الطبري جزء ٦ مرجع سابق ص ٥٦٥ .

(٢) عمر بن عبد العزيز لابن كثير تعليق أحمد الشرباصي ص ٦٨ .

نبد أمراء بنى أمية سياسة عمر بن عبد العزيز من بعده :

كانت صدارة الامة الاسلامية فى عهد بنى أمية لأمرأ بنى أمية ، وكان من مصلحتهم المادية نبد سياسة عمر بن عبد العزيز التى جردتهم من مزاياهم المالية المتمثلة فى التميز فى العطاء والاعتراف من بيت المال كما يشاءون والتى أعادت لأبناء على بن أبى طالب ومن شايعهم حقوقهم المشروعة فى عطاء بيت المال وكانوا يخشونهم على سلطانهم ، كما أنهم كانوا رافضين لسياسة عمر بتولى الأكفاء من الموالى الوظائف العامة ويعتبرون ذلك نبلا من تعاليهم وسلبا لتمييزهم على المولى .

عودة الصراع بين الأحزاب والحزب الحاكم :

سلب أمراء بنى أمية بعد عمر بن عبد العزيز المعارضين حقوقهم المالية التى كان قد أعادها اليهم وكانت المعارضة للحكم الأموى تتمثل فى الأحزاب والطوائف التالية :

حزب الشيعة : يرى أن على بن أبى طالب وأولاده من بعده أحق الناس بالخلافة .

حزب الخوارج : وأعضاؤه الذين خرجوا من جيش على وأنصاره وأعلنوا عصيانهم له وكانوا يستحلون دماء الأمويين والعلويين ويرونهم خارجين على الدين ويرون أن الخلافة حق لكل مسلم لا فرق بين قرشى وغير قرشى .

حزب الزبيريين : وينادى أعضاؤه بالخلافة لعبد الله بن الزبير .

طائفة الموالى : لم تظهر كحزب ولكنهم كانوا ينضمون للأحزاب المعارضة (٣) .

طائفة القدريية : كانوا ينكرون قدر الله تعالى ويغالون فى إثبات قدرة الإنسان (٤) .

وقد أدى سلب الحقوق المالية للمعارضة الى اتخاذ العلاقة بين أمراء بنى أمية والأحزاب شكل الصراع الذى مولته الدولة الأموية وبذلك عادت للمال العام إحدى نكساته التى كانت له قبل عمر بن عبد العزيز وهى اتفاق جزء منه على قتال المسلمين بعضهم بعضا .

(٣) محاضرات فى تاريخ العالم الإسلامى - د. محمد الطيب النجار ص ٨٥ . ٨٦ -

(٤) عمر بن عبد العزيز - سعد عبد السلام ص ١٥٦ .

قصر مدة خلافة عمر بن عبد العزيز :

كانت خلافة عمر بن عبد العزيز كما ذكرنا سنتين وخمسة أشهر وأربعة أيام وهي مدة قصيرة لا تكفى لتأصيل السياسة المالية الإصلاحية واستقرار مبادئها واعتياد المولدين عليها ، ولقرآن الكريم يوضح ذلك في السياسة المالية التي اقترحها يوسف الصديق عليه السلام فقد استغرق تنفيذها خمسة عشر عاما كما يبين من الآيات التالية :

« قال تزرعون سبع سنين دأبا فما حصدتم فذروه في سنبله الا قليلا مما تأكلون ، ثم يأتي من بعد ذلك سبع شداد يأكلن ما قدمت لهن الا قليلا مما تحصنون ، ثم يأتي من بعد ذلك عام فيه يفاث الناس وفيه يعصرون » (يوسف ٤٧ - ٤٩) .

عدم حماس البعض لاستمرار سياسة عمر بن عبد العزيز المالية :

لم يكن الأمراء الأمويين وحاشيتهم وحدهم الراضين لسياسة عمر بن عبد العزيز المالية ، بل كان بجانبهم بعض المنتفعين من بيت المال بغير حق فكانوا يتقدمون لعمر بن عبد العزيز يطالبون بمزايا قررها لهم الخليفة الأموي السابق فيرفضها بعد أن يوضح لهم عدم أحقيتهم لما يطلبون من أموال خصوصا وأنهم كانوا من الأغنياء ، وقد أوردنا نموذجا لبعضهم فيها سبق (٥) ومن هؤلاء أيضا الشعراء الذين اعتادوا الحصول من بيت المال على منح وعطايا كبيرة بناء على أوامر من حكام بني أمية السابقين لعمر بن عبد العزيز بعد أن يلقوا قصائد الشعر في مدحهم بغير حق نفاقا لهم ابتغاء حصولهم على الأموال العامة سحتا وبهتاناً . كما أن الظالمين الذين طبقت عليهم سياسة رد المظالم كانت صدمتهم موجرة ضد هذه السياسة وضد واضعها يتمنون أفولها ونهاية واضعها ، وانضم الى هؤلاء في كراهيتهم لسياسة عمر بن عبد العزيز المالية الولاة والعمال الظلمة الذين فصلهم عمر في بدء ولايته لظلاماتهم ومنها تسفهم في الجباية وتعذبهم للأهالي والسير بسيرة الحجاج الثقفي في الولاية . وكذلك الولاة والعمال الذين كان أمير المؤمنين يثق فيهم ويوليهم الولايات والأعمال العامة ثم يكتشف من تتبعهم أنه أحسن الظن واغتر بهم وأنهم غير جديرين بالثقة ولا بحسن الظن لما يرتكبونه من الغشم في الولاية

(٥) الطبرى جزء ٦ - مرجع سابق ص ٥٦٥ .

والسوء في الادارة والجور في الجباية والظلم في الحقوق . ومما ساهم في انتكاس السياسة المالية لعمر بن عبد العزيز بعد وفاته أن بقيه الرعية من الموالين للبيت الأموي من غير الأحزاب الأخرى والمؤيدين للسياسة المالية لعمر بن عبد العزيز صمتت عندما تبدلت سياسته بعد وفاته ، فلم يذكر التاريخ أن رايًا جماعيًا طالب بالتمسك بها وعدم الانحراف عنها .

فرض الخليفة الأموي بعد عمر :

جعل سليمان بن عبد الملك يزيد بن عبد الملك خليفة الدولة الإسلامية بعد عمر بن عبد العزيز ، ولذلك لم يكن لعمر بن عبد العزيز رأي فيمن يلي بعده ، ومن المعروف أن الحكم الأموي جعل الخلافة سلطة مطلقة مع تطبيق مبدأ الوراثة المباشرة في الخلافة في أول الأمر بمعنى أن يخلف الابن أباه ثم الوراثة المطلقة بمعنى أن يتولى الخلافة شخص آخر من أفراد الأسرة الحاكمة بشرط أن يكون من أبناء البيت الأموي .

وأغلب الظن لو ترك الخيار لعمر بن عبد العزيز في أمر الخلافة بعده ، لطبق إحدى طرق ثلاث :

لصنع كما صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد قبض ولم يستخلف أحداً فارتضى الناس أبا بكر الصديق رضي الله عنه .

أو لصنع كما صنع أبو بكر فاختر عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو الذي قال عنه عثمان بن عفان رضي الله عنه « لن يأتي الزمان بمثل عمر » .

أو لصنع كما صنع عمر بن الخطاب فجعل الأمر شورى في ستة نفر ليس فيهم أحد من ولده .

وتطبيق طريقة من الطرق الثلاث كان سيؤدي لاختيار خليفة يتسم بالصلاحيات فيبقى على سياسة عمر بن عبد العزيز التي اتسمت هي الأخرى بالصلاحيات وقامت على الإصلاح .

وتوضح فيما يلي نماذج من مظاهر انتكاس السياسة المالية لعمر ابن عبد العزيز بعد وفاته في عهود بعض من تولى بعده .

خلفاء الدولة الأموية بعد عمر بن عبد العزيز :

ولي إمارة الدولة الإسلامية بعد عمر بن عبد العزيز في عصر الدولة الأموية :

(٦) عمر بن عبد العزيز لابن كثير - تعليق أحمد الشرباصي ص ٩٨ .

يزيد الثاني ١٠١ - ١٠٥ هجرية

هشام بن عبد الملك ١٠٥ - ١٢٥ هجرية

الوليد الثاني ١٢٥ - ١٢٦ هجرية

يزيد الثالث ١٢٦ - هجرية

ابراهيم ١٢٦ - ١٢٧ هجرية

مروان بن محمد ١٢٧ - ١٣٢ هجرية

وبموت عمر بن عبد العزيز انتكست سياسة الاصلاح المالي التي فادها وعادت التجاوزات ومخالفات المال العام تكثرى عناصر السياسة المالية للدولة الاموية كما يبين من النماذج التالية .

نماذج مخالفات الإيرادات العامة :

غلول من فئ المسلمين : -

فى عهد يزيد بن عبد الملك استعمل سعيد خدينة على خراسان فرفع اليه ان ثمانية من المال عندهم أموال قد اختانوها من فئ المسلمين فحبسهم . (٧)

استيلاء على الخراج : -

- لما تولى سعيد خزينة خراسان رفع اليه ان عمال عبد الرحمن ابن عبد الله القشيري عندهم أموال من الخراج فحبسهم .

فكلمة فيهم عبد الرحمن بن عبد الله القشيري .

فقال له سعيد : قد رفع عليهم أن عندهم أموالا من الخراج .

قال : فأنا أضمنه .

فضمن عنهم سبعمائة ألف .

ثم لم يأخذه بها . (٨)

- ولى يزيد بن عبد الملك مسلمة بن عبد الملك ولاية الكوفة والبصرة وخراسان سنة اثنتين ومائة ولكن ما لبث أن عزله لأنه لم يرفع اليه من الخراج شيئا . (٩)

(٧) (٨) المرجع السابق ص ٦٠٦ .

(٩) المرجع السابق ص ٦٠٥ .

اهداء اساس في الجزية : -

- في سنة اثنتين ومائة قتل يزيد بن ابي مسلم من اهل الذمة
فوضع الجزية على رقابهم على نحو ما كانت تؤخذ منهم وهم على كفرهم،
فتأمروا عليه وقتلوه . (١٠)

- في سنة ١٢١ هجرية في عهد هشام بن عبد الملك خطب والي
خراسان نصر بن سيار في بلاد ماوراء النهر فقال :

« اني قد استعملت عليكم منصور بن عمر وامرته بالعدل فيكم ،
فايما رجل منكم من المسلمين كان يؤخذ منه جزية من رأسه أو ثقل عليه
في خراجة وخفف مثل ذلك عن المشركين فليرفع ذلك الى منصور بن عمر
يحوله عن المسلم الى المشترك » .

فما كانت الجيعة الثانية حتى اتاه ثلاثون ألف مسلم كانوا يؤدون
الجزية عن رؤوسهم وثمانون ألف رجل من المشركين قد أقيمت عنهم
جزيتهم فحول ذلك عليهم والقاء عن المسلمين .

فهذا النص يوضح لنا أن الموالى كانوا قبيل سنة ١٢١ هـ في بلاد
ما وراء النهر يدفعون الجزية وأن الموالى الجديد رفع عنهم ذلك وأن
الخراج كان يوضع في غير موضعه . (١١)

- في سنة ١٢٣ هـ قامت ثورة من البربر في الشمال الأفريقي
لأن حاكم طنجة قد وضع الجزية على من أسلم منهم (١٢) .

- ويعلق احد الكتاب على ذلك فيقول :

« نستطيع ان نستنتج أن الأمويين بعد عصر عمر بن عبد العزيز
قد رجعوا في سلوكهم مع الموالى فيما يتعلق بالجزية والخراج الى سياسة
الحجاج ، أو على الأقل قد حاولوا الرجوع اليها ، وأنهم قد استطاعوا أن
ينفذوها في بعض الجهات بينما استعصت عليهم في جهات أخرى وكانت
سببا لأضرار كثيرة وثورات عنيفة » (١٣) .

(١٠) المرجع السابق ص ٦١٧ .

(١١) (١٢) محاضرات في تاريخ العالم الاسلامي - بقلم الدكتور محمد الطيب النجار .

- طبعة معهد الدراسات الاسلامية - طبعة ١٩٨٦ م ص ١٦٢ .

(١٣) المرجع السابق ص ١٦٣ .

نماذج مخالقات النفقات العامة :

الانفاق العام على ترف الامراء :

— يروي المؤرخون أن يزيد بن عبد الملك كان مولعا بالطرب محبا للهو مشغوبا بالجسوارى والقيان * وهناك أخبار كثيرة عن جاريته المفضلتين حباة وسلاعة ومدى حبه لهما وهو حب أفقده عقله حتى أنه لما ماتت سلامة امتنع عن دفنها ثلاثة أيام حتى انتنت ولامه الناس فأمر بدفنها ولم يمكث بعدها الا أياها مطبوعة ثم قتله الحزن عليها * (١٤)

— سار هشام بن عبد الملك فى مستهل خلافته على نهج عمر ابن عبد العزيز فاستبشرت النفوس وازدهرت الآمال وتوقع الناس على يديه الخير الكثير ولكن بطانة السوء .لتي التفت حوله صرفته عن هذا السبيل القويم * (١٥)

انفاق على الخاشية والشعراء والأنصار :

— ولم يلبث الوليد (الثانى) أن أتى على ما فى خزائن هشام من أموال مدمرة فبددها ذات اليمين وذات الشمال وأسرف فى منح الشعراء واعطاء الطالبين ومع ذلك كان الأعم لاغلب من الشعب ينتقلون تصرفاته وينتدون بأسرافه فى اللهو والشراب وسماع القيان * (١٦)

زيادة الانفاق العام على الموالين وانقاص العاملين :

— يزيد الثالث وهو يزيد بن الوليد بن عبد الملك دان لليمانية فى توليه الخلافة ولذا قربهم وأغلق عليهم الأموال واضطر الى انقاص إعطيات الجند لتضروب موارد الخزانة فاستاءوا منه وسموه « الناقص » (١٧) .

انفاق عام على قتال المسلمين :

كان للسياسة العادلة لتي انتهجها عمر بن عبد العزيز أثرها فى تسكين الحرب بين الخوارج * وجاء الخلفاء الذين من بعده فلم ينهجوا نهجه ، فقام الخوارج بالثورة فى عهد يزيد بن عبد الملك بقيادة زعيمهم شوذب

(١٤) المرجع السابق — نقل من ابن الاثير — ص ٨٠ .

(١٥) المرجع السابق ص ٨٠ .

(١٦) المرجع السابق ص ٨٢ .

(١٧) المرجع السابق ص ٨٣ .

نفسه ثم قاموا بالنورة في عهد هشام بن عبد الملك بقيادة زعيمهم البهلول بن عمر الشيباني وقاموا بالثورة كذلك في عهد آخر الخلفاء الأمويين مروان بن محمد (١٨) . ولقد كآل الأمويون لهؤلاء الخوارج ضربات قوية كلفت بيت المال أموالا طائلة كان الأولى أن توجه لمصلحة الاسلام والمسلمين .

كما أن الشيعة بدأت في ١٢١ هـ بقيادة زيد بن علي ثم من بعده ابنه يحيى الكفاح الرهيب والنضال المرير مع خلفاء بني أمية مما اضطر الدولة الأموية الى تجريد الجيوش لمحاربة الشيعة وهزيمتها وقتل قائدها زيد بن علي وابنه وهذا نموذج آخر يوضح كيف أن شطرا من الأموال العامة كان يوجه لقتل المسلمين بعضهم بعضا .

مخالفات في الإدارة المالية

إعادة وإلى ظالم : -

أوضحنا أن عمر بن عبد العزيز عزل أسامة بن زيد التنوخي عن خراج مصر لظلمه ومع ذلك لما تولى يزيد بن عبد الملك رده الى عمله (١٩) .

ولاية للقرابة :

- أوضحنا أن يزيد بن عبد الملك ولي مسلمة بن عبد الملك الكوفة والبصرة وخراسان وكان شقيقه فتهب أموال الخراج .

- واستعمل مسلمة سعيد حذينة على خراسان لأنه كان ختنه على ابنته فقد كان سعيد متزوجا بابنة مسلمة . (٢٠)

تعيين مرشح قتله الوالي :

أوضحنا سبب قتل يزيد بن مسلم بأفريقية وهو فرضه الجزية على من أسلم . وقد ولي من قتلوه محمد بن يزيد مولى الأنصار بدله وأرسلوا بذلك للخليفة فأقر من عينوه (٢١) .

(١٨) المرجع السابق ص ١٠٠ .

(١٩) سيرة عمر بن عبد العزيز لابن عبد الحكم - تعليق أحمد عبيد ص ٣٢ .

(٢٠) الطبري جزء ٦ - مرجع سابق ص ٦٠٥ .

(٢١) المرجع السابق ص ٦١٧ .

انتكاس السياسة المالية ساهم في نهاية الدولة الأموية :

ساهمت مخالفات وتجاوزات المال العام بعد عمر بن عبد العزيز مع غيرها من الأسباب في نهاية عهد الأمويين وزوال حكمهم .

فقد غلت بعض الأموال العامة ، والله جل وعلا نهى عن الغلول فقال :

« وما كان لنبي أن يغل ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة »
(آل عمران / من ١٦١) .

وقد فرضت الجزية في بعض البلاد على من أسلم ، والله جل وعلا أنزل نظاما للجزية فجعلها على من لم يسلم من أهل الكتاب وبذلك حكم بعض الولاة بغير ما أنزل الله . والله سبحانه وتعالى قال :

« ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون » (المائدة / من ٤٧) .
وقد أترف بعض الأمراء وأقاربهم وحاشيتهم والموالين لهم من الأموال العامة والله جل وعلا حذر من الترف والفسوق وأوضح أن العاقبة هي التدمير ، فقال سبحانه وتعالى :

« وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا » (الاسراء / ١٦) .

ووجهت الأموال العامة لقتال المسلمين ، وكان من الممكن تدارك ذلك ووقف القتال كما فعل عمر بن عبد العزيز ، وتطبيق ما أمر به الله جل وعلا في قوله :

« وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله ، فإن قامت فاصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين » (الحجرات / ٩) .

وحظي الأقارب بمناصب الدولة فانتهب بعضهم الأموال العامة وأساءوا إدارتها والشأن أن يتولى الأموال العامة الأمناء لا الأقرباء فالرسول صلى الله عليه وسلم كما ذكرنا لم يعين ذوى قرباء في المناصب ما عدا علي بن أبي طالب لتقواه وعلمه وحكمته ، والله أمر بإبعاد من لا يحسنون إدارة الأموال عن العمل بها ، فقال جل وعلا .

« ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياما » (النساء / من ٥) .

والسفهاء هم الجهال بموضع النفقة وقيمة الأموال وسيئو التصرف عموما .

ومن يدري فلو سار خلفاء بني أمية بعد عمر بن عبد العزيز على نهجه ، لثبت الله حكمهم ولأطال عهدهم ، ولكن بعضهم فكث ومن ينكث فأنما ينكث على نفسه ، ولله الأمر من قبل ومن بعد .

على أنه بالرغم من انتكاس السياسة المالية لعمر بن عبد العزيز بعد وفاته بسبب عدم تطبيق بعض أمراء بني أمية للأسس التي قامت عليها إلا أن هذه الأسس تعتبر نهجا تنهجه الماليات العسامة الحالية للاصلاح وسنبين ذلك فيما يلي .

الفصل الثاني

شهادات بتقييم عمر بن عبد العزيز وسياسته

توافق اصلاحات المالية العامة الحالية مع اصلاح عمر بن عبد العزيز :

يعتري المالية العامة للدولة حاليا وجوه خلل تمثلت في زيادة النفقات العامة لها عن الموارد العامة وتفاقم العجز المالي وتزايد سنة بعد أخرى ومحاولة تغطية العجز المالي بقروض ولدت فوائدها وأقساطها أعباء ثقيلة على الموازنات العامة للدولة ، ومنها من غطى العجز بإصدار المزيد من أوراق تلك بدون غطاء ، ومنها من جمع في تغطية العجز بين الاقتراض وإصدار النقد المكشوف والكثير من الدول خصوصا النامية منها تستخدم حيلة القروض والنقد المصدر في تمويل نفقات عامة استهلاكية غير إنتاجية ، فتولدت موجات تضخمية رفعت الأسعار ومبطلت بالقوة الشرائية للنقد فعانى من ذلك أصحاب الدخل المحدودة بسبب عجز دخولهم عن اشباع حاجياتهم من السلع التي توالى ارتفاع أسعارها ، وأدى ارتفاع الأسعار الى ارتفاع تكاليف الخدمات العامة للشعب فأدتها الحكومات ناقصة غير كاملة وهابط مستوى أداؤها ، ومما ساهم في ذلك قلة الموارد وعدم كفاءة جهاز الدولة (١) .

ومما اقترحه المتخصصون لاصلاح المالية العامة الحالية للدولة بصفة عامة ما يلي :

- ربط الاصلاح المالي باصلاح اقتصادي .
- اصلاح الموارد العامة بمراجعة نظمها وتحقيق عدالتها وتنشيط حصيلتها ورفع كفاءة ادارتها .

(١) مزيد من التفاصيل يرجع لكتابنا الموازنة العامة للدولة - طبعة الثالثة - الصادر
الهيئة المصرية العامة للكتاب .

- منع الاسراف فى النفقات العامة وترشيدها وترتيبها طبقا
لأولويات تحقق أكبر نفع منها .

- اصلاح نظم الادارة المالية برفع كفاءة العاملين ومتابعة أعمالهم
واصدار التعليمات المفسرة للقوانين المالية وتطبيق نظم للحوافز .

- معالجة أية مظالم مالية وقعت قبل الاصلاح .

- الحزم فى تطبيق الاصلاح وايجاد القدوة العامة التى تساهم فى
نجاحه .

- التوسع فى كثافة الطبقات ذات الدخل المحدود .

وهذه الأسس هى نفس الأسس التى قام عليها اصلاح السياسة
المالية فى عهد عمر بن عبد العزيز فى القرن الأول الهجرى وبذلك يمكن
الاقتباس من اصلاحاته وتطويرها بما يلائم أوضاع المالية العامة لكل دولة

تنويه جماعى لسياسة عمر بن عبد العزيز :

نوه الخلفاء والملوك والأئمة والكتاب والشعراء عن مبادئه ومنجزاته
العظيمة التى تمت فى مدة خلافته القصيرة فكانت شهادات صدق باقية
على مر العصور ، فقالوا :

عمر بن عبد العزيز أحد الخلفاء الراشدين :

قال عباد السماك - وكان يجالس سفيان الثورى

سمعت الثورى يقول : الخلفاء خمسة أبو بكر وعمر وعثمان وعلى
وعمر بن عبد العزيز وهكذا روى عن أبى بكر بن عياش والشافعى وغير
واحد (٢) .

عمر بن عبد العزيز أحد أئمة الهدى :

ذكر ابن خاقان لأحمد بن حنبل أنه يروى عن سفيان الثورى .

أنه قال : أئمة الهدى أبو بكر وعمر وعثمان وعلى وعمر بن
عبد العزيز .

فقال له ابن حنبل : هكذا هو (٣) .

(٢) عمر بن عبد العزيز لابن كثير القرشى تعليق وتقديم أحمد القرطاسى ص ٧٠ .

(٣) المرجع السابق هامش ص ٤٠ .

عمر بن عبد العزيز امام الدين :

— روى الامام أحمد بن حنبل عن الرسول صلى الله عليه وسلم الحديث التالي :

« ان الله عز وجل يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة رجلا يقيم لها امر دينها » .

وأضاف الامام أحمد : فكان على رأس المائة الأولى عمر بن عبد العزيز وأرجو أن يكون على رأس المائة الثانية الشافعي رضي الله عنه (٤) .

— قال النووي عن عمر بن عبد العزيز .

وأجمعوا على جلالته وفضله ووفور علمه وصلاحه وزهده وورعه وعدله وشفقته على المسلمين وحسن سيرته فيهم ، وبذل وسعه في الاجتهاد في طاعة الله وحرمه على اتباع آثار الرسول صلى الله عليه وسلم والافتداء بسنته وسنة الخلفاء الراشدين وهو أحد الخلفاء الراشدين وفضائله أكثر من أن تحصر (٥) .

— وقال الشاعر جرير يروي عمر بن عبد العزيز ويشهد أنه سار بأمر الله فيما حمل به :

ينعى النعاسة أمير المؤمنين لنا	يا خير من حج البيت واعتمرنا
حملت أمرا عظيما فاضطلعت به	وسرت فيه بأمر الله يا عمرنا
الشمس كاسفة ليست بطالعة	تبكي عليك نجوم الليل والقمرنا (٦)

قول عمر بن عبد العزيز حجة :

قال الامام أحمد بن حنبل — لا أدري قول أحد من التابعين حجة الا قول عمر بن عبد العزيز (٧)

زهد عمر بن عبد العزيز أبكى هارون الرشيد :

كان الاقتداء بعمر بن عبد العزيز دوسا ألقاه الفضيل بن عياض واعتقل الرشيد عليه ، فقال له بين الذي قاله :

(٤) الامام الشافعي — تأليف الاستاذ عبد الحلیم الجندي من ٣٨٠ طبعة للمجلس الأعلى للفتوى الإسلامية .

(٥) عمر بن عبد العزيز لابن كثير تعليق الفريابي — مرجع سابق هامش ص ٤١ .

(٦) المرجع السابق ص ١٠٣ .

(٧) المرجع السابق ص ٤٠ ومامضا .

ان عمر بن عبد العزيز يوم ولي الخلافة دعا سالم بن عبد الله ومحمد بن كعب القرظي ورجاء بن حيوة .

وقال لهم : اني ابتليت بهذا البلاء فاشيروا على .

فعد الخلافة بلايا وعددها انت نعمه .

وقال سالم : ان أردت النجاة غدا من عذاب الله فصم عن الدنيا وليكن افطارك على الموت .

وقال محمد : وليكن كبير المسلمين لك ابا واوسطهم لك اخا واصغرهم لك ولدا ، فبر اباك وارحم اخاك وتحسن على ولدك .

وقال له رجاء : احب للمسلمين ما تحب لنفسك واكره لهم ما تكره لنفسك .

وبكى الرشيد حتى غشى عليه .

فقال الفضل بن الربيع حاجب الرشيد : ارفق بأمير المؤمنين .

قال الفضيل : يا ابن الربيع ، قتلته انت واصحابك وأرفق به انا . فلما أفاق الرشيد قال : زدني .

قال الفضيل : بلغني أن عاملا لعمر بن عبد العزيز شكك اليه السرف . فكتب اليه عمر يقول « يا أخى اذكر سهر أهل النار في النار وخلود عباد الله فيها » . فلما قرأ كتابه طوف في البلاد حتى قدم عليه وقال : « ما أقدمك ؟ » قال : خلعت قلبي بكتابك ، لا وليت لك ولاية أبدا حتى ألقى الله » .

وبكى الرشيد ثم قال : زدني .

فزاده الفضيل وعظا .

فقال الرشيد : أعليك دين »

قال الفضيل : دين لربى .

قال الرشيد : انما أعنى دين العباد (يريد سداده عنه أو ير قوم يريد الفضيل برهم) .

قال الفضيل : ان ربي لم يأمرنى بهذا وانما أمرنى ان اصدق وعده وأطيع أمره .

قال الرشيد : هذه ألف دينار خذها لعبالك وتقو بها على عبادة ربك .

قال الفضيل : سبعمان الك - انا أدلك على طريق النجاة وتكافئني بهذا ! أسلمك الله ورفض الدناير (٨)

اشادة بعدل عمر بن عبد العزيز :

... قال محارب بن دثار يرثى عمر بن عبد العزيز وينوه عن عدله :
لو أعظم الموت خلقا أن يواقعهم
كم من شريعة عدل قد نعشت لهم
يا لهف نفسي ولهف الواجدين معي
كادت تموت وأخرى منك تنتظر
على العدول التي تفتالها الحفر (٩)
... وقال آخر :

أقول لما نعى الناعون لي عمرا لا يبعدن قوام العدل والدين
قد غادر القوم بالحد الذي لحدوا يدير سمعان قسطاس الموازين (١٠)
... وقال امبراطور الروم ليو الثالث لما بلغه وفاة عمر بن عبد العزيز
وقد كان خصما عنيدا للدولة الاسلام .

« مات والله ملك عادل ليس لعدله مثيل ، وليس ينبغى أن يعجب
الناس لراغب ترك الدنيا ليعبد الله في صومته ، انما العجب لهذا الذي
صارت الدنيا تحت قدميه فزهد فيها » (١١) .

عمر بن عبد العزيز أدى واجبه نحو مصلحة الأمة :

... يقول : وله وزن في كتابه .

« لم يكن عمر بن عبد العزيز يعنى بنفسه قط وانما كان يعنى
بالصالح العام ... ولقد جعلته تقواه يدير شئون الأمة ويسوسها على
وجه جعل كل عامل من عماله يؤدي ما فرض عليه الواجب نحو مصلحة
المجموع ... وكان عمر يقوم بما فرض عليه من التبعات الجسام والواجبات
الثقال باستقامة وأمانة نادرة المثال » (١٢) .

(٨) أحمد بن حنبل - امام اهل السنة - الاستاذ عبد الحلیم الجندی - هامش

ص ٩٨ - ٩٩ .

(٩) عمر بن عبد العزيز لابن كثير تعليق القرطبي مرجع سابق ص ١٠٣ .

(١٠) الطبري - جزء ٦ - مرجع سابق ص ٥٧٢ نقلا عن ابن الأثير نقلا عن كثير عزة .

(١١) معجزة الاسلام - عمر بن عبد العزيز خاله محمد خالد ص ١٦٦ .

(١٢) ورد ذلك في كتاب عمر بن عبد العزيز - سعد عبد السلام حبيب ص ١٦٢ .

عن كتاب The Arab Kingdom and its Fall By de welhusen.

— ويترجم الشعر عن صنائعه للامة فأنشد عمرو الشيباني لكثير
عزة فقال :

عمت صنائعه فعم هلاكه فالناس فيه كلهم ماجور
والناس ماتهم عليه واحد في كل دار رنة وزفير
يشنى عليك لسان من لم توله خيرا لأنك بالثناء جدير
ردت صنائعه عليه حياته فكانها من نشرها منشور (١٣)

اغنى الله الناس على يد عمر بن عبد العزيز :

— قال رجل من ولد زيد بن الخطاب : فما مات عمر حتى كان الرجل
ياتينا بالمال العظيم .

فيقول : « اجعلوا هذا حيث ترون في الفقراء » .

فلا يجد فقيرا يتصدق عليه ا وما يبرح حتى يرجع بماله فقد اغنى
عمر بن عبد العزيز الناس (١٤) .

— قال يحيى بن سعيد : بعثنى عمر بن عبد العزيز على صدقات
افريقية فجمعتها — وطلبت فقراء اعطيها لهم فلم اجد فقيرا يقبل ان ياخذ
منى صدقة بيت المال ٠٠٠ فاشتريت بها رقابا واعتقتهم بعد ان جعلت
ولاءهم للمسلمين (١٥) .

— كتب عدي بن ارقطاه الى عمر : انه قد اصاب الناس من الخير
خير ٠٠٠ حتى لقد خشيت ان يبطروا (١٦) .

نفرد عمر بن عبد العزيز :

يقول (براون) في كتابه :

« ينفرد عمر بن عبد العزيز عن سائر خلفاء بني أمية بالورع
والايمان ، فلم يكن مدفوعا في ادارته للمولة بدوافع مالية ، ولكنه كان
يرغب في نشر تعاليم الاسلام واحكامه ٠٠٠ وكان هذا المعنى مبسطا
على نفسه حبيبا الى قلبه ، ويعتبر هذا الخليفة استثناء لما كان عليه خلفاء

(١٣) عمر بن عبد العزيز — لابن كثير — تعليق الشراصي — مرجع سابق ص ١٠٣ .

نقل عن ابن عبد الحكم .

(١٤) (١٤ ، ١٥ ، ١٦) وروى في عمر بن عبد العزيز لسعد عبد السلام حبيب ص ٨١ ، ٨٢ .

نقل عن ابن عبد الحكم .

بنى أمية من طمع واستتثار بالسلطة والنفوذ وبعد عن الطريق
القويم ، (١٧) .

ويكرر الشاعر عويف القوافي نفس المعنى فيقول :

أجبنى أبا حفص لقيت محمداً على حوضه مستبشراً وراكه
فأنت امرؤ كلتا يديك مفيدة شمالك خير من يمين سواكا (١٨)

عصر العباسيين ينقصه مثل عمر بن عبد العزيز :

كان المهتدى بالله بن الواثق بعد أن صار خليفة من خلفاء بني
العباس يقول :

« انى استحي أن يكون فى بنى أمية عمر بن عبد العزيز ولا يكون
مثله فى بنى العباس » (١٩) .

فراصة صدق فى عمر بن عبد العزيز :

أخبر الليث بن سعد أنه قيل :

الفراصة فراصة العزيز فى يوسف النبى عليه السلام حين قال
« ائتوني به استخلصه لنفسى فلما كلمه قال انك اليوم لدينا مكين أمين »
(يوسف/ من ٥٤) .

وفراصة عمر بن الخطاب فى الهلالية حين قال لولده : تزوجها والله
ليوشكن أن تأتى بفارس يسود العرب فأتت بعمر بن عبد العزيز .

وفراصة سليمان بن عبد الملك فى عمر بن عبد العزيز حيث قال
والله لأعقدن عقدا ليس للشيطان فيه نصيب فعقد لعمر بن عبد العزيز (٢٠) .

ديمقراطية عهد عمر بن عبد العزيز :

ويقول آخر :

لم يكن عصره قد عرف النظم البرلمانية بعد ... لكن ديمقراطية
الحاكم مع ذلك كانت تبين وتسفر كالشمس من خلال أسلوبه فى الحكم .

(١٧) المرجع السابق من ١٦٦ نقلا عن

Browne : A Literary History of Teraia

(١٨) الطبرى ج ٦ - مرجع سابق من ٥٦٦ .

(١٩) أحمد بن حنبل - للاستاذ عبد الحليم الجندى من ٩٨٠ .

(٢٠) سيرة عمر بن عبد العزيز - لابن عبد الحكم - مرجع سابق من ٢٠ .

وطريقته في اختيار ولاته وبطانته . واستعداده لتقبل النقد ، وسماع كلمة الحق . ونظراته الى الامة التي يحكمها ومدى ولائه لحقوقها وحرياتها .
وبهذا المعيار والمسبار ، يقف عمر بن عبد العزيز في هذا المجال وكأنه نسيج وحده (٢١) .

عدل عمر بن عبد العزيز روض الوحوش :

روى موسى بن اعيان الراعي - وكان يرعى الفتم لمحمد بن عيينه قال
« كانت الاسد والفتم والوحوش ترعى في خلافة عمر بن عبد العزيز
على موضع واحد فعرض ذات يوم لشاة منها ذئب .
فقالت : انا لله ، ما ارى الرجل الصالح الا قد هلك .
قال : فحسبناه فوجدناه قد هلك في تلك الليلة (٢٢) .
رحم الله عمر بن عبد العزيز ورضى عنه جزاء ما قدم للاسلام
والمسلمين »

تم بحون الله

(٢١) معجزة الاسلام - عمر بن عبد العزيز - خالد محمد خالد - مرجع سابق
ص ١٤٠ .

(٢٢) عمر بن عبد العزيز لابن كثير القرشي - تعليق احمد القريافي - مرجع سابق
ص ٧٩ . وورد بهامشه انه بصفحة ٧٠ من ابن الجوزي أكثر من رواية في هذا الشأن .

بعض المراجع

- القرآن الكريم .
- معجم الفاظ القرآن الكريم - طبعة ثانية - اصدار الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر .
- صحيح البخارى للامام أبى عبد الله البخارى - مصادر عن المجلس الاعلى للشئون الاسلامية .
- المنتخب من السنة - المجلد السادس - مصادر عن المجلس الاعلى للشئون الاسلامية .
- السبك الجرار المتدفق على حقائق الأزهار - لشيخ الاسلام محمد بن على الشوكانى - طبعة المجلس الاعلى للشئون الاسلامية .
- تاريخ الطبرى - لأبى جعفر محمد بن جرير الطبرى - طبعة ثانية - دار المعارف بمصر .
- تاريخ العالم الاسلامى - دكتور ابراهيم الصبوى - مطبعة جامعة القاهرة - ١٩٨٦ .
- فتوح مصر وأخبارها - لأبى القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم بن أعين القرشى المصرى - تقديم وتحقيق محمد صبيح - مؤسسة التعاون والنشر .
- محاضرات فى تاريخ العالم الاسلامى - دكتور محمد الطيب النجار - معهد الدراسات الاسلامية ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م .
- معاوية بن أبى سفيان فى الميزان - عباس محمود العقاد - طبعة دار الهلال .
- سيرة عمر بن عبد العزيز - جمال الدين أبى الفرج عبد الرحمن الجوزى - مطبعة المؤيد بالقاهرة .

- سيرة عمر بن عبد العزيز على ما رواه الامام مالك بن أنس وأصحابه -
لأبي محمد بن عبد الله بن عبد الحكم تصحيح وتعليق أحمد عبيد -
طبعة ثانية - اصدار مكتبة وهبة .
- عمر بن عبد العزيز - للامام ابن كثير القرشي - تقديم وتعليق أحمد
الشرباصي - الدار القومية للطباعة والنشر .
- عمر بن عبد العزيز - سعد عبد السلام حبيب - دار الفكر العربي .
- معجزة الاسلام عمر بن عبد العزيز - خالد محمد خالد - طبعة ثالثة -
دار المعارف .
- بطل الأبطال - عبد الرحمن عزام .
- من أخلاق النبي - دكتور أحمد محمد الحوفي - طبعة المجلس الأعلى
للشئون الإسلامية .
- من قضايا العمل والمال - الشيخ أبو الوفا الراغب - سلسلة مجمع
البحوث الإسلامية .
- الحراج - للقاضي أبي يوسف يعقوب بن ابراهيم - المطبعة السلفية
ومكتبتها .
- الأموال - لأبي عبيد القاسم بن سلام - تحقيق وتعليق محمد خليل
هراس - دار الفكر للطباعة والنشر .
- الاقتصاد السياسي الجزء الأول - د. أحمد محمد ابراهيم - طبعة
ثالثة .
- مذكرات نظام الحكم والادارة - المستشار عمر الشريف - طبعة معهد
الدراسات الإسلامية .
- أبو حنيفة - عبد الحلیم الجندي - طبعة وزارة التربية والتعليم
١٩٧٠ .
- أحمد بن حنبل أمام أهل السنة - عبد الحلیم الجندي - اصدار
المجلس الأعلى للشئون الإسلامية .
- الامام الشافعي - عبد الحلیم الجندي - اصدار المجلس الأعلى للشئون
الإسلامية .
- خامس الخلفاء الراشدين - سلسلة مقالات - عبد الرحمن الشرقاوي -
نشرت بجريدة الأهرام .

- حقوق الانسان في صلة الفرد بالجماعة -- د. محمد البهي -- مقال
في مجلد مجمع البحوث الاسلامية -- المؤتمر السادس .
- علاوة على المراجع التالية للمؤلف والتي أصدرتها الهيئة المصرية العامة
للكتاب .
- الموازنة العامة للدولة -- طبعة ثالثة سنة ١٩٧٨ .
- النظم المالية في الاسلام -- طبعة ثالثة سنة ١٩٨٦ .
- الاطار الاخلاقي لمالية المسلم -- طبعة سنة ١٩٨٣ .
- السياسة المالية للرسول -- طبعة سنة ١٩٨٠ .
- السياسة المالية لعمر بن الخطاب -- طبعة سنة ١٩٨٤ .
- السياسة المالية لعثمان بن عفان -- طبعة سنة ١٩٨٦ .

الفهرس

صفحة	الموضوع
٢	مقدمة
	الباب الأول : (السياسة المالية للدولة الاسلامية قبل عمر بن
٧	عبد العزيز
	الفصل الأول : (عموميات عن السياسة المالية للخلفاء
٩	الراشدين
	الفصل الثاني : (مخالفات مالية في عهد بن أمية قبل
١٧	عمر بن عبد العزيز)
٣٩	الباب الثاني : (خلافة عمر بن عبد العزيز وسياسته المالية)
٤١	الفصل الاول (خلافة عمر بن عبد العزيز)
	الفصل الثاني : (أسس السياسة المالية لعمر بن
٥٧	عبد العزيز)
	الباب الثالث : (الاصلاح المالي للموازنة العامة للزكاة والموازنة
٦٧	العامة لخمس الغنائم)
٦٩	الفصل الأول : (الاصلاح المالي للموازنة العامة للزكاة)
	الفصل الثاني : (الاصلاح المالي لنفقات موازنة الزكاة
٧٩	الاصلاح المالي وموازنة خمس الغنائم)
	الباب الرابع : (الاصلاح المالي لايرادات موازنة الجزية
٩١	والخراج وعشور التجارة)
٩٣	الفصل الأول : (الاصلاح المالي لايرادات الجزية)
	الفصل الثاني : (الاصلاح المالي لخراج الأرض وعشور
١٠٣	التجسارة)

الصفحة

١١٥	الباب الخامس : (اصلاح الانفاق العالم ونماذج منه) . . .
١١٧	الفصل الأول : (اصلاح الانفاق العام)
	الفصل الثاني : (نماذج من الانفاق العام في عهد عمر
١٣٩	ابن عبد العزيز)
	الباب السادس : (اصلاح ادارة المالية العامة في عهد
١٤٩	عمر بن عبد العزيز)
	الفصل الأول : (اصلاح سياسة عماله الدولة في عهد
١٥٠	عمر بن عبد العزيز)
	الفصل الثاني : (المبادئ أساس اصلاح ادارة المالية
١٦٩	العام في عهد عمر بن عبد العزيز
	الباب السابع : (اصلاح نظام العطاء وتطبيق سياسته لرد
١٧٧	المظالم في عهد عمر بن عبد العزيز)
١٧٩	الفصل الأول : (اصلاح نظام العطاء)
	الفصل الثاني : (تطبيق سياسة رد المظالم في عهد عمر
١٩٧	ابن عبد العزيز)
	الباب الثامن : (انتكاس السياسة المالية لعمر بن عبد العزيز
٢١٧	بعد وفاته وشهادات له ولسياسته)
	الفصل الأول : (وفاة عمر بن عبد العزيز وانتكاس
٢١٩	سياسته المالية)
	الفصل الثاني : (شهادات بتقييم عمر بن عبد العزيز
٢٢٩	وسياسته)
٢٣٧	بعض المراجع

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الايداع بدار الكتب ١٩٨٨/٣٦٧٣

ISBN ٢ - ١٧٧٢ - ٠١ - ٩٧٧ -

هذا الكتاب تجميع أقوال وأعمال عمر بن العزيز بعد تصنيفها
ووضعها في سياسات عامة فرعية منبثقة من سياسته المالية لتكون
هاديا ومرشدا لمن يتفقدونها

وأفرغت ماورد بالكتاب في القوالب الفنية للمالية العامة الحالية
تحديثا للتراث وتحقيقا لسهولة الاقتباس منه والانتفاع به كما دعمت
وقائع الموضوع بالقرآن الكريم وبسنة الرسول صلى الله عليه وسلم
كلما لزم الأمر بإعتبارهما من مصادر المالية العامة الإسلامية .

ولما كانت سلوكيات عمر بن عبد العزيز وسياساته محل تنويه
رؤساء الدول والحكام والأئمة والكاتب والشعراء على مر العصور ،
فقد ختمت الكتاب بشهادات صدقي صَدَرَتْ منهم وبذلك يكون
لدى القارئ نبذة من الآراء المختلفة عن صفات وأعمال رئيس دولة
إسلامية اعتبره البعض خامس الخلفاء الراشدين .

To: www.al-mostafa.com